

محمود شلبي

حياة موسى

دار الجليل
بيروت

حياة موسى

محمود شيباني

حياة موسى

دار الحديث
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لدار المسيل

الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الاهداء

اللهم ... منك ... وإليك

محمود علي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يا رب .. لك الحمد .. كما يفتني .. لجلال وجهك .. وعظيم سلطانك ..
وأصلي .. وأسلم .. على إمام المرسلين ..
وبعد ..
فإن « حياة موسى » أكبر مني .. وأعلى من فهمي .. وشيء لا أستطيعه ..
ولا يفتني لي أن أتوجه إليه ..
ولكن .. يا رب .. هو عليك هين ..
وبك يُستطاع .. ومنك يُستطاب ..
فاللهم كما مننتَ عليّ .. بحياة آدم .. و « حياة إبراهيم » .. و « حياة
يوسف » .. و « حياة داوود » .. و « حياة سليمان » .. و « حياة أيوب » ..
و « حياة يحيى » .. و « حياة رسول الله » ..
امنن .. عليّ .. بحياة موسى ..
واجعل اللهم .. فيها .. ما لا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر
على قلب بشر ..
انك أنت الوهاب ..
آمين ..

محمود شلبي

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ... وَيَسْتَحْيِي ...
نَسَاءَهُمْ ... ١٤ ...

صهها يُقال ...

في وصف الإجرام ..
فإن إجرام ذلك المحرم اللعين .. الملقب « فرعون » ..
تجاوز كل وصف .. وفاق كل تصور ..
إجرام تضح منه السماء .. وتصرخ منه الأرض ..
صوره كتاب الله العزيز .. في تركيز هو أجمع تركيز :
« يُذبح أبناءهم .
« ويستحيي نساءهم » ..
إذا كان المولود ذكراً يُذبح فوراً .. أمام أمه ..
وإذا كان المولود أنثى .. تُترك ولا تُذبح .. أي تستحيى .. تترك حيثة ..
لماذا .. لينقرضوا على مر السنين ..
وأما البنات .. فيستعملن للتمعة والفجور ..
اجرام ليس كمثله اجرام ..
وهلع هنا .. وجزع هناك ..
ان شهدت أرض مصر .. جبّاراً .. يُذبح المواليد ..
وهو يقهه عالياً .. ويعلمن في كبر واستكبار :
« أنار بهنكم الأعلى » ..

وإنا ... فوقهم ... قاهرون ...!

الجبروت ...

أو الديكتاتورية .. بلغة العصر ..
لم تبلغ من الوقاحة .. في أحد من الناس مثلها بلغت .. في هذا الحقير
الدعيّ .. الملقب « فرعون » ..
وهو نموذج فذّ .. جدير أن يعكف الدارسون والباحثون .. على تحليل
شخصيته .. من جوانبها وأعماقها ..
لأنه يُمثل تمثيلاً صحيحاً .. نفسية الجبارة .. أو الديكتاتوريين .. في كل
عصر وحين ..
فهو ظاهرة متكررة في التاريخ .. تظهر في كل حاكم مجرم يتسلط على
الشعب .. ويفعل به ما يشاء ..
ولعل هذا هو السر في افاضة كتاب الله .. في سرد قصة فرعون وموسى ..
أكثر من أي قصة أخرى ..
لأنها قصة الصراع الخالد .. بين الحق والباطل .. بين أقصى الحق ممثلاً في
موسى .. نبي الله .. وأقصى الباطل ممثلاً في فرعون .. عدو الله ..
في مواضع كثيرة جداً .. من القرآن العظيم .. تجسد قصة موسى وفرعون ..
تفصيلاً أو إجمالاً .. إشارة أو عبارة .. من بعيد أو من قريب ..
تنبيهاً للناس جميعاً .. حاكمين ومحكومين .. إلى خطورة ظاهرة
الديكتاتورية ..

وأنها أخطر مرض يصيب الشعوب ..
وويل ثم ويل .. لشعب يحكه ديكتاتور .. أو طاغية .. أو جبار عنيدا .
انه سوف لا يقبل منهم .. إلا أن يسجدوا له ..
وسوف لا يرام إلا عبداً عنده .. عليهم أن يسبحوه .. ويعظموه ..
ويركعوا ويسجدوا .
عليهم .. إذا قال .. قالوا .. آمين ..
وإذا أشار .. تسارعوا الى حيث يشير ..
وإذا ثار .. تسابقوا إلى ما يُرضيه ..
يحولهم الى نعاج .. كبيرم وصغيرم .. ويدمر آدميتهم .. ويحطم
معنوياتهم .. ويذهب كيانهم ..
وسوف يرى منطق هذا الفرعون الحقير .. في ثنايا هذا الكتاب .. منطق
آلهة لا منطق بشر ..
منطق رب .. لا منطق عبد ..
ومن قبائح هذا المنطق أن رجال حاشيته المنافقين حين قالوا له :
« وقال القائل من قوم فرعون » ..
أي رجال الحاشية .. وكبراء القصر ..
« أتتر مومنى وقومه ليفسدوا في الأرض ..
« ويلدرك وأهلك » ١٢ .
ألسكت على هؤلاء .. وقد اجترءوا على ما اجترءوا عليه ١٢ .
فماذا كان منطق اللعين ١٢ .
« قال :

« سنقتل أبناءهم .
« ونستحيي نساءهم » ..
حق هنا منطق مجرم .. عزم على أقبح أنواع الإجرام ..
حق هنا .. هو بشر .. جبّار ..
ولكن هذا .. لا يُرضيه ..
انه يريد أن يتأله .. ويرتفع الى إله ..
ومن هذا الإحساس الحارق .. الذي يتلظى في بنيانه .. قال :
« وإنا فوقهم قاهرون » !.
لقد تسربل اللعين سربال الألوهية ..
فصدرت عنه تلك البغيضة .. التي لا يذبغي ان تصدر إلا عن إله ..
ثم انظر الى التعبير .. وإنا .. لم يقل .. إني .. ولكن « إنا » .. المذكور
يتكلم بمعظمة الجمع !.
فوقهم ؟ !. لم يقل « عليهم » وإنما فوقهم ..
انه هناك . في أعلى .. وهم تحت .. في أسفل !.
قاهرون ؟ !. حين تكلم الله عن نفسه قال « وهو القاهر فوق عباده » ..
الله يقول عن نفسه « القاهر » ..
أما هذا الدعي فيقول عن نفسه « قاهرون » !.
هذا إجرام ما بعده اجرام ..
كائن تافه .. يبول ويتغوط .
كائن مُنتن .. يتعالى .. ويتعالى .. وتبلغ به الحقارة .. أن يُعبر عن نفسه
مثل هذا التعبير ..

انها ظاهرة هي اخطر الظواهر .. في التركيب البشري ..
ظاهرة الجبروت .. أو الديكتاتورية ..
وهذا ما دعاني الى استباق الحوادث .. والبدء بتسجيل شيء عن تلك
الظاهرة .. في مفتتح ذلك الكتاب ..
لتنبية القارئ .. انه أمام أمر خطير .. خطير .. غاية الخطورة ..
أمام أضخم قصة في التاريخ .. قصة الصراع بين أقصى الحق ..
وأقصى الباطل ..
بين رسول الله .. موسى ..
وعدو الله .. فرعون !

تبدأ القصة ... من هناك ...
من يوسف؟ ...

الصعوبة .. كل الصعوبة ..
والثقل .. كل الثقل ..
والعسر .. كل العسر ..
والحمل .. كل الحمل ..
ليست في النبوة .. ولا في الرسالة ..
فلو ان النبوة أو الرسالة بقيت شيئاً لاهوتياً .. ونظرية فلسفية .. يشرثر
بها المشرثون .. ويلوكها المتجادلون ..
ما كانت هناك صعوبة ..
وإنما الصعوبة كلها .. ان تواجه الناس بالنبوة والرسالة ..
ان تدعو الناس .. ومنهم المحير .. والبقال .. والخنازير .. والجعارين ..
وأسفل من ذلك ..
ان تواجه هذه النوعيات .. وتدعوهم .. إلى الجمال .. والسمو ..
والأخلاق .. والايثار .. والتراحم .. والتعاون .. والتضحية ..
وهم أنانيون .. مجرمون .. أفاكون .. أغبياء ..
وها هنا الثقل الرهيب .. والعسر الشديد ..
الذي يمانيه .. كل نبي .. وكل رسول ..
حين يلقى عليه ربه الرسالة .. ويأمره بدعوة الناس إليها ..

وهذا هو بلاء الأنبياء الأعظم ..
الذي لو ألقى على جبل .. لتفتت وتلاشى .. من هول ما ألقى عليه!
ولكن الأنبياء والرسل .. يحملون ما تحمّلوا ..
لأنه أمر ربهم .. وحتم عليهم ان يحملوه!
ومن هنا كان الأنبياء والرسل .. أعظم خلق الله جميعاً ..
لأن بلاءهم اعظم بلاء ..
وحملهم أثقل الاحمال!
« الذين يُبلغون رسالات الله ..
ويخشونه ..
ولا يخشون أحداً إلا الله ، !
العهلاء .. أعظم العهلاء ..
من هم ؟! ..
الذين يُبلغون رسالات الله ؟! ..
لا أحد أعظم منهم .. لأنه لا احد حمله أثقل من حملهم!
أنا اعلم بهم .. وبما يحملون ..
ألقيت عليهم .. ثقلاً .. تهجز السماوات والارض .. ان تحمله ..
وهم حملوه .. وأذوه .. وجاموني .. وليس في ايديهم من الدنيا ..
من شيء ! ..
« إننا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ،
« قل لا أسألكم عليه أجراً ، !

كل الناس تعمل نظير العوض .. إلا هؤلاء الانبياء ..
يعملون .. لا يريدون دنيا .. ولا آخرة ..
وإنما يريدونني .. أنا !؟
ما اعظمهم .. ما أكرمهم .. ما أجلسهم !
سوف اعطيهم .. واعطيهم ..
أنا وحدي .. الذي يعلمهم ..
أنتم لا تعلمون عنهم شيئاً !
واسوف يعطيك ربك فترضى ، !
ما عملوا لأنفسهم .. قتل ..
وإنما لخير الناس .. ولخير أمهم .. فأبي عظمة تبلغ الى مقاماتهم !؟
وبعد .. هذه موجة عنيفة .. نفجرها بين يدي هذا الفصل ..
لتهز اعماقنا هذا ..
ونحن على ابواب موسى ..
ذلك الكبير من كبراء الانبياء .. عسى ان نستطيع فهم شيء من
عجائب الكلام !
ثم نقول .. تبدأ القصة .. من هناك .. من يوسف ..
منذ ان قال لاختوته : « وأتوني بأهلكم اجمين ، !
وإليك المشهد بجملاً : سجله الكتاب العزيز :
« اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم
اجمين ، » .

دعوة عامة .. من رئيس وزراء مصر آنذاك .. من الرجل الأمر الناهي ..
الذي يجلس على خزائن الأرض .. إلى اخوته أن يعودوا اليه .. ومعهم والدم ..
وجميع أهلهم .. رجالاً ونساءً ..

ويوسف يتكلم بصفته صاحب السلطة الفعلية في البلاد ..

فما كان الملك .. إلا ملكاً دستورياً ..

وإنما السلطة الفعلية في يد يوسف^(١) ..

« ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون ، » .

نبي يحد رائحة نبي ؟ .

من بُعد كبير .. وهذه صفة روحية من صفات الأرواح ..

يشم بعضها ريح بعض ! .

فماذا قال أهل الحجاب ؟ .

« قالوا تالله إنك لفي ضللك القديم ، » ؟ .

هكذا .. يصفون نبياً كريماً ! .

فارعوا الأبوة حرمة .. وما رعو للنبوة تكريماً ! .

وإنهم ليقسمون على ذلك « تالله » ؟ .

قضية مفروغ منها عندهم .. أن أباهم ينتقل من تخريف إلى تخريف ! .

لقد آذوا يعقوب أذى شديداً ! .

« اني لأجد ريح يوسف ، » ؟ .

جمالها عجيب ؟ .

انه يشم عبير يوسف ..

(١) راجع تفصيل ذلك في « حياة يوسف » .

يشم أزكى رائحة .. رائحة الجمال إذا تجلى ! .
ولكن أنسى .. لهؤلاء أن يفهموا ذلك .. ثم أنسى؟! .
ان الانبياء .. غرباء .. حتى عن اولادهم ! .
« فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني اعلم
من الله ما لا تعلمون ، ؟ .
لغتهم .. أسيادي .. وقررة عيني .. الأنبياء .. أجل لغة .. وأحلى تمبير ! .
ما جازاهم بقولهم قولاً غليظاً .. وإنما سما إلى أعلى وقال : « اني أعلم من
ما لا تعلمون ، ؟! .
وليفهموا منها .. أولئك الأبناء ما يفهمون ! .
فإنها من جوامع الكلم ..
تتوج منها بحار المعرفة ..
وتتفجر منها آلاف النواميس الإلهية ..
ان الخلق مراتب متراكبة .. بعضها فوق بعض « وفوق كل ذي علم عليم » .
الأدنى لا يرى الأعلى .. ولكن الأعلى يرى الأدنى .
فالأبناء أدنى ! . فهم لا يرون أباهم .. « انك نفى ضللك القديم » ..
والأب النبي أعلى .. فهو يراهم أجمعين « اعلم من الله ما لا تعلمون » ..
وما أن مس القميص وجه يعقوب « القاه على وجهه ، حتى رجع بصيراً ..
أي في أتم مراتب الإبصار ! .
شمّت الروح .. الروح ! .
وشمّم الأرواح .. لغة .. فوق لغاتنا .. يا أهل الحجاب ! .
اللهم صلّ وسلم . وبارك .. وبلغت تحياتنا وصلواتنا .. اليهم أجمعين ! .

« قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين .
« قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم » ١٢ .
حوار .. بين أبناء خاطئين ..
وَأب نبي كريم ! .
ووعده من نبي .. والأنبياء لا يخلفون الميعاد ! .
ثم ماذا ١٢ ! .
ثم شرع الجميع .. يعقوب .. وزوجه .. وأبناؤه .. وبناته .. وأبنائه
أبنائه .. وأبناء بناته .. وعبيدهم .. وخدمهم ..
بدءوا جميعاً .. في الاستعداد لرحيل إلى أرض مصر ..
وخرجوا وعلى رأسهم يعقوب .. بضع مئات .. ودخلوا مصر ..
« إن شاء الله آمين » ..
وخرج الملك .. وفي رفقته رئيس الوزراء .. والمسؤولون .. إلى
حدود مصر ..
واستقبلوا الشيخ النبي .. ومن معه .. أحسن استقبال .. حتى يتم استقبالهم
استقبالاً رسمياً ..
« فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء
الله آمين » .
هذا هو الاستقبال الرسمي .. للشيخ النبي .. ومن معه ..
« آوى إليه أبويه » ١٢ .
خصمهم .. أبوه .. وامرأة أبيه ..
بتكريم فوق العادة .. فوق تكريم سائر من معهم ..

تكريم الإبن النبي .. للأب النبي ..

تكريم تجلى فيه إحسان الأنبياء .. وما أدراك ما إحسان الأنبياء ١٢.

« ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا ابتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد احسن بي إذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

واستتمت النعمة .. والتقى الوالد والولد .. بعد أربعين عاماً أو يزيدون
- في قول -

« وجاء بكم من البدو » ١٢ .

من هنا تبدأ القصة ..

من تلك اللحظة .. يوم دخل يعقوب مصر على رأس أولاده وأحفاده .. في عهد يوسف ..

حيث كانت المقدرات كلها .. في يديه ..

« رب قد آتيتني من الملك » .

« وعلمتني من تأويل الاحاديث » .

« فاطر السماوات والارض » .

« أنت وليي في الدنيا والآخرة » .

« توفني مسلماً » .

« والحقني بالصالحين » ١ .

من تلك اللحظة .. بدأت القصة .. قصة بني يعقوب .. أو بني إسرائيل ..
في مصر ..

منذ دخلوها .. آمنين .. مُكرمين .. بضع مئات .. في عهد يوسف ..
الى أن تكاثروا في مصر .. حتى بلغوا نحو سبعمائة وخمسين ألفاً .. حين
فروا منها .. وعلى رأسهم موسى ..
وكانت قصة يا لها من قصة؟! ..
أحداثها عريضة .. ومشاهدها عجيبة .. ومناظرها مثيرة ..
كما سوف نشهد في ثنايا الكتاب .. هذا الكتاب ا .

ولقد مننا ... على موسى ... وهارون ...

الهناء .. كل الهناء ..
لمن كان عطاؤه .. من مرتبة المنّة ..
والعتب كل العتب ..
لمن كان رزقه .. ناتجاً عن العمل !
ذلك ان عطاء المنّة .. لا حساب عليه ..
ورزق العمل .. يُحاسب عليه .. من أين اكتسبه .. وفيم أنفقه !؟
أما عطاء المنّة .. فلا حساب .. « هذا عطاؤنا .. فامنن .. او أمسك ..
بغير حساب » !؟
لماذا ؟ . لأن أهل المنّة .. أهل الإحسان .. تجاوزوا مراتب التلون ..
وصعدوا إلى مراتب التمكين .. فأتاهم إحساناً بإحسان . هل جزاء الاحسان
إلا الاحسان ، !؟
فإذا فهمنا هذا دخلنا هذا .. دخلنا الى الكوكب المنير .. الذي اسمه
موسى .. عليه السلام ..
فأدهشنا منه .. أمر عجيب ..
تأمل معي قوله سبحانه :
« ولقد مننا على موسى وهارون ، !؟ .
ها هنا .. سر مكنون !؟ .
مَنَنَّا . !؟

موسى .. مِنَّةٌ .. من الله ..
ومقى كان مِنَّةٌ .. فسوف نمنُّ عليه .. ونمنُّ ؟!
بل وعلى أخيه .. الذي سوف يصاحبه .. «هارون» ؟!
سوف نقلبه .. من مِنَّةٍ .. إلى مِنَّةٍ .. من مولده .. إلى موته ..
حياته .. سلسله .. من المين .. وأمواج من لطائف المين !
كيف هذا .. وما دليل هذا ؟!
« والقد مننا .
« عليك .
« مرة اخرى .
إذاً هناك .. مِننٌ سابقة .. على هذه المرَّة ..
هناك سلسله من المين .. تترادف عليك يا موسى ؟!
هلمَّ معي .. ننظر كيف ذلك ؟!
انظر إلى دلائل المنَّة .. المتواصلة .. على موسى :
« وهل اتاك حديث موسى ، ؟!
« فلما أتاها نودي يا موسى ، ؟!
« وما تلك بيمينك يا موسى ، ؟!
« قال ألقها يا موسى ، ؟!
« قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ، ؟!
انظر .. إلى دلائل الحُب .. حُب الله .. اوسى ؟!
حديث موسى نُودي يا موسى . بيمينك يا موسى .. ألقها يا موسى ..
سؤلك يا موسى ؟!

خمس مرات .. يُذكر اسم موسى .. في سياق واحد .. من سورة طه ؟! .
فما معنى هذا ؟! . انه الحب .. ان الله يحب موسى .. ويجب ذكر اسمه .
فما دليل ذلك ؟!
دليله .. قوله :

« ولقد مننا عليك مرة اخرى .
« إذ اوحينا الى امك ما يوحى .

« أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالمهاجل يأخذه عدو لي
وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع علي عيني » ؟!

تأمل ممي .. تلك البدائع .. بدائع الحب ..

ولقد مننا .. عليك .. مرة أخرى ؟!

يذكره بلان المترادفة عليه .. وأنه يُقلَّب من منة الى منة .

ثم انظر الى تلك البديعة :

يأخذه .. عدو .. لي .. وعدو .. له ؟!

من كان عدواً .. لي ..

فهو أوتوماتيك .. عدواً .. لموسى ؟!

والعكس صحيح .. من كان حبيباً لي .. فهو حبيب لموسى ..

ولذلك قال بعدها مباشرة :

وألقيت .. عليك .. محبة .. مني ؟!

ألقيت ؟!

التعبير جميل .. جميل !
أنا أحببتك يا موسى ..
ومن أحببتة .. أحبه كل شيء .. وكل من يحبني ..
هكذا أو توماتيك نواميس !
ثم زدتك يا موسى .. أن كسوتك بحبة .. مني ..
فن رآك .. لا يستطيع إلا أن يحبك !
ثم تبلغ الملاطفة منتهاها :
ولتُصنَعَ .. على عيني ؟!
« إذ تمشي اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله .
« فرجعناك الى امك .
« كي تقرر عينها ولا تحزن .
« وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا .
« فلبثت سنين في اهل مدين .
« ثم جنت على قدر يا موسى ، ؟!
يا موسى .. مرة سادسة .. في نفس السياق ؟!
ثم الآية كلها .. سلسلة من المِثَالِ ..
مِثَالِ .. هل أدلكم على من يكفله ؟! هذه مِثَالِ .. كان يمكن ألا يلتفتوا الى
كلامها .. ويضيع الرضيع !
مِثَالِ .. فرجعناك إلى أمك .. وكان يمكن أن يرجع الى غيرها !

منة .. كي تقرر عينها ولا تحزن .. وكان يمكن أن تظل تبكي وتتقلب
في حزنها !.

منة .. فنجيناك من النعم .. وكان يمكن أن يقع عليه القبض .. من قوات
فرعون .. ويعاد الى مصر .. ويُعدم قتلا !.

منة .. فلبثت سنين في أهل مدين .. عشر سنين في أمن تام ..
وحياة هائلة !.

منة .. ثم جئت على قدر .. على ترتيب مقدر .. لا يستقدم ولا يستأخر .
ثم منة .. « يا موسى » .. مرة أخرى .. وكان يمكن أن يتم المعنى عند
« ثم جئت على قدر » .. ولكن « يا موسى » .. انه الحب !.

ثم منة المين :

« واسطعمتك لنفمي » ؟ !.

منتهى .. الشرف !.

وأقصى .. المين !.

وهكذا .. لقد كان موسى .. منة ..

أحبه .. فنَّ عليه ..

أو منَّ عليه .. فأحبه ؟.

فلما منَّ على موسى .. تشعشت المنة .. منه إلى قومه :

« وزيد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أممة
ونجعلهم الوارثين .

«ويمكن لهم في الارض وتُرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحلرون ، ا؟.

هكذا .. نريد أن نَمُنَّ على الذين استضعفوا ..

فاقتضى الأمر .. أن يكون هناك .. قائد ثورة ..

فوقع الاختيار .. على موسى ..

وَمَنْ عَلَيْهِ .. ليُحَقِّقَ به .. إرادة المنة على الذين استضعفوا ..

وكان ما كان ؟.

فسُبَّحان .. ثم سُبَّحان !.

أرضيه... فاذا خفت عليه... فألقيه!...

تُبدىء ... وتُعيد ...

كما قلنا مراراً .. ونعود .. فنكرره تكراراً ..
أن حياة الأنبياء .. حياة أنوار .. لا حياة حوادث ووقائع ..
وأن الخطأ الفاحش الذي وقع فيه كثير ممن كتبوا عن الأنبياء .. أنهم
سردوا وقائعهم للناس .. شغلهم بحوادث تاريخية ..
فكان هذا حجاباً .. حجب الكثيرين عن أبعج ما في الأنبياء ..
وهو .. نورهم الرواج .. الذي هو قرة عيون القلوب ..
ولور كثر الناس عيونهم .. على أنوار الأنبياء .. لأدركوا منهم أضعاف
أضعاف ما يدركون من حوادث الأنبياء ..
وكان كتاب الله العزيز .. يريد أن يلفتنا إلى هذا الاتجاه .. أن ننظر إلى
أنوار الأنبياء أكثر من نظرنا إلى وقائعهم ..

فيبدأ قصة موسى عليه السلام .. بقوله عز من قائل :

« وأوحينا إلى أم موسى .

« اب أرضعيه .

« فإذا خفت عليه .

« فالتقيه في اليم .

« ولا تخافي ولا تحزني .

« إن أرادوه اليك .

« وجاعلوه من المرسلين » .

اقرأ .. هذه الآية الكريمة .. مرات

ليتأكد لك أن حياة الأنبياء .. حياة أنوار ؟ .

الجو العام للحادث .. حادث مولد موسى ..

مجتمع كئيب .. رهيب .. يجلس من فوقه .. ملك مثاله قبيح ..

يتسلط على بني إسرائيل .. في وقاحة وكبرياء ..

أوامره صريحة .. يُذبح فوراً كل مولود ذكر .. يولد من إسرائيلية

وأمام عينيها ؟ .

ويترك الإناث .. زيادة في التنكيل بالمضطهدين ..

أجهزة مخبرات جهنمية .. لا تتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم ..

استرضاء .. للإله الحاكم ..

فزح .. ورعب .. وخوف ؟ .

في هذا الجو القاتم الأسود .. ولدت أم موسى .. طفلاً ذكراً ؟ .

ولسان حالها يقول : يا ليتني : ميتٌ قبل هذا ؟ .

ماذا أصنع .. في تلك المصيبة ؟ .

أقتله .. وأسلمه لزيانية فرعون .. ليذبحوه ؟ .

أم أخفيه .. ولكن كيف يخفي على مخبرات فرعون .. وقد وُضِع

الإسرائيليات تحت الرقابة الشديدة ؟ .

وقتل الخوف فؤاد أم موسى .. وشل تفكيرها ؟ .

هنالك .. حين تُسد الأبواب كلها في وجه الإنسان .. ويستعجم اليأس ..
يبقى غوث المغيث ؟

« وأوحينا ، أغثناها .. وعلنا حيرتها .. فجنناها ..
« الى ام موسى ، قيل كان اسمها « يوكابد » .. عليها السلام ..
« ان ارضعيه ، لا تسليه الى هؤلاء المجرمين .. وأرضعيه .. وضميه إلى
صدرك الحنون .. وانعمي بنعم الأمومة الكريم ..
« فاذا خفت عليه ، فإذا حدث .. واكتشفوا أمره .. وخفت أن
ياخذوه بالقوة لينبجوه ..

« فألقيه ، فاقذفيه ..

« في اليم ، في الماء .. في نهر النيل ؟

أمرٌ كله عجب ؟

فإذا خفت عليه من القتل بأيديهم .. فاقذفيه ليهلك غرقاً في الماء ؟

ها هنا العقل مشلول ؟

ولكنه وحي يوحى .. مرتبة فوق العقل ؟

وكان أم موسى .. انتقلت من فزع قتله بأيدي زبانية فرعون .. إلى فزع

قتله بإلقائه في البحر .. فكان الوحي :

« ولا تخافي ، اطمئي غاية الاطمئنان .. يا أم موسى ؟

« ولا تحزني ، وقرّي عينا ..

ما هذا ؟ هذا تكليف بما لا يطاق ؟

كيف يُطلب إلى أم هالمة .. ألا تخاف .. وألا تحزن ؟

هنالك .. نزل الإمداد .. إلى الفؤاد ..

فؤاد .. أم موسى ؟
« إننا » نحن الله ..
« رادووه » حتما . ووعدنا حقا ..
« اليك » أنت .. بالذات .. لا الى امرأة غيرك قط !
« وجاعلوه » حتما .. مقضيا ..
« من المرسلين » من أعظم عظماء المرسلين !
ما هذا ؟! كيف هذا ؟!
انه .. الله !
قوله .. الحق ..
ووعده .. الصدق ..
ووحيه .. أمر واقع .. ماله من دافع !
لا سبيل للخلق أجمعين .. إلى علم شيء هذا الوحي لسبب بسيط .. أنه كان
بين اثنين .. لا ثالث لهما ..
بين الله .. وبين أم موسى !
وهذه الآية تشير الى ذلك :
« إذاوحينا إلى أمك ما يوحي » ؟ ..
كان شيئا بيني .. وبينها ..
أنا ربي .. وهي أمي ..
أوحي ما أشاء .. إلى قلبها .. ولا يشعر أحد بشيء !
ان هذا المشهد .. أشهد .. أنه .. أنوار من فوقها أنوار ..
يقف العقل أمامه .. كأنه حمار !
وإلا فنبئني أيها السيد العقل : ما مدى فهمك في تلك الأسرار ؟!

اقذفيه ... في ... التابوت ؟...

اقذفيه ؟ ا .

اقذفيه ؟ ا .

من أصدر هذا الأمر ؟

أصدره .. الذي بيده ملكوت السماوات والأرض .. سبحانه ا .

وإلى من ؟ ..

الى التي تتوقع أن يهاجموها .. في أي لحظة .. وينتزعوا رضيعها ..
ويذبجوه أمام عينيها ا .

وهو أمر .. لا معقول ..

بل .. وراء اللامعقول ..

أم .. تخاف أن يذبجوا وليدها .. وأمر يقول لها .. اقذفيه إلى اليم ..
فاقذفيه في التابوت ..

يعني .. ارميه .. رمياً .. ولا تبالي .. يا يوكابد ..

الأمر .. يثير الرعب في فؤاد أم موسى .. أكثر مما يثيره رعب
توقع ذبحه ..

فماذا تختار ؟

هذه حيرة المظالم .. عظماء الأولياء .. وعظماء الأنبياء .. وعظماء
أمهات الأنبياء ..

هاهي أم موسى .. تدخل تجريرة رهيبة ..

إما فُبح الوليد .. وإما القائه الى البحر ..
وَمِنْ بَعْدِهَا .. أُم عَيْسَى .. الَّتِي اسْمُهَا « مَرْيَم » .. عَلَيْهَا السَّلَامُ ..
دَخَلَتْ تَجْرِبَةً أَعْنَفَ وَأَعْنَفَ ..
أَنْ تَلِدَ غُلَامًا .. اسْمَهُ الْمَسِيحَ عَيْسَى .. بِأَسْلُوبٍ .. لَمْ يَحْدِثْ قَبْلَهَا قَطُّ ..
وَلَنْ يَحْدِثَ بَعْدَهَا قَطُّ ..
تَجْرِبَةٌ تَجْمَعَتْ فِيهَا كُلُّ الْمُتَضَادَّاتِ ..
وَحِينَ فَاجَأَهَا الْخَاضِ .. صَرَخَتْ مِنْ أَعْمَاقِ بَاطِنِهَا .. فِي صَوْتٍ لَا يَسْمَعُهُ
إِلَّا اللَّهُ ..
« يَا لِيَتَفَيَّ مَتَّ قَبْلَ هَذَا .
« وَكُنْتُ نَسِيًا نَسِيًّا » ..
أَوْلَئِكَ .. أَدْخَلُوا تَجَارِبَ .. تَهْتَزُّ لَهَا الْجِبَالُ ..
مَا صَعِدُوا إِلَى الْمَرَاتِبِ الْعُلَى .. إِلَّا بَعْدَ أَنْ زُلْزَلُوا زَلْزَالًا رَهِيْبًا ..
عَلَى أُمِّ مُوسَى .. السَّلَامُ ..
عَلَى أُمِّ عَيْسَى .. السَّلَامُ ..
وَاخْتَارَتْ أُمُّ مُوسَى .. أَمْرَ رَبِّهَا الصَّادِرِ الْيَهُسَا .. بِقَذْفِهِ إِلَى الْيَمِّ ..
وَشَرَعَتْ فِي تَنْفِيذِ الْأَمْرِ ..
وَانظُرْ إِلَى الْجَمَالِ الْمُقَدَّسِ .. الَّذِي يَتَلَأَلُ .. مِنْ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ .. فِي كِتَابِ
اللَّهِ الْعَظِيمِ :
« وَتَقَدَّمْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى .
« إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى .
« إِنْ أَقْدَفِيهِ فِي الْعَابُوتِ .

« فاقذفيه في اليم .
« فليلقه اليم بالساحل .
« ياخذهُ عدوُّ لي وعدوُّ له .
« وألقيت عليك حبة مني ولتصنع على عيني ، !! .
اقذفيه في التابوت ..
احضري يا يوكابد .. صندوقاً .. وضعيه فيه ..
فاقذفيه في اليم .. واسرعي ولا تتباطئي .. واقذفي الصندوق في النيل ..
ولا تبالي ! .
وأمرٌ أعجب وأعجب ..
أمرٌ صادر إلى جماد ! .
فليلقه اليم بالساحل .. البحر مأمور أن يُلقي هذا الصندوق بالشاطئ ..
شاطئ النيل ..
أين ؟! . فالشاطئ يمتد الى أواسط افريقيا جنوباً .. وإلى البحر
الأبيض شمالاً ؟! .
في مكان معين .. محدد .. لا يزيد شبراً ولا ينقص ! .
في مكان .. سيُلْتَقَط فيه الصندوق .. من أشخاص بالذات ..
« فالتقطه آل فرعون ، ؟! .
تأمل .. أيها الماء تُخذ هذا الصندوق .. وألقه إلى ساحل النيل .. عند
قصر فرعون ..
ونفث الماء .. أمر ربه « فليلقه اليم بالساحل » ! .
لماذا عند قصر فرعون بالذات ؟! .

أسلوب من التحدي .. تُخذ هذا الطفل أيها الفرعون .. خذته « ليكون لهم
عدواً وحزناً » ..

كأنه يراد أن يقال : خذ هذه البندقية .. وأفرغها في صدرك !.
جمال عجيب .. وصنع متين .. لا يقدر عليه إلا الله !.

و فرعون هذا .. كان مضروباً من داخل تركيبه وبنياته .. هذا أشد أنواع
الضرب والتتكيل ..

فإن الضرب من الخارج .. يمكن مقاومته بوسائل الدفاع المحسوسة ..
أما الضرب من داخل تركيب الانسان .. فيستحيل مقاومته ..
وأعني بضرب فرعون من الداخل .. أن امرأته كانت عاقراً .. لا تتجيب
ولا تستطيع الإنجاب !.

تأمل .. إله .. عاجز أن يكون له ولد من امرأته .. أي انه أعجز من
نملة .. فإن النملة تتناسل .. ولكن المذكور يهجز عما تفعله النملة !.
وهذا الضرب من الداخل .. يزيد في غيظ الإله المذكور ..
فبينما هو يتعالى .. وينادي « انا ربكم الاعلى » .. إذا هو في نفسه .. أحقر
من ذبابة .. وأعجز من نملة !.

والجبايرة كلما تجبروا على الخلق .. زادهم الله صغارا وعجزاً في أنفسهم ..
وكأس بكأس .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..
هذا الملك .. الذي يتمنى طفلاً من امرأته .. ولو دفع فيه مُملكه كله ..
نسي كل ما أصدر من أوامر .. بقتل ذكور بني إسرائيل بمجرد ولادتهم ..
ويدا صغيراً حقيراً .. أمام زوجته الملكة .. حين فوجئت بالصندوق
راسياً على شاطئ القصر الممتد على النيل ..

ثم حمل الجوارى اليها الصندوق الذي وجدته .. بين المساء والشجر ..
ثم فوجئت مرة أخرى .. حين وجدت بداخله طفلاً .. ليس كمثل
جماله جمال ..

فجئنت بهُجَبًا .. « وألقيت عليك محبة مني » -

وحلت الملكة الطفل الجميل على يديها ..

وجاءت الى الملك بالمفاجأة ..

ولكن فرعون .. أراد في البداية أن يبدو قاهرًا .. ولكنه هذه المرة
صار مقهوراً ..

لقد أحس أنه يجب هذا الطفل .. أكثر من حب امرأته له ..

لماذا هذا الانقلاب ؟ ..

ان « ألقىت عليك محبة مني » .. تؤدي دورها ..

وآنست الملكة من الملك .. استعداداً ..

« وقالت امرأت فرعون .

« قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ » ..

انها تعزف على الوتر الحساس .. من فرعون ..

لي .. ولك ؟ ..

سرور لي .. وسرور لك ..

ودرّى في أعماق فرعون صوت امرأته .. وأحس انه يتهدم كله .. أمام

إغراء الرغبة في الولد من زوجته هذه ..

وجاء زبانية فرعون يهرعون ..

ليقتلوا هذا الطفل .. كما هي أوامر فرعون ..

فصاحت الملكة .. في صوت ناثر أمر :

« لا تقتلوه » ..

ونظر الزبانية الى إلههم .. ولكن الإله هذه المرة .. أمرهم أن ينصرفوا ..
فانصرفوا كالكلاب الضالة ..

وفي مشهد فريد .. حيث الملك والملكة وحدهما ..

والملكة تقبل الطفل وتضمه الى صدرها .. قالت :

« غمسي ان ينفعنا .

« او نتخذه ولدا » ..

واستمع فرعون الى صوت امرأته .. وهو يعاني من التمزق .. بين رغبته
في الولد .. وبين مقتضيات الملك ..

ولكنه تضعف واستسلم ..

والجبايرة حين يصدرون أوامرهم .. يصدرونها لكل الناس .. إلا أنفسهم
لأنهم شيء .. والناس شيء ..

سوّلت له نفسه .. أن تتبنى الملكة .. ذلك الطفل ..

وأن يربيه تربية ملكية .

وشاركته الملكة في التدبير لذلك والترتيب ..

« وهم لا يشعرون » وكلهم جميعاً .. لا يشعرون أن الله يدبر أمراً

لا يخطر على بالهم .

وأصبح ... فؤاد أم موسى ... فارغا ١٤...

مستحيل ... ثم مستحيل ...

أن يوجد تعبير .. أعلى .. ولا أرقى .. ولا أشمل .. ولا أكل .. من هذا
الذي بين يديك :

« وأصبح فؤاد ام موسى فارغاً » ..

لماذا؟ .. لأن الذي خلق .. أم موسى .. هو الذي يتكلم ..

الذي خلق .. الأمهات .. وركبهن في شق التركيبات .. هو الذي يتحدث .

وفرق ما بين كلام الله .. وكلام الناس .. كفرق ما بين الله والناس ..

ما هو الفؤاد؟ .. هو قلب القلب ..

وكيف أصبح فؤادها فارغاً؟ .

لأنها ألفت بيديها .. وليدها الى الماء ..

ووقفت العظيمة .. الكريمة .. ترقب الصندوق وهو يسبح فوق الماء ..

منظر إلهي .. فذ .. عجيب؟ .

طفل .. مضى على ولادته ثلاثة من الشهور .. في صندوق .. فوق ماء

النيل .. وحده؟ ..

وأم .. ضادت غريزة الأمومة .. وألفت به إلى الماء؟ ..

مشهد توحيد تجريدي ..

للسقط قوانين الأسباب كلها ..
ها هو الطفل . وقد انفصل تماماً عن الأسباب .. فلا أم لترضعه وعرعاه ..
ولا فراش ليدفئة ويؤويه ..
ولكن .. وحده .. وهو في عجز تام .. لا يدري ماذا يُصنع به ..
هنالك .. تجلى قوله تعالى :
« ولتصنع على عيني » ..
الأنبياء .. يصنعهم .. هو ..
ويريهم .. هو ..
ويُرسلهم .. هو ..
ولا يأذن لأحد قط .. أن يتدخل في تربيتهم ..
ماذا كان يدر في بنيان أم موسى في تلك اللحظة الخالدة ؟ .
قانون الأسباب .. يدفعها أن تراقب الصندوق .. لتعرف مصيره .. فلربما
دخل الليل .. وافترس تمساح وليدها .. أو أخذه الصبيان ليلعبوا به .. أو
سرقه لصوص البحار ..
إذن لا بد من الرقابة :
« وقالت لأخته قصيه » ..
تتبعي يا بُنية أخاك .. واحذري أن يشعر بك أحد ..
وسارت أخته .. وعيناها على الصندوق .. حيث يضطجع الوليد ..
« فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون » ؟ .
عن جُنُب ؟ .. عن بُعد .. من بعيد .. تراقب الصندوق ..
وهم لا يشعرون .. ولا يشعر أحد من الناس .. أن هناك فتاة .. تسير

مستترة مخبئة .. على الشاطئ المقابل .. تراقب هذا الصندوق ..
يا الله .. ان دموعي .. لتتهدر تأثراً .. من روعة ذلك المشهد الجميل ..
ان فيه رحمة عجيبة ..
هذا كله تدبير من أم موسى .. وأخت موسى .. يحتمه قانون
الأسباب الغريزي ..

ويحتم القانون كذلك .. أن يصبح فؤاد أم موسى فارغاً ؟ ..
لأن خوف الأم على وليدها غريزة مشروعة .. مركبة في تركيب الأمهات .
ولقد اشتد خوفها .. حتى كادت تتحدث وتصيح هلعاً وفزعاً على صغيرها .
« ان كادت لتبدي به » ..

لولا ؟ .. لولا ماذا ؟

« لولا ان ربطنا على قلبها » ..

هذا قانون فوق قانون الأسباب ..

قانون الأسباب .. يدفع الى الحزن والخوف والهلع .. « ان كادت لتبدي
به » .. أو شكت أن يظهر منها آثار الفزع والهلع .. والبكاء والصراخ ..
يفتضح أمرها للناس ..

ولكن حدث تدخل إلهي .. ونزل قانون فوق هذا القانون .. يلفيه تماماً
« لولا ان ربطنا على قلبها » .. اغلاق تام لأمواج الظلمات من قلبها .. لأمواج
الخوف والفزع .. وفتح تام لأمواج النور من قلبها .. لأمواج السكينة
والطمأنينة والسلام والتسليم ؟

« لتكون من المؤمنين » رقيناها .. إلى أمواج النور .. وأخرجناها من
الظلمات الى النور .. وأريناها .. فأبصرت ما لم تكن تبصر .. وعلمت ما لم
تكن تعلم .. وصارت من كاملات الإيمان .. وقم النور ؟

لقد كان يهدر في بليان أم موسى .. في تلك اللحظة ..
قانونان .. متضادان ..
قانون الأسباب .. يدفع الى التدبير .. والخوف والهلع ..
وقانون بضاده .. يدفع إلى التسليم .. والاطمئنان والتفويض ..
إلا انه حاكم .. على قانون الأسباب .. لأنه فوقه .. وأعلى منه ..
فلما كادت أن تبدي حزنها وخوفها .. نزل قانون أهل « لولا ان ربطنا
على قلبها » ..
فتبدلت أم موسى .. هنالك ..
وتلألأ أمام عين قلبها « ولا تخافي .. ولا تحزني .. إنا رادوه .. اليك » ؟ .

وحرّمنا ... عليه ... الأمراض ؟ ...

من قبل ١٢.

من قبل ماذا ١٢.

من قبل أن يولد موسى .. ومن قبل أن يُلقى إلى البحر .. ومن قبل أن يلتقطه آل فرعون ..

بل من قبل أن تكون هذه الحياة الدنيا بما فيها .. ومن فيها ..

بل من قبل خلق السماوات والأرض ..

من قبل هذا كله .. أردنا . وقدّرنا .. « وحرّمنا عليه المراضع » ١٢.

إنما هي أمور نبتدئها .. ولا نبتدئها ..

في هذه الكلمة « من قبل » إعجاز الإعجاز ..

وسبحان من ليس كمثل كلامه كلام ...

« وحرّمنا عليه المراضع من قبل »

« فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون » ١٢.

« وحرّمنا عليه المراضع »!؟

التحريم منا تحريم تكويني .. كن فيكون ..

حتماً يكون .. ومستحيل ألا يكون ..

موسى .. لا يرضع ثدياً قط .. غير ثدي أمه ..

وقد كان .. وقع حب الطفل .. من قلوب أهل القصر جميعاً ..

فرعون .. امرات فرعون .. الوصيفات .. الخدم .. الحشم ..
الجميع .. قد شفقه موسى حُباً ..
وبعد أن كان المفروض .. أن يقتلوه .. أصبحوا جميعاً يتسارعون إلى
المحافظة عليه .. ورعايته .!

وجعل الطفل .. يبكي ويصرخ .. من شدة الجوع ..
وجاءوه بأحسن المراضع .. من نساء القصر .. أو من خارج القصر ..
فرفضها جميعاً .. وأبى أن يرضع من ثدي واحدة منهم .!
لماذا؟! « وحررنا عليه المراضع من قبل » ..
هناك أمر إلهي .. صادر بذلك .. وم لا يشعرون .!
وأصدر الملك أمراً .. إلى الجميع .. أن يحضروا إليه فوراً .. امرأة ..
يقبل هذا الطفل الرضاعة منها .. وإلا هلك جوعاً ..
وانتشر رجال القصر يبحثون في كل مكان .. وكلما جاءوا بامرأة .. رفض
الطفل رضاعها .!

وكانت فرصة ذهبية .. انتهزتها مريم .. أخت موسى .. قالت لطائفة ممن
يبحثون عن مرضعة للطفل :

« هل أدلكم على أهل بيت » على أسرة طيبة تحسن الرضاعة ..
« يكفلونه لكم » يقومون برعايته ورضاعته وتربيته أحسن تربية ..
ويحملون عنكم جميع مسئولياته؟!
« وهم له ناصحون » يوجهونه دائماً .. إلى الخير والأخلاق الرفيعة .. في
أمانة وإخلاص .!

فلما سمعوا منها ما سمعوا .. هرعوا إلى الملك .. وأخبروه بخبرها ..

فأمر بإحضارها فوراً ..

فلما سمع الملك حديثها .. أمرها أن تسرع بإحضار تلك المرأة اليه ..

فعدت الى أمها .. تحمل اليها البشري ..

يا أماء .. ان وعد الله حق .. يا أماء ..

- أسرعي .. أسرعي .. فرعون يريد مقابلتك فوراً ..

ففزعت أم موسى .. وظننت أنها مقتولة لا محالة .. لأنها أخفت موسى ..

وعثروا عليه .. واكتشف الملك المؤامرة .. فأمر بقتل الطفل .. وقتل أمه

التي فعلت فعلتها مخالفة أوامره ! ..

فصاحت مريم بأمها : ليس الأمر كما تظنين .. الأمر عكس ذلك

تماماً يا أماء ! ..

- كيف يا بنية ١٢ . وما شأن فرعون بي .. وماذا يريد مني فرعون .. إلا

أن يقتلني ١٢ .

قالت مريم : كلا .. لقد التقطوا الصندوق .. وفتحوه .. وأخرجوا الطفل

منه .. فما أن رأوا جماله الفائق .. ونور وجهه .. حتى أحبوه جميعاً .. الملك

والملكة .. وجميع من بالقصر نساءً ورجالاً ..

قالت أم موسى : « إنا رادواوك اليك » ١٢ .

- نعم يا أماء .. ان وعد الله حقيق .. انهم يبحثون عن مرضعة ترضع

الطفل .. والطفل يابى أن يرضع من أي امرأة ..

قالت أم موسى : وماذا يريدون مني .. وماذا يصنعون بي ١٢ .

قالت مريم : رأيتهم وهم يلتهون بحثاً عن امرأة يقبل أخي الرضاعة منها ..

فقلت لهم « هل أدلكم علي أهل بيت يكفلونه لكم » ١٢ .

فصاحت بها أمها : اذن قد اكتشفوا الأمر .. ونحن جميعاً مقتولون لا محالة .

- كلا .. كلا .. يا أماء .. سوف ترين غير ذلك ..
- أسرعي .. أسرعي معي .. الى فرعون .. انه في الانتظار ! ..
فلما دخلت أم موسى .. الى فرعون ومن حوله .. وجدت الطفل على يديه
يصرخ ويتعجب من الجوع .. والكل لا يدري ماذا يفعل ..
فتناوته .. وألغمته ثديها .. فتبس ضاحكاً .. كأنه ملسك يضعك ..
وجعل يمص ثديها في نهم شديد !
فطار فرعون سروراً ..
وسُرت الملكة سروراً عظيماً ..
وعجب جميع الحاضرون والحاضرات ..
لساذا هذه المرأة بالذات !؟
سأها فرعون في ذلك : فقالت نحن أهل بيت طيب .. ونساؤه طيبات
البن .. وأفراة الحنان ..
وأشارت الملكة على الملك .. أن يدفعه اليها .. لترضعه في بيتها .. وأن
يقرر لها أجراً ضخماً .. نظير الرضاعة والحضانة .. على أن يحضروه إلى القصر
دائماً .. لينعموا برؤيته ! ..
وعلى الفور صدرت الأوامر الفرعونية .. أن يخصص لحاضنة موسى
مخصصات ملكية ..
وأن يوضع الطفل تحت رقابة القصر ..
وأن يأتيه مكرماً الى القصر يومياً .. ليراه الملك .. وتراه الملكة ..
ويطمئنون عليه ..
وفي مشهد من المشاهد الإلهية ..

جعلت الملكة 'تقبل الطفل وتقبه .. وهي تسلمه إلى الحاضنة .. وتوصيها
به خيراً ..

وخرجت أم موسى .. من قصر فرعون .. تحمل موسى ..

في موكب ملكي .. سار معها .. حتى بيتها ..

« فرددناه إلى أمه .

« كي تفر عينها .

« ولا تحزن .

« ولتعلم أن وعد الله حق .

« ولكن أكثرهم لا يعلمون ، !..

« .. فرجعناك إلى أمك .

« كي تفر عينها .

« ولا تحزن ، !..

المُتَرَبِّكُ ... فِيهَا ... وَلِيدًا ١٤ ...

قرت عين ...

أم موسى .. برضيعها ..
ومكث في حضنها .. ترضعه .. أكثر من سنتين ..
على حساب فرعون .. ومن مخصصاته الملكية الواسعة .
وعلمت أن وعد الله حق .. « إن ارادوه اليك » ..
وكان شأننا من شئون الله عجيبياً ..
طفل بين يدي أمه .. يُربى على حساب فرعون .. ويسعد البيت كله من
حوله .. بما يرد اليه من انعامات فرعون ! .
وأكلت أم موسى رضاعة الطفل ..
ورأى فرعون .. وامرأة فرعون .. أن يعود الطفل إلى القصر الملكي ..
وها هنا كان أمر آخر عجيب ..
دفع حرص فرعون وامراته .. على إحاطة الطفل ! . بكل أنواع الحنان ..
أن يصدر الأمر بانتقال أمه معه .. إلى القصر ..
لتقوم بتربيته وتدفيته بحنانها .. أمام أعينهم ..
وانتقلت الأم مع وليدها .. إلى القصر الملكي ..
وعاشت معه .. على مستوى الملوك .. أعلى مستوى في البلاد كلها ! .

إلا أن ما هو أعجب .. ان موسى .. صار بذلك .. «قوت عين» ..
لطرفين ضدين !.

فهو قرّة عين .. لأمه التي تلازمه .. وتنعم به .. تحقيقاً لقوله تعالى
« فرجعناك الى امك كي تفر عينها ولا تحزن » !..

وفي نفس الوقت .. هو قرّة عين .. للضد .. للطرف الثاني .. لفرعون
وامرأة فرعون !.

تجقيقاً لقوله تعالى :

« وقالت امرأت فرعون قوت عين لي ولك » !..

قدرة .. لا تكون إلا من القادر القدير المقتدر .. الذي هو على كل
شيء قدير ..

طفل واحد .. يكون قرّة عين .. لضدين .. لطرفين عدوين !.
الأم .. تفر عينها بموسى ..

والملك والملكة .. تفر عينها بموسى !؟

لماذا؟! السر هنا .. « وألقيت عليك محبة مني » !..

سبحانك اللهم .. سبحانك !.

وترعرع موسى .. على أعلى مستوى .. يتصور أن يترعرع عليه طفل
في الحياة !..

في الظاهر .. تربية حشدوا لها كل إمكانيات فرعون ..

قصور ملكية .. بما فيها من صنوف الأبهة والجمال ..

خدم من كل نوع ..

جوازي وعبيد ها هنا وهناك ..

رجال الكهنوت .. الذين هم أعلى طبقة مثقفة في البلاد .. والذين هم كل شيء
الكل شيء في ذلك العصر ..
يقومون بتعليم موسى .. أرقى ما عندهم من ثقافات عصرهم ..
نشأة يا لها من نشأة ! ..
وأمه إلى جواره .. تتقلب هي الأخرى في جنات ونعيم ! ..
هذا في الظاهر .. فماذا في الباطن ؟ ! ..
في الباطن « ولتصنع على عيني » ..
فلا شيء من مفاصد القصور الملكية .. وما أكثر ما فيها من فساد ..
يتسرب إلى موسى ..
لأن هناك رعاية وعناية عليا .. تعصمه من ذلك كله ..
هناك « على عيني » ! ..
فشب موسى .. عليه مهابة الملوك .. ظاهراً ..
وفي باطنه .. جلال الأنبياء .. وجمال المرسلين .. إلا أنه مستور .. لم
يؤذن له بعد بالظهور ..
تماماً .. كما وصفته تلك الفتاة التي صارت له زوجة من بعد :
« ان خيرَ مَنْ استأجرت القويُّ الأمين » ..
كأنها تنطق بلسان الغيب ..
القوي .. ظاهر الشخصية .. قوة الشخصية .. التي يهابها من رآها ..
الأمين .. باطن الشخصية .. المكنون .. الذي سوف يظهر من بعد .. حين
يبعثه الله رسولاً ! ..
وكلمة الأمين .. هي جماع صفات الأنبياء كلها ! ..

وقد نطقوا . أهل مكة بذلك .. قبل أن يكون عمده رسولا .. ووصفوه
واشتهر بينهم بالأمين ..

عاش موسى .. في قصور فرعون .. واطلع على ما فيها .. من مفاسد ..
ودسائس .. ومؤامرات ..

ورأى بعينيه .. ما يحدث من فرعون .. وهامان الرجل الأول في الدولة .
وما يصدر من أوامر .. ويحكيكون من مؤامرات .. ضد بني إسرائيل .
ورأى عجائب مخبرات هامان .. وأساليبه التي لا تخطر على البال .. في
الخلاص من أعداء فرعون وأعدائه ..

كل ذلك .. ليشهد موسى عمليا .. حقائق المجتمع الذي سوف يُبعث إليه
منقذاً .. ليخرجه من هذه الظلمات المتراكبة .. ويخلصه من ظنميين هذا
الطاغية الرهيب ..

فهو في القصور الفرعونية .. ليلاً ونهاراً ..

ولكنه ممنوع بقوة عليا .. من المشاركة في مفاسدها ومفاتيها .. قوة
« ولتصنع على عيني » ..

وهذه وحدها .. آية ..

ولكنهم لا يشعرون ..

ولبت موسى .. في القصور الملكية الفرعونية ..

حق بلغ أشده .. وصار شاباً .. ثم رجلاً عظيماً .. تهابه الأنظار ..
وققر له العيون ..

وقد لفت نظره فرعون .. فيما بعد .. الى تلك الفترة التي عاشها في قصره
ناعماً ..

« قال أم نربك فينا وليداً » .!

« وليبثت فينا عمرك سنتين » ١٢ .

ألم تُربّك فينا .. في قصورتنا . وبيننا .. واعتبرناك منا .. وما كان لك
أن ترتفع إلى مستوانا ..

وليداً؟! . التقطنناك حال ولادتك .. وكان المفروض أن أقتلك .. كسائر
الأطفال من بني اسرائيل ..

ولبثت فينا ١٢ . من حياتك ..

سنين ١٢! . سنين طويلة .. كنا نمدك فيها .. لتكون أميراً .. يا موسى ..

الآن .. تعود الينا .. وقد فررت عنا .. خوفاً من حكم الإعدام .. تعود
وتزعم أنك رسول من رب العالمين ١٢! .

العب لعبة غيرها .. فأنا أعرف من أنت .. ولم فررت ١٢! .

كان فرعون يريد أن يقول لموسى : فجأة .. تحولات يا موسى .. من مجرم
محكوم عليه بالإعدام .. وهارب من حكم الإعدام .. إلى رسول من رب العالمين .

من أسفل سافلين .. يا موسى .. إلى أعلى عليين ١٢! .

يا لك من مجنون! ..

تجد الإشارة الى مثل هذا المنطق الفرعوني .. في قول فرعون :

« ان رسولكم الذي أرسل اليكم مجنون » .

ان رسولكم .. منتهى التحقير .. رسولكم أنتم .. لا أنا .. فأنا فوق هذا

العبث المزعوم! ..

لمجنون ١٢! . منتهى الجنون .. لقد عاد اليها .. وقد تسربل بسزبال

الكهنوت .. ويا ليتته زعم أنه كاهن من الكهان .. ولكن ادعى قفزة واحدة

أنه رسول! ..

ثم ما هذه النبوة التي نزلت عليك فجأة يا موسى ١٢! .

أنسيت جريمتك .. التي هربت فراراً من عقوبتها؟! .
« وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين » !! .
وأنت لا تعرف ديناً .. ولا إيماناً .. والآن تأتينا رسولاً؟! .
يلجأ فرعون .. الى منطق خبيث .. لتعطيم شخصية موسى .. وصرف
أنظار الناس عنه ..
يريد أن يفهموا أن المحكوم عليه بالإعدام في جريمة قتل .. لا يمكن أن
يتحول فجأة إلى رسول ..

مؤامرة ... لقتل ... موسى ...؟

قال عز وجل :

« وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا » ..
« وقتلت نفساً ، يعني جل ثناؤه بذلك : قتله المصري ، حين استغاثه عليه الإسرائيلي ..

« فنجيناك من الغم ، تخلصناك .. من أن يصلوا الى قتلك .. وقسودك به .
« وفتناك فتونا ، اختبرناك اختباراً . قيل : هو البلاء على إثر البلاء ..
ما هي هذه النفس التي قتلها موسى .. وما تفصيل القصة ؟!

قال تعالى :

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها .
« فوجد فيها رجلين يقتتلان .
« هذا من شيعته وهذا من عدوه .
« فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه .
« فوكزه موسى .
« ففضى عليه .
« قال هذا من عمل الشيطان .
« انه عدوٌ مُضِلٌّ مبينٌ » .

« ودخل » موسى ..
« المدينة » العاصمة ..
« على حين غفلة من أهلها » عند القافلة .. نصف النهار .. حين يغفل سكان
العاصمة .. ويأوون إلى مضاجعهم من شدة الحر ..
« فوجد فيها » ففوجيء .. حين رأى ..
« رجلين يقتتلان » يريد كل منهما أن يبطش بالآخر ..
« هذا من شيعته » أحدهما من أهل دين موسى .. أين من بني إسرائيل ..
« وهذا من عدوه » من المصريين ..
وكان العداء مستحكماً بين الفريقين .. المصريون يسخرون بني إسرائيل ..
في أحقر الأعمال وأشقها بلا مقابل ..
ويُعامل بنو إسرائيل على أنهم عبيد .. منبوذون ليس لهم أن يرفعوا
رأساً .. « أن عبيدت بني إسرائيل » .
أي اتخذتهم عبيداً .. وسخرتهم في أشق الأعمال .. ولم تقف عند ذلك ..
فأمرت بذبح أبنائهم .. واستحياء نسائهم ..
كان موسى يشهد هذا كله .. وهو في القصر الملكي .. ولكننا لا نستطيع
أن نفعل شيئاً .. إلا أن باطنه كان يغلي بالغضب والثورة .. على الظالمين ..
والمطف والإشفاق على المظلومين ..
وها هو يفاجأ بمنظر زاده غيظاً على غيظ .. ها هو رجل مصري يريد أن
يسخر رجلاً من بني إسرائيل .: وها هو يضربه حتى كاد أن يقتله .. وها هو
الإسرائيلي يثور لنفسه المهانه ويحاول أن يذافع عن نفسه .. وتحول الأمر إلى
معركة دامية بينهما .. كل يريد أن يقتل الآخر .. أما المصري فنطقه .. كيف
يجرؤ هذا الحقير أن يعصى له أمراً ؟! . وأما الإسرائيلي فنطقه .. الى متى
هذا الذل وهذا الاستعباد ؟!

« فاستغاثه الذي من شيعته ، فما أن رأى الإسرائيلي موسى قادماً .. حتى
جعل يستغيث به .. ليدفع عنه هذا الظلم الفادح ..
« على الذي من عدوّه ، أن ينصره على هذا المصري ..
« فوكزه ، فثارت نائرة موسى بمجرد أن سمع صوت أخيه وهو يستصرخه .
فوكزه ؟! . فلكزه .. في صدره .. يجمع كفه ..
يقال : وكزته .. ولكزته .. ونكزته .. ونهزته .. ولهزته ، إذا دفعته .
« موسى » بضربة واحدة .. فيها كل الفيظ المكبوت ..
« فمضى عليه ، فقتله لغيره ..
فمضى عليه ؟! . أي لا أمل البتة في إنقاذه أو إسعافه .. ضربة قاضية ..
انه .. البطل .. الذي تعده الأقدار .. لحمل الأثقال .. أثقال إنقاذ شعب
بأكمله .. من قبضة فرعون وجنوده !..
وكان هذا الحادث .. إشارة .. إلى هذا الغيب ..
ان موسى .. سيضرب هذا النظام كله .. ويقضي عليه بضربة واحدة .
« قال هذا ، هذا الذي حدث ..
« من عمل الشيطان ، ما كان ينبغي أن أقتله .. وما كنت أظن أنه سيقتل .
لقد أخذ الندم سبيله إلى موسى ..
« الله عدو » ان الشيطان مضاد دائماً للإنسان .. يدفعه الى الشر ..
« مُضل » يدفع الإنسان الى الانحراف ..
« مبین » واضح الاضلال .. وواضح العداء للإنسان .
ووقعت المصيبة ..
إسرائيلي .. يقتل مصرياً ؟!

عبد من العبيد .. يقتل سيداً من السادة !..
وهاج الشعب المصري وماج ..
وتحولت إلى قضية سياسية .. من أخطر القضايا ..
كيف يجروا أحد العبيد .. على قتل أحد السادة !؟
قال المفسرون :

« خرج موسى يوماً ، على حين غفلة من أهل المدينة ، فوجد رجلاً مصرياً
يأخذ عبرانياً ليسخره في بعض عمله .
« فاستغاث العبراني بموسى ، فجاء إلى المصري ، ووكزه وكزة
كانت القاضية .
« فواراه التراب ..
« ولم يعلم بذلك الأمر سوى الرجل العبراني - الذي نصره موسى -
« وندم موسى على ما فعل ، وقال في نفسه : هذا الذي أتيت من عمل
الشيطان إنه عدو مضل مبين .
« وضرع إلى الله أن يتوب عليه ، وألا يحمسه ظهيراً للمجرمين ، وناصرأ
لأهل الشر .
« فلما كان اليوم الثاني خرج إلى المدينة ، وهو يخاف افتضاح فعلته
التي فعل ، .
ثم ذكروا :
ان المصريين لما عثروا على قتيل موسى ، ولم يعلموا له قاتلاً ، سبق إلى
فكرهم أن بني إسرائيل هم قاتلوه .
« فقالوا لفرعون : ان بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون ا .
« فخذ لنا بحقنا ، ولا ترخص لهم في ذلك .

« فقال : ابغوني قاتله ، ومن يشهد عليه ، لأنه لا يستقيم أن نقضي بغير
بينة ، فطلبوا له ذلك .

« فبينما هم يطوفون ولا يجدون .

« إذ مر موسى من الغد ، فوجد ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً ، فاستغاثه
الإسرائيلي - وهو الذي من شيعته - على الفرعوني - الذي هو من عدوه -

« فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى .

« وغضب موسى ، فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني .

« وفي الوقت ذاته قال للإسرائيلي (إنك لغويّ مبین) .

« فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس ، الذي قتل فيه الفرعوني .

« فخاف الإسرائيلي أن يكون إياه أراد بخذ ما قال (انك لغويّ مبین) .

« فحاجز الإسرائيلي الفرعوني وقال لموسى : يا موسى (أتريد أن تقتلني كما

قتلت نفساً بالأمس) ؟

« وإنما قال له ذلك مخافة أن يكون موسى إياه أراد بقتله .

« فانطلق الفرعوني فأخبر قومه .

« ورفعوا الأمر إلى فرعون .

« بأن القاتل هو موسى .

« فأرسل اليه الذبّاحين .

« في ذلكم الوقت خالف رجل شريف من آل فرعون قومه .

« وجاء إلى موسى من أقصى المدينة مسرعاً .

« ليسبق الذين يطلبون موسى من طريق مختصر .

« وأعلمه علم القوم وما دبروا عليه .

« وذلك من فتون الله له .

ونصح ذلك الرجل الشريف له أن ينجو بنفسه ، ويفارق بلاد مصر حتى لا تمتد اليه أيديهم بسوء .

« فقبل منه موسى هذه النصيحة الغالية .

« وذهب على وجهه يريد أرض مدين » .

« قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الففور الرحيم .

« قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيراً للمجرمين » .

توبة مريمة .. فاغفر لي ..

وقبول للتوبة .. فغفر له ..

« فاصبح في المدينة خائفاً يترقب .

« فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه .

« قال له موسى انك لغوي مبين » .

فزع .. وعب .. المدينة كلها تتحدث .. عن الجريمة ..

مصري يقتله أعداء الشعب .. قتله المجرمون بنو إسرائيل ! .

كيف يمرؤ أولئك العبيد على ارتكاب تلك الجريمة ؟!

هذا هو الحادث الأول من نوعه ..

لا بد من تلقينهم درساً لن ينسوه ! .

ولكن من القاتل ؟!

من هذا الذي اجترأ على هذه الفعلة الشنيعة ؟!

خائفاً ؟!

شديد الخوف .. يصل إلى مسامعه غضب المصريين .. وتوعدهم للقاتل ..
يترقب ا؟ . يتوقع بين لحظة وأخرى .. أن يكتشفوا أمره .. ويفتكوا
به فتكاً ا .

انها جريمة اليوم .. وحديث الساعة .. وثورة شعب ..

وازداد المصريون غضباً لعدم عثورهم على القاتل .. فصبوا غضبهم على
بني إسرائيل جميعاً .. ولم لا ا؟ . أليس القاتل منهم ا؟

وازداد بنو إسرائيل خوفاً .. أن يتحول هياج المصريين .. إلى محاولة
للانتقام منهم جميعاً ..

والشعوب إذا ثارت .. فقدت عقلها ا .

والغضب جرة من النار .. تتقد وتتلهب في جوف بني آدم ا .

« فلما ان اراد ان يبطلش بالذي هو عدوُّ لهما .

« قال يا موسى ا تريد ان تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟

« ان تريد إلا ان تكون جباراً في الأرض وما تريد ان تكون من

المصلحين » .

موسى يتعرض للفتنة مرة أخرى .. في اليوم التالي للجريمة ..

نفس الرجل الذي استغاثه بالأمس .. وتسبب في ارتكابه القتل .. يعود

فيستصرخه اليوم ضد فرعون في آخر ..

انه رجل مشاكس .. « انك لغوي مبين » .. لا يكف عن الشجار

والإجرام ..

وحين ثار موسى .. وأراد أن يبطش بالفرعوني .. ظن الإسرائيلي أنه إياه
يعني بالقتل .. فصاح : « يا موسى .. أتريد أن تقتلني .. كما قتلت نفساً
بالأمس » ؟ ! .

والتقطها الفرعوني .. من فم الإسرائيلي .. واكتشف أمر القاتل ..
انه .. موسى ! .

هو الذي قتل المصري بالأمس ..
وهرع المصري .. وأذاع الخبر ..
وتناقله المصريون جميعاً .. وانتشر على جميع الألسن ...
موسى .. هو القاتل ؟ ! .

هل سيقتله فرعون .. أم سيتغاضى وينفض الطرف ؟ ! .

سوف نرى .. هل يأخذ العدل مجراه .. أم أن فرعون سيكون له موقف
آخر .. لأن القاتل هو موسى .. عظيم القصر الملكي .. المحبب إلى فرعون ..
وزوجة فرعون ؟ ! .

قضية سياسية .. حساسة جداً ..

وضعت فرعون في أخرج موقف سياسي أمام شعبه كله ..

الموضوع واضح تمام الموضوع ..

لا يحتمل تسويفاً .. ولا مخادعة ..

موسى .. هو القاتل ..

ولكن موسى .. ليس من عامة الإسرائيليين .. ولكنه رجل عظيم من
عظماء القصر .. له وجاهته وأوضاعه ..

ويزيد القضية خطورة .. أنها قضية عنصرية ..
القاتل .. من بني إسرائيل .. من العبيد ..
والقتيل .. من المصريين .. من السادة !
واشتد هياج الشعب .. وتنادوا : الموت لموسى .. الموت لموسى !
وكان طبيعياً أمام هذا الهياج الشعبي .. أن يأمر فرعون باجتماع عاجل
لمجلس البلاط .. ومجلس الوزراء .. لإصدار قرار في أخطر موضوع
تواجهه البلاد !
ورأس فرعون الاجتماع الخطير ..
ولم يستطع أن يدافع عن موسى .. واضطر أمام إجماع المجلس على الموافقة
على اعدام موسى ..
وصدر الأمر الفرعوني .. بقتل موسى .. لأنه هو القاتل ..
وبمجرد أن أجمع المجلس على ذلك .. وقبل أن تصل القرارات الفرعونية ..
إلى أجهزة التنفيذ .. للقبض على موسى .. وإعدامه ..
تسلل أحد عظماء المجلس .. وكان شديد الحب لموسى .. يرى براءته ..
لأنه قتل عن خطأ وليس عن عمد ..
وسارع الى موسى .. وصاح به .. موسى .. موسى ..
فالتفت اليه موسى .. خائفاً يترقب .. كل أنباء سيئة :
• وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى •
• قال يا موسى •
• ان الملائكة ياتمرون بك •
• ليقتلوك •

« فاخرج »

« اني لك من الناصحين » ..!

يسمى ؟ ! .

يسابق الريح .. ليصل الى موسى .. قبل أن يصل الزبانية اليه ..

يا موسى !؟ موسى .. موسى .. يكلمه همساً .. لئلا يكتشف رجال
هامان أمره ..

ان الملا يأتمرون بك !؟ تركتهم وقد أصروا على اصدار الأوامر فوراً ..
بالقبض عليك .. تهدئة لثورة الشعب .. لم يعد أمام فرعون خيار .. فموقفه
يحتم عليه أن يجاري المجتمعين .. لإجماعهم على ضرورة قتلك .. أمام أعين
الشعب كله .. لتكون عبرة لجميع بني اسرائيل .. ألا يفكرون بعدها أن
يرفعوا رأساً ! .

ليقتلوك !؟ شر قتلة .. ويذبحوك بالسيف .. أمام الشعب كله .. ليهدأ
الشعب كله ! .

فاخرج !؟ الفاء للفورية .. اخرج الآن .. فوراً .. أسرع .. لاتضيع
وقتاً .. الثواني لها قيمة .. ربما جاءوا الآن .. وأخذوك فوراً ..

وعلى الفور .. وبدون ترتيب .. أو إعداد .. أو تفكير ..

« فخرج منها » فوراً .. هرب موسى .. من العاصمة .. واختفى
في الصحراء ..

« خائفاً » أشد الخوف .. فإن أجهزة فرعون .. وعيون هامان ..
تطارده في كل مكان ..

« يتربص » !؟ يتوقع أن يقع في أيديهم .. في أي لحظة ..

ان الشعب كله .. يتهامس : أين موسى .. كيف يهرب من دولة بأكلها
و كيف يخادع أجهزة هامان ؟! ..
والأجهزة كلها تطارده .. على أنه عدو الشعب الأول ..
هنالك .. كان موسى .. وحده .. بين الصحارى والجبال ..
تطارده دولة بأجمعها .. بكل امكانيات المطاردة التي تملكها الدولة
الفرعونية العاتية العتيدة ..
هنالك .. تحدى البطل .. كل هؤلاء ..
ونادى من أعماق أعماق فؤاده :
« ربّ نجّني »
« من القوم الظالمين » ..

فجائته ... إحداهما ...
تمشي على استجيا، ...؟

العظمة الموسوية ...

لا نستطيع التحليق الى مستواها .. إلا إذا تصورنا .. أننا أمام ..
كليم الله ..

يطل .. ولكن ليس كمثل بطل ..

شخصية عالية علواً بعيداً .. بعيداً ..

نادى ربه : « رب نجني من القوم الظالمين » .!

فاستجاب له ربه فوراً : « لا تخف نجوت من القوم الظالمين » .!؟

ونادى ربه : « رب انزلني من السموات الى خير قبور » .

فاستجاب له ربه فوراً : « فجاءته احداهما تمشي على استحياء .

« قالت : ان ابي يدعوك .

« ليجزيك اجر ما سئيت لنا » .!؟

قبل .. أن يتم دعاءه .. وقمت الاستجابة .!؟

وما ظنك والداعي .. كليم الله .!؟

اللهم صل وسلم .. على نبينا ..

اللهم صل وسلم .. على موسى !.

ثم ماذا .!؟ ثم نقول :

صُـب الخوف كله .. حول موسى .. وهو يفر على غير ترتيب .. في صحراء
مصر الشاسعة .. متجهاً نحو الحدود الشرقية ..
موقف .. من أعلى أعالي قم البطولة ..
رجل .. فرد .. تطارده دولة جبارة رهيبة ..
على رأسها فرعون .. ومن ورائه هامان .. صاحب الأجهزة الجهنمية ..
من المخبرات وأدوات التشكيل والتعديل !
ومن ورائهم .. جيش عظيم العدة والعتاد ..
وشرطة ها هنا .. وهناك ..
ومن وراء هؤلاء الجنود جميعاً .. شعب هائج نائر .. يتنادى : أين موسى ..
أين موسى .. الموت لموسى .. الموت لموسى !
تجد الإشارة إلى جبروت الدولة آنذاك في قوله تعالى :
« وتزري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » .
فرعون؟! هذا الرهيب .. الجبار ..
وهامان؟! هذا الخطير غاية الخطورة .. تكفي الإشارة منه .. فيقتل
من شاء .. ويسجن من شاء .. ويعذب من شاء ..
وجنودهما؟! ما هنا مفتاح من أخطر مفاتيح تحليل تلك الدولة الجبارة .
جنودهما؟! أي أجهزة فرعون الخاصة به .. وأجهزة هامان التي تتبعه
هو رأساً ! ..
دولة قائمة على المخبرات ..
للقصر مخبراته الخاصة .. التي تتبعه رأساً .. وتأتمر بأمر فرعون رأساً ..
وهامان .. له مخبراته التي تتبعه رأساً .. وتأتمر بأمره .. وإن كانت كلها
في خدمة الرأس العليا .. فرعون ..

دولة بوليسية رهيبة .. وهذا شأن كل دولة ديكتاتورية ..
هذه هي الدولة الرهيبة . التي تطارد بكل إمكانياتها .. موسى .. الرجل
الفرد .. الذي لا يملك أن يستقر لحظة ليستريح !.
وتلك هي البطولة .. في أعلى مراتب البطولة !.
وفتناك فتونا؟! .

زلزلناك زلزالاً .. من بعده زلزال .. من بعده زلزال !.
وألقيناك في بحر البلاء .. تقلبك أمواج كالجبال ..
لماذا نضعك في تلك المواضع الرهيبة ؟ ..
لأنك 'تصنع صناعة خاصة يا موسى ..
'ولتصنع على عيني' ..؟

'نلجئناك إلى تلك الزلازل .. ونضطرك إلى مصارعة تلك الأمواج ..
لتخرج منها .. بطلاً .. مدرباً على مصارعة الملايين .. وحده !.
وها هو موسى .. وحده ..
يصارع دولة .. وشعباً .. وحده ..
وفتناك فتونا؟! ..

وصهرناك .. في نار البلاء .. صهراً من بعده صهر .. من بعده صهر ..
لتخرج نقياً .. على أعلى أعالي النقاء والصفاء !.
ذلك موسى .. وهذه قطرة من بحار تربيته .. « واصطنعتك لنفسي » ..
ثم ماذا ؟ .. ثم فشلت فشلاً تاماً .. أجهزة فرعون وهامان .. أن تقبض
على موسى ..

واجتاز موسى .. حدود الدولة المصرية الشرقية ..

ودخل إلى أرض مدين ..
وقد تمزقت ثيابه .. وتخرقت نملاه .. ونخل بدنه .. وبلغ به الإعياء
منتهاه .. والجوع أقصاه ..
لقد مكث أياماً ولياليها .. يقطع الجبال والقفار .. بلا مأوى وبلا طعام
أو شراب ..
وكان أول ما فكر فيه .. أن يبحث عن ماء .. ليطفئ من عطشه الشديد .
« ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل » ..
« توجه بنفسه تلقاء مدين من غير قصد إلى مدين أو غيره ، بل خرج على
الفتوح ، وتوجه بقلبه إلى ربه ينتظر أن يهديه ربه إلى النحو الذي هو خير له ،
فقال : عسى ربي أن يهديني إلى أرشد سبيل لي (١) » .

« ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسهقون .

« ووجد من دونهم امرأتين تلدودان .

« قال ما خطبكما ؟

« قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء .

« وأبونا شيخٌ كبيرٌ » ...

قال صاحب اللطائف :

« لما وافى مدين شعيب كان وقت الهاجرة ، وكانت لهم بئر يستقون منها ،
فيصبون الماء في الحياض ، ويسقون أغنامهم ، وكانوا أهل ماشية .
« وكان شعيب النبي عليه السلام قد كَفَّ بصره لكثرة بكائه .
« ففي القصة أنه بكى فذهب بصره ، ثم رد الله عليه بصره فبكى ، فرد

(١) نقل عن « لطائف الإشارات » ... للإمام القشيري .

الله بصره فبكى حتى ذهب بصره ، فأوحى الله اليه : لم تبكي يا شعيب ؟ .. إن كان بكاؤك خوف النار فقد أمنتك ، وإن كان لأجل الجنة فقد أتحمتها لك .

« فقال : رب .. انما أبكي شوقاً اليك .

« فأوحى الله اليه : لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكلمي عشر حجج .

« وكانت لشعيب أغنام ، ولم يكن لديه أجير .

« فكانت بنتاه تسوق الغنم مكان الرعاة .

« ولم يكن لهما قدرة على استقاء الماء من البئر .

« وكان الرعاة يستقون ، فإذا انفضوا فإن بقيت في الحوض بقية من الماء

اسدت بنات شعيب .

« فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك ورآهما ينعان غنمهما عن الماء رق

لها قلبه .

« وقال : ما خطبكما ؟

« فقالتا : « لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، وليس

لدينا أجير .

« فلما انصرف الرعاة سقى لهما .

« ثم تولى الى ظل جدار بعد ذلك .

« كان الجوع قد أصابه خلال سفره ، ولم يكن قد تعود قط الرحلة

والغربة ، ولم يكن معه مال ، فدعا الله ..

« فسقى لهما .

« ثم تولى إلى الظل فقال :

« رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير » ..

« قيل طلب قوة تزيل جوعه .

- « وقيل طلب حالاً يستقل بها .
- « والأحسن أن يقال جاع فطلب كسرة يسد بها رمقه .
- « والمعرفة توجب سؤال ما تحتاج اليه من الله قليلاً أو كثيراً .
- « فلما انصرفت ابنتا شعيب خرج شعيب الى ظاهر الصحراء على طريق الماشية ليمسها بيديه .
- « فوجد أثر الزيادة في تلك الكرة ، فسألها فذكرتا له القصة ، وما سمعنا منه حين قال : « رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير » .
- « فقال شعيب : إذا هو جائع .
- « وبعث إحداهما لتدعوه ..
- « فجاءته إحداهما .
- تمشي على استحياء .
- « قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .
- « فلما جاءه وقص عليه القصص .
- « قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين » .
- « قيل انما استحييت لأنها كانت تخاطب من لم يكن لها محرماً .
- « وقيل لما دعت للضيافة تكلمت مستحيية - فالكريم يستحي من الضيافة .
- « ويقال لم تطب نفس شعيب لما أحسن موسى اليه وأنه لم يكافئه ، وإن كان موسى لم يُرد مكافئة منهم .
- « - فلما جاءه وقص عليه القصص - لم يقل : فلما جاءه قدم السفرة ، بل قال : وقص عليه القصص .. وهذا طرف من قصته .
- « ويقال : ورد بظاهره ماء مدين ، وورد بقلبه موارد الألس والرؤح .

« والموارد مختلفة ، فموارد القلب رياض البسط بكشوفات المحاضرة
فيطربون بأنواع الملاطفة .

« وموارد الأرواح مشاهد الأرواح ، فيكاشفون بأنوار المشاهدة ، فيغيبون
عن كل احساس بالذات .

« وموارد الأسماء ساحات التوحيد .. وعند ذلك الولاية لله ، فلا نفس
ولا حس ، ولا قلب ولا أنس .. استهلاك في الصمدية وفناء بالسكية !

« ويقال كانت الأجنبية والبعث عن المحرمية يوجبان إمساكه عن مخاطبتها ،
والإعراض والسكون عن سؤالها .. ولكن الذي بينهما من المشاكلة والموافقة
بالسر استنطقه حق سألها عن قصتها .

« ويقال : لما سألها وأخبرنا عن ضعفها لزمه القيام بأمرهما ، ليُعلم أن من
تفقد أمر الضعفاء ووقف على موضع فاقتهم لزمه إشكاؤهم .

« ويقال من كمال البلاء على موسى أنه وافى الناس وكان جائعاً ، وكان
مقتضى الرفق أن يطعموه ، ولكنه قبض القلوب عنه واستقبله من موجبات
حكم الوقت أن يعمل عمل أربعين رجلاً ، لأن الصخرة التي نحتها عن رأس البئر
- وحده - كان ينقلها أربعون رجلاً ، فلما عمل عمل أربعين رجلاً ، تولّى
إلى الظل ، وقال : ان رأيت أن تطعمن بعد مقاساة اللثيا والتي ..
فذلك فضلك !

« قال ذلك بلسان الانبساط ، ولا لسان أحلى من ذلك .

« وسنة الشكوى أن تكون إليه لا منك .. بل منه إليه .

« ويقال : تولّى إلى ظل الأُنس وروح البسط واستقلال السر
بحقيقة الوجود .

« ويقال قال : « رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير ، : فزدني فقراً ؛
فإن فقري اليك يُوجب استعانتك بك » .

ثم ماذا؟! . ثم نقول : هذه لطائف .. صاحب اللطائف .. في الآيات ..
فماذا هناك من شعثانيات؟! .
هناك مشاهد .. جلالها عجيب ..
شاب على القاية من القوة .. ظاهراً .. وباطناً ..
يتحدى دولة بكل أنواع التحدي ..
ويمتاز الحدود .. ويدخل الى أرض بلاد مجاورة .. لا سلطان
لفرعون عليها ..
يدخل تلك البلاد .. وهو في أشد الحاجة .. إلى الماء والطعام .. والمأوى ..
والأمن والاستقرار ..
ولكن أنسى له ذلك؟! .
رأى من بعيد .. جماعة غفيرة من الناس يتزاحمون .. فأدرك أنه بئر ماء ..
فتوجه إليه .. ليشرب! .
إلا أنه فوجيء بقانون الغاب .. يحكم هؤلاء المتزاحمين ..
الأقوياء سقوا أغنامهم .. وتفرقوا .. وأغلقوا البئر .. ألقوا عليه حجراً
غليظاً .. تنوء بحمله عشرات الرجال ..
ووقفت فتاتان طيبتان .. حبيبتان .. لا تدريان ماذا تفعلان؟! .
هنالك .. تلاً لألفي موسى ..
وتجلت منه .. صفاته العليا ..
الثورة للضعفاء .. والثورة لنصرتهم ..
« ما خطبكيا »؟! .

إعجاز عجيب .. يريد أن يقول لهما : لماذا ترتبان .. لماذا تبيكان ..
لماذا تضطربان .. لماذا لا تستطيعان سقي أغنامكما؟! ..
هو يعلم الجواب .. ولكن يريد أن يستفتح غوثها ..

« وقالتا ، كما هي عادة النساء .. يتكلن جميعاً .. بلا ترتيب .. كل منهن
تريد أن تتكلم ! »

« لا نسقي ، لا نستطيع أن نسقي أغنامنا .

« حتى يُصدر الرعاء ، يرجعوا بمواشيهم .. ويخلو المكان منهم ..
لا نستطيع مزاحمة الرجال .. ولا أحد يلتفت إلى مشكلتنا ! »

« وأبونا شيخ كبير ، لا يُطبق أن يسقي .. وإنما نسقي من
فضلات المواشي ! »

فماذا كان من الفق ؟! .

تسعثمت منه إشاعات البطولة والفتوة فوراً ..

نزع الحجر الغليظ وحده ..

« فسقى لهما ، الفاء للفورية .. فوراً سقى لهما جميع أغنامها ! »

ورأت الفتاتان لأول مرة .. « خلقتاً عظيماً .. لا عهد لهما بمثله ! »

ثم ماذا ؟! ، لم ينتظر منها جزاء ولا شكوراً ..

وإنما فعل ما فعل .. كأنه لم يفعل شيئاً مذكوراً ..

ثم ماذا ؟! ، ثم تولّى ، ثم توجه بعيداً عنها .. وهذا خلقتي رقيق آخر ..

لم يتلبث عندهما .. وإنما تولى عنها ..

« إلى الظل ، إلى ظل بعيد .. ظل شجرة .. من أشجار الصحراء ..

هنالك .. والجوع يُلصق أمعاه بعضها ببعض ..

هنالك .. حيث لا يفطن أحد اليه ..

هنالك .. ناداه ..

« رب » .

« اني .. لما أنزلت إلي .. من خير .. فقير » .!

هذا مقام .. الافتقار !.

ومن قبل .. كان في مقام الانكسار .. حين قتل نفساً .. ودخل في غم

شديد .. « فنجيناك من الغم » ..

ومن قبل .. كان في مقام الاضطراب .. حين اضطره اضطراراً .. أن

يفر .. وهو خائفاً يترقب .. « فخرج منها خائفاً يترقب » ..

وما هو الآن .. في مقام الافتقار « فقير » !.

ناداه .. من افتقاره .. ومن انكساره .. ومن اضطرابه .. فلنعم

المجيبون ! ..

« فجاءته » فوراً .. وهو في الظل .. عادت اليه فوراً ..

« احداهما » احدى الفتاتين ..

« تمشي » اليه .. وهذه مفاجأة أخرى ..

« على استحياء » وهي في منتهى الحياء والخجل والاضطراب ..

« قالت » لموسى .. الذي يجلس وحده في الظل .. يتضرع جوعاً ..

« ان ابي يدعوك » لتحضر اليه فوراً ..

ثم ماذا؟! سارت الفتاة .. وسار موسى من ورائها .. فجعلت الرياح

تكشف عن مفاتنها .. وهي تضطرب مسرعة في استحياء ..

ها هنا .. تلاً من موسى .. « خلقت رفيع آخر ..

أمرها أن تسير خلفه .. وهو أمامها .. وتدله على الطريق ..
ما هذا؟! .! هذا ترتيب عجيب .. هذه خطبة .. لتراه ويراها ..
ولتعلم هي من صفاته ..
وليعلم هو من صفاتها ..
ان الله .. يوجه موسى .. الى خطبتها .. ويوجهها الى خطبته .
وهما لا يشعران ا .
وتلك منة أخرى .. على موسى ..
انه يريد مجرد لقمة .. يسد بها جوعته ..
فتأتيه فوراً .. عروس جميلة .. تدعوه بنفسها إلى أبيها ..
لينقلب .. الخائف .. الطريد .. الشريد .. الجائع .. الغريب ..
إلى عريس .. ينعم بالحب والحنان .. وينزل في أكرم بيت في مدين ..
ويتزوج أكرم النساء .. وأجملها .. وأطيبها ! .
فكيف كان ذلك؟! .!

أريد ... أن أنكمك ... إحدو ابنتي؟! ...

دخل موسى ...

فوجد في انتظاره مائدة .. عليها أطيب الطعام ..
ويجلس على رأسها .. شيخ كبير .. في وجهه أمارات العظمة ..
ودلائل الكرم ..
قال الشيخ وهو يرحب بضيفه العظيم : الطعام أولاً .. ثم نتحدث ما شئت
ونحن على الطعام ..
وجعل موسى .. يأكل .. ولكن في زهد الأنبياء .. رغم جوعه الشديد !
والشيخ ينظر اليه في إعجاب ..
انه ينظر إلى نبي !
والأنبياء .. لهم إدراك غير إدراك البشر أجمعين !
قال الشيخ : ما قصتك أيها الفق الكريم ؟
فانطلق موسى .. يقص عليه القصة من أولها إلى آخرها ..
منذ أن التقطه آل فرعون .. الى عودته إلى أمه .. إلى تربيته في قصر
فرعون .. الى خروجه الى المدينة .. الى قتله للفرعوني على غير عمد أن يقبله ..
الى الحكم بإعدامه .. الى فراره من مصر كلها .. ومطاردة الدولة له بعيونها
وجنودها .. الى دخوله أرض مدين .. الى ما كان من تأثره البالغ حين وجد
ابنتيه « امرأتين تزودان » تمنعان غنمهما أن يردوا الماء .. الى دعوة ابنته له ..
حتى تلك اللحظة التي هو فيها ..

« فلما جاءه وقص عليه القمص » كل القمص .. كل ما كان وما حدث له
من وقائع وظروف ..

واستمع الشيخ اليه في انصات تام .. وعلم أنه أمام شخصية عظيمة ..
أمام بطل سوف يكون له شأن عظيم ..

ثم قال الشيخ لموسى : اهدأ يا بُني .. واطمئن تماماً .. فلا سلطان لفرعون
عليك بعد الآن .. وانزل في ضيافتي .. وفي جواربي .. فأنا شيخ هذه البلاد ..
قال موسى : وهؤلاء من ورائي ؟ .

قال الشيخ : « لا تخف .. نجوت من القوم الظالمين » .

حق هنا .. نعمة جليمة .. من الله على موسى ..

أمن .. طعام .. مأوى .. ثم صحبة شيخ عظيم .. كبير ..

من عظيمة .. ولكن هناك من أخرى .. قادمة اليه ..

أوجست الفتاة التي دعت .. أن تنقضي الضيافة .. وينذهب الفتي لشأنه ..
وتفعل الفرصة .. وتعود هي وأختها الى سقي الغنم .. ومعاناة المشقة اليومية
في تلك المهمة الصعبة ..

فألقت باقتراحها الرائع الى أبيها :

« قالت احداها :

« يا أبتِ استاجرهم .

« ان خير من استاجرت القوي القوي الأمين » .

وكانت قنبلة فجرتها الفتاة الرائعة ..

وفكر الشيخ الكبير : انه لرأي سديد ..

ان نستأجر هذا الشاب القوي .. ليقوم برعي الأغنام وسقيها ..

ويحفظ بذلك ماء الوجه من بناتي .. فلا يتعرضني للأذى ..
ثم تطورت الفكرة .. الى فكرة أحكم .. فيها دهاء الشيخ ..
لم لا يزوجه احدى ابنتيه هاتين ؟
فيربح ربحين .. ربح الأجير الذي يعمل له ..
وربح تزويج ابنته من شاب عظيم ا.
« قالت احدهما ، هي نفس الفتاة التي دعته إلى أبيها ..
« استأجره ، سارع الى استئجاره .. ولا تضيع وقتاً .. فلربما تركنا في
أي لحظة ..

« ان خير ، ان أحسن ..

« من استأجرت ، من استعملت في أعمالك وأمورك ..

« القوي ، القادر على تبعات العمل .. الصابر على مشاق التعب ..

« الأمين ، الذي لا يخون ولا يفدر .. وإنما هو على ما أتمن عليه حفيظ ..

فزح الشيخ .. أنسى لهذه معرفة صفات هذا الشاب ؟

قال لابنته : كيف عرفت ذلك ؟

قالت : أما قوته . فحين نزع وحده الحجر الذي على البئر .. الذي
لا يقدر على نزعه الكثير من الرجال ولو اجتمعوا له .. وأما أمانته فحين جاء
معي اليك .. ورأى ما تفعل الرياح بثيابي .. فأمرني أن أستأخر ويستقدم
هو أمامي حتى لا يراني !.

هنالك .. تفاعلت الفكرة في رأس الشيخ الكبير .. وفاتح موسى :

« قال :

« اني أريد ان أنكحك احدى ابنتي هاتين .

« على أن تأجرني ثماني حجج .
« فان أتممت عشرأ فمن عندك .
« وما أريد ان اشق عليك .
« ستجدني ان شاء الله من الصالحين » .
« اني أريد » اني أرغب رغبة شديدة .. وعزمت عزماً أكيداً ..
« أن أتكحك » أن أزوجك .
« إحدى ابنتي » واحدة منها .. اختر من شئت .. إما هذه ..
وإما هذه .
« هاتين » وأشار الشيخ الى ابنتيه .. الحاضرتين معها ..
وترك لموسى الاختيار ! .
« على » شرط واحد ..
« أن تأجرني » أن تثيبني من تزويجكما ، رعي ماشيتي ...
« ثماني حجج » ثماني سنوات .
« فان أتممت عشرأ » فإن عملت لي عشر سنوات .
« فمن عندك » ليس إلزاماً عليك .. وإنما تفضلاً منك ..
« وما أريد أن أشق عليك » بإلزامك بالوفاء بالعشر سنين ..
« ستجدني ان شاء الله من الصالحين » .. في حسن الصحبة ، والوفاء
بما قلت ..
وكان عرضاً جميلاً .. تلقفه موسى .. وقبله على الفور ..
واختار موسى .. منها .. تلك التي دعته إلى أبيها ..
حيث كانت الخطبة بينها .. قد وقعت ..

وحيث عبرت عن إعجابها به بقولها « القوي الأمين » ..
والإعجاب .. أول الحب ا .
وأعلن موسى .. فوراً .. قبوله الزواج من التي اختارها .. ورحب بذلك
ترحيباً عظيماً ..
ثم أعلن قبوله لما اشترطه الشيخ :
« قال ذلك بيني وبينك .
« أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي .
« والله على ما نقول وكيل » .
« قال » موسى .. مجيباً له .. راغباً لقبول ما ألقاه من الكلام ..
« ذلك » الوقت الذي عينته ملازماً لي أولاً ..
« بيني وبينك » معهود ثابت مقرر معقود عليه .. كما أمرتم وحكتم ..
والذي قلتم ثانياً تبرع مني ان قدرت على اتيانه بتوفيق الله وتيسيره .. كما
قررتم أنتم أيضاً .. وبالجملة ..
« أيما الأجلين » يعني أجل الالتزام .. أو أجل التبرع ..
« قضيت » يقع المهود بلا تردد ..
« فلا عدوان » ولا تعدي .. ليس لك أن تتعدى على مطالبتي بأكثر منه .
« علي » بعد انقضاء كل واحد من الأجلين ..
« والله » الشهيد .. المطلع على عموم أحوال عباده ..
« على ما نقول » من المشاركة والمعاهدة :
« وكيل » حفيظ .. يحفظها على وجهها .. أو شهيد على اتفاقنا ..

وهكذا .. تزوجها موسى .. على صداق .. أن يعمل لشعيب .. ثماني سنوات .. أو عشر سنوات !.

وكان عقد نكاح .. اجتمع فيه .. الخير والبركة .. للطرفين ..
الطرف الأول .. الشيخ الكبير .. ربح كثيراً .. ضمَّ الى الأسرة ..
قوة جديدة .. على مدى عشر سنين ..
شاب عملاق .. قوي .. أمين .. فارس .. مقدم .. لا يهاب الخطوب ..
ولا تنزل له الأحداث ..

ومهنة الرعاة .. أحوج ما تكون الى الأقوياء الشجعان ..
وربح الشيخ .. زوجاً كريماً .. لابنته ..
وربح اعفاء ابنتيه من الحرج .. حين كانتا تضطران الى رعي الأغنام ..
وسقي الماشية .. وهو عمل لا طاقة للنساء بأدائه ..
وأما الطرف الثاني .. موسى .. فكان ربحه وفيراً ..
تحوّل الشاب .. الطريد .. الشريد .. الخائف .. المترقب .. الغريب ..
الذي لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد .. ولا يجد طعاماً ولا شرباً .. ولا
ماوى ولا أمناً ..

تحوّل في لحظة .. الى صاحب بيت .. وزوج لابنة الشيخ .. وصهر له ..
ينزل من البيت حيث يشاء .. في أمن تام .. وإكرام وتكريم ..
وهكذا .. ناداه .. « رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير » ..
فاستجاب له ربه : « فجاءته أحدها تمشي على استحياء » !.
وفاجأه الشيخ .. بما لم يخطر على قلبه : « أريد ان أنكحك .. احدى
ابنتي هاتين !.
منّة أخرى !.

« ولقد مننا عليك مرة أخرى » ا.

وعاش موسى عشر سنين .. في صحبة شيخ كريم ..
يربيه .. ويهديه .. ويرقيه .. ويعلمه .. « وأبونا شيخ كبير » ..
شيخ كبير .. يتلمذ على يديه .. موسى .. ويتعلم منه الكثير .. على
امتداد عشر سنين ..

وهكذا .. نزعه من قصر فرعون نزاعاً ..

وأخرجه من مصر إخراجاً ..

وألقاه .. الى الشيخ وهو لا يدري !.

فأبد له من صحبة فرعون .. صحبة شيخ عظيم ..

بعد أن أطلعه على حياة فرعون .. ومفاسد قصوره ..

نقله الى حياة شيخ عظيم .. لينهل من سلسبيله ..

أما فترة حياته مع فرعون .. فحكمتها أن يكون على الإمام تام بأحوال

غريمه .. حتى إذا جاءت لحظة الصراع .. كان موسى مؤملاً للقاء فرعون ! ..

يا موسى ... إني أنا الله ...
رب العالمين !

أشهد ...

اني ظلمت نفسي .. ظلماً كثيراً ..
إذ يمت وجهي .. إلى الأنبياء .. لأكتب عنهم ..
إنهم لا يُدرّكون .. ولا يحاط بهم ..
ولا يُعلمون .. ولا نعلم عن حقائقهم شيئاً مذكوراً ..
فاغفر لي .. فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ..
أقرر ذلك .. تقريراً لمعجزتي وضعفي وقلة حيلتي .. وأنا أمام أمر جسيم
عظيم كريم خطير ..
أمام أجل لحظة .. وأعلى لحظة .. وأخطر لحظة .. من حياة موسى ..
أمام أجل مفاجأة .. وأسمى مفاجأة .. وأحلى مفاجأة ..
أمام أعظم منة .. وأضخم منة .. وأكبر منة .. على موسى ! .
أحاول تصورها .. فلا أستطيع ..
وأحاول إدراكها .. فأرتد خاسئاً وأنا حسير ! .
فباسمك اللهم .. أبدأ .. وعليك أتوكل ..
قال تعالى :

• • • قلبت مسنين في أهل مدين •

« ثم جئت على قدر يا موسى » .
لبث موسى في أهل مدين .. عشر سنين ..
حياة هادئة .. بسيطة .. على الفطرة ..
ثم اشتاق موسى الى أرض الوطن .. وإلى أهله بمصر ..
فخرج من مدين .. ومعه زوجته .. وأولاده .. والأغنام التي وهبها له
الشيخ الكبير ..
وسارت القافلة الصغيرة في صحراء سيناء .. ووجهتها مصر ..
وفي ليلة شاتية .. رياحها عاتية .. وبردها زمهرير .. ضل موسى طريقه
وسلك طريقاً غير الطريق السوي ..
ثم كانت الشدة أن امرأته .. فاجأها الطلق .. وجعلت تعاني آلام الولادة .
فاشتد الأمر على موسى .. وجعل يبحث عن سبب من أسباب الدفء في
تلك الظلمات الشديدة .. والعواصف الرهيبية .. فلم يجد شيئاً يسعفها في
هذا السبيل ! .
وفجأة .. رأى ناراً .. على بُعد .. تتوقد وتتوهج ! .
« وهل أتاك حديث موسى »
« إذ رء ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقعس أو
أجد على النار هدى » .
« وهل أتاك » وقد ثبت وتحقق عندك ..
« حديث » أخيك ..
« موسى » الكلم .. وقصة انكشافه من النار التي احتاج اليها هو وأهله ..
في الليلة الشاتية المظلمة .. اذكر يا أكمل الرسل وقت ..

« إذ رأى ، موسى ، ..
« ناراً ، مطلوبة ، له لدفع البرودة .. ولوجدان الطريق في الظلمة ..
« فقال لأهله ، المحتاجين إليها في تلك الليلة ..
« امكثوا إني آنست ناراً لعلي ، أوانس عندها مع إنسان أستخبره عن
الطريق .. وحين رجوعي نحوكم ..
« آتيكم منها بقبس ، جذوة نار تصطلون بها ..
« أو ، أتخذ منها سراجاً ..
« أجد على النار هدى ، أي مع السراج المسرجة هدى .. طريقاً موصلًا
إلى مطلوبنا .

وفي سورة القصص :

« فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال
لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار
لعلكم تصطلون ، .

قال صاحب اللطائف :

« مضت عشر حجج ، وأراد موسى الخروج الى مصر .
« فحمل ابنة شعيب ، وسار بأهله متوجهاً الى مصر .
« فكان أهله في تسييره ، وكان هو في تسيير الحق .
« ولما ظهر ما ظهر بامرأته من أمر الطلاق استصعب عليه الوقت .
« وبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً - أي أبصر ورأى -
« فكانه يشير الى رؤية فيها نوع أنس .
« وإن الله إذا أراد أمراً أجرى ما يليق به .

« ولو لم تقع تلك الحالة لم يخرج موسى عندها بإيناس النار .
« وقد توهم - أول الأمر - أن ما يستقبله في ذلك الوقت من جملة البلايا .
« ولكنه كان في الحقيقة سبب تحقيق النبوة .
« فلولا أسرار التقدير - التي لا يهتدي إليها الخلق - لما قال لأهله :
« امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر » .
« ويقال : ألح له ناراً ، ثم لوح له نوراً ، ثم بدا ما بدا ، ولا كان المقصود
النار ولا النور .

« وإنما سماع نداء : « إني أنا الله رب العالمين » .
والآن .. ندخل الى ما تتبشش له القلوب .. وتهش له الأفتدة ..
ويقف العقل أمامه .. مشلولاً مغلولاً .

« فلما أتاه نودي يا موسى .

« اني أنا ربك .

« فاخلع نعليك .

« انك بالواد المقدس .

« طوى ..

« فلما أتاه » فلما أتى موسى النار مسرعاً .. ليرجع اليهم سريعاً ..

« نودي » من جانب الشجرة الموقدة عليها النار .. ليقبل اليها ..
وينكشف منها السر ..

« يا موسى » المتحير في ببداء الطلب .. اطلبني من هذه الشجرة الموقدة ..
ولا تستبعد ظهوري فيها .. حق انكشف لك منها ..

« إني » وإن ظهرت على هذه الصورة المطلوبة لك ظاهراً ..
« أنا ربك » ومطلوبك الحقيقي حقيقة .. الذي قد رببتك بأنواع اللطف
والكرم وابتليتك بأنواع البلاء في طريق المجاهدة .. لتوجه إليّ فتعرفني .. فالآن
قد ارتفعت الحجب والقيود .. وتحققت بمقام الكشف والشهود ..
« فاخلع نعليك » واسترح عن الطلب .. بعد وجدان الأرب .. وتمكن في
مقعد الصدق ..

« انك بالواد المقدس » عن رذائل الأغيار مطلقاً ..
« طوى » أي طويت عنك التوجه الى الغير ..
وفي سورة القصص :

« فلما أتاه نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة
ان يا موسى إني أنا الله رب العالمين » ..
قال صاحب اللطائف :

« أخفى تعيين قدم موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال : « من
شاطئ الواد الأيمن » .

« ثم قال : « في البقعة المباركة » .

« ثم قال : « من الشجرة » .

« وأخلى بأن تكون تلك البقعة مباركة .

« فعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة ، وأعز الأماكن في العالم
مشهد الأحباب .

« ويقال : كم قدم وطئت تلك البقعة ، ولكن لم يسمع أصحابها بها شيئاً .

« وكم ليلة جنت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شعلة ! .

« ويقال : شتان بين شجرة وشجرة ؛ شجرة آدم عندها ظهور محنته
وفتنته ، وشجرة موسى وعندها افتتاح نبوته ورسالته ! .

« ويقال : لم يأت بالتفصيل نوع تلك الشجرة ، ولا يُدري ما الذي
كانت ثمره ؟

« بل هي شجرة الوصلة وثمرتها القرية ، وأصلها في أرض المحبة ، وفرعها
باسق في سماء الصفوة ، وأوراقها الزلغة ، وأزهارها قنفتق عن نسيم
الروح والبهجة .

« فلما سمع موسى تغيير عليه الحال .

« ففي القصة : أنه عُشى عليه .

« وأرسل الله الملائكة اليه ليروحوه بمراوح الأُنس .

« وهذا كان في ابتداء الأمر ، والابتداء مرفوقٌ به .

« وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى .

« إنني أنا الله لا إله إلا أنا .

« فأعبدني .

« وأقم الصلاة للذكري .

« ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى .

« فلا يُصدّنك عنها مَنْ لا يؤمن بها واتّبع هواه فتردى ، . . .

« و » لم يبق لك احتياج الى الاستكمال والاستهداء .. وبعد وصولك الى

مقام الكشف والشهود ..

« أنا اخترتك ، واصطفيتك من بين المكاشفين للتكميل والرسالة على الناس

الناسين التوجه الى بحر الحقيقة .. فعليك التوجه إلى الاهتداء .. والتجنب عن
الميل إلى مطلق الهوى ..

« فاستمع » واقتصر في إرشادك ورسالتك ..

« لما يوحى » اليك من مقام جودنا .. ولا تلتفت الى الأهواء الفاسدة ..
حق لا تضل أنت بنفسك .. ولا تضلهم عن السبيل .. فبلّغ الى الناس نيابة
عني .. وحكاية مني ..

« إنني أنا الله » الواحد الأحد .. الفرد الصمد .. المحيط بجميع
مراتب الأسماء ..

« لا إله » ولا جامع لجميع المراتب ..

« إلا أنا » يجمعها .. المحيط بكلها .. المستحق للإطاعة والانقياد ..

« فاعبدني » أنت حق عبادتي .. فأحسن الأدب معي .. وتخلق بأخلاق ..

« وأتم الصلاة » وداوم بجميع الأعضاء والجوارح ..

« لذكري » أي توجه نحوني بعموم أعضائك وجوارحك .. لتذكرني بها ..
وتشكرني يجمعها .. حتى انكشف لك من كل منها .. بحيث كنت سمعك
وبصرك ويدك ورجلك إلى غير ذلك .. من سائر جوارحك وآلاتك .. حتى
قامت قيامتك الكبرى .. ووقت بين يدي المولى .. وتمكنت في جنة المأوى ..
عند سدرة المنتهى .. التي ينتهي ويرتقي اليها عروجك في الصعود والارتفاع ..

ثم قال سبحانه .. تعلما لعباده .. وحثا لهم على طلب الانكشاف التام :

« إن الساعة » أي ساعة الانكشاف التام .. الذي لم يبق معه ودونه
الطلب .. مثل انكشافك يا موسى ..

« آتية » حاصلة .. حاضرة .. لكل أحد من الناس .. دائماً في كل
آن لكن ..

« أكاد أخفيها » أي أقرب حسب حكمتي .. أن أخفي ظهورها لهم
وإطلاعهم عليها ..

« لتُجزى » وتتمكن ..

« كل نفس » بمرتبة من المراتب الإلهية ..

« بما تسمى » أي بحسب ما تجتهد فيه .. وتكتسب من امتثال الأوامر
واجتناب النواهي .. الجارية على ألسنة الرسل .. لئلا يبطل سرائر التكليف ..
وأحكام الشرائع .. وإذا كان الأمر كذلك ..

« فلا يصدنك عنها » ولا يصرفنك عن الأمر بالانكشاف التام اعراض ..

« من لا يؤمن بها » تقليداً .. حتى يطلبها تحقيقاً .. بل قد أنكرها
وأعرض عنها ..

« واتبع هواه » المضل اياه .. في تيه البعد والحرمان ..

« فتردى » انت وتهلك .. بمتابعته في بيداء الجهل والخذلان ..

انتهى ما قاله صاحب « الفواتح الإلهية » في تفسير الآيات !.

فماذا عند أهل الكتاب .. في تصوير ذلك المشهد المقدس ؟!

قالوا :

« وظهر له ملاك الرب بلهيب نار ، من وسط علية .

« فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق .

« فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم .

« لماذا لا تحترق العليقة؟! »

« فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال :

موسى موسى .

« فقال : هاندا .

« فقال : لا تقرب إلى ههنا .

« اخلع حذاءك من رجلك .

« لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة .

« ثم قال أنا إله أبيك ، إله إبراهيم ، وإله اسحاق ، وإله يعقوب .

« فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله ، ..

هذا شيء مما ورد عند أهل الكتاب .. عن هذا المشهد الخالد !.

وأقول .. ليس لي قول في مثل هذه الأمور .. التي تعملو على العقول !.

وإنما بثت أمام عينيك الآيات .. ونشرت تحت ناظريك التفسيرات ..

ثم الله يتولاني ويتولاك ..

فلملك تفهم ما لم أفهم !.

أو تعلم ما لم أعلم !.

وما تلاك ... بيمينك ... يا موسى؟! ...

منظر ... من المناظر الالهية ...

فيه تلتطف .. بلع من الجمال .. جمالاً ليس كمثلته جمال !
انظر :

« اذ قال موسى لأهله اني آنست ناراً سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب
قبس لعلكم تصطلون .

« فلما جاءها تُودي أن بُوركَ مَنْ في النارِ وَمَنْ حولها وسبحات الله
رب العالمين .

« يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم .

« وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولسى مدبراً ولم يعقب يا موسى
لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون .

« إلا مَنْ ظلم ثم بدّلُ حَسناً بعدُ سوءَ فاني غفورٌ رحيمٌ ، ا . . .
غاية التلطف .. وغاية التنزل ..

« إذ قال موسى « حين قال موسى ..

« لأهله ، وهو في مسيره من مدين إلى مصر .. وقد أذام برد ليلهم ..

« إني آنست ناراً « أبصرتها .. وأحسستها ..

« بشهاب قبس « شعلة نار ..

« فلما جاءها ، أتاها ..

« نودي » يا موسى ..

« أن بُورك مَنْ في النار » قدّس .. « مَنْ في النار وَمَنْ حولها » وكانت النار لور رب العالمين في الشجرة .. فعنّى بذلك : نفسه - عز وجل -

« مَنْ حولها » حول النار من الملائكة ..

« وسبحان الله » تنزيهاً له .. عز وجل ..

« إنه » أن الشأن والأمر ..

« أنا الله العزيز الحكيم » ..

« كأنها جان » كأنها حيّة عظيمة .. والجان جنس من الحيات معروف ..

« ولستى مدبراً » هارباً خوفاً منها ..

« ولم يُعقّب » لم يرجع .. من قولهم : عقّب فلان : إذا رجع على عقبه

إلى حيث بدأ ..

« لدي » عندي ..

« المرسلون » رسلي .. وأنبيائي ..

« إلا مَنْ ظلم » منهم فعمل بغير الذي أُذِن له في العمل به . لا يُخيف الله

الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ..

« ثم بدلُ حُسننا بعد سوء » يقول : فمن أتى ظلماً ، وركب مائماً من خَلق

الله ، ثم تاب من ظلمه ذلك وأتاب ..

« فإني غفور رحيم » فإن الله سائرٌ عليه بعفوه ، رحيم به .

يقطع موسى .. لأمراته وأولاده .. سأتيكم منها بخبر .. أو بشهاب ؟!

أما أجد عندها أخبار تنفعنا في رحلتنا .. وترشدنا إلى طريقنا ..

أو آتيكم بشهاب .. بشعلة منها .. لعلكم تصطلون .. تستدفئون من هذا

الزمهرير الشديد ..!

لم يخطر بباله قط .. أن الأمر يعدو ذلك .. انها مجرد نار أشعلها بعض
الناس في الصحراء !.

وهذا جمال المفاجأة العظمى !:

ثم كانت أجمل مفاجأة :

« فلما جاءها تُودي » .!؟

كيف كان النداء .. وكيف كان الصوت ؟!

لا .. « كيف » .. ان الله يناديه ..

لا يعلم ذلك إلا الله .. ولم يذق هذا المذاق .. إلا موسى !.

« بُورك مَنْ في النار .

« وَمَنْ حَوْلَهَا ، ؟! »

تباركت .. أنا .. وتعاليت !.

وبوركنت .. يا موسى !.

« وسبحان الله رب العالمين » .!؟

الله ؟! . يقدر نفسه .. ويسبح نفسه ؟! .

وموسى .. يسمع .. ويسمع ..

ويُرقى .. ثم يرقى .. ثم يرقى .. إلى ما شاء الله له أن يرقى ..

ويُقرب .. ثم يُقرب .. ثم يقرب ..

« وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ، .

وناديناه .. وقربناه ؟! .

تأمل .. اننا ناديناه .. قربناه ؟! .

انه يُقرب .. ثم يقرب .. ثم يقرب .. إلى ما شاء الله !.

« نجيا » مناجياً .. روى أن الله عز وجل أدناه حتى سمع صريف القلم ا .
منظر .. بلغ من الجمال منتهاه ..
ان موسى .. يُبدّل .. غير موسى قبل النداء ..
انه يصنع صناعة أخرى ا .
ثم ماذا ا؟ . ثم ندخل الى منظر جميل جميل ..
« وما تلك بيمينك يا موسى » ا؟ .
سؤال .. فيه تنزّل .. وتلطف .. عجيب ا .
ثم انظر .. إلى بشرية موسى :
قال :
« هي عصاي »
« أتوكأ عليها »
« وأهش بها على غنمي »
« ولي فيها مآرب أخرى » ا . ا .
موسى .. يشرح موضوع العصا ا؟ .
« وأهش بها على غنمي » أضرب بها الشجر ، فيسقط ورقها .. فترعاه
غنمي .. يقال منه : هشّ فلان الشجر ، يهشّ هشّاً ؛ إذا اختبط ورق
أغصانها فسقط .
« مآرب » حاجات ، ومنافع ..
قرر موسى انها عصا .. قطعة خشب ..
ثم كانت مفاجأة أخرى ..
« قال ألقها يا موسى ا؟ .
أمر .. لا يدري موسى .. ما المراد منه ا؟ .
وفي سورة النمل : « ألق عصاك » ا؟ .

وعلى هذا يكون : ألقيا .. يا موسى .. ألق عصاك ..

ثم ماذا ؟! . « فآلقاها » ١٢ .

فوراً .. ألقاها .. إلى الأرض ..

ثم ماذا ؟! . ثم ما لم يخطر على قلب موسى ١٢ .

« فإذا هي حية تسعى » ١٣ .

فإذا ؟! . فوراً .. بمجرد أن ألقاها .. انقلبت ..

« حية » كائناً حياً .. ثعباناً ضخماً ..

« تسعى » تتحرك سريعاً .. وتهتز كأقوى ما يكون اهتزاز الحياة ! .

والإشارة إلى ذلك .. في قوله : « فلما رآها تهتز كأنها جان » ..

تهتز ؟! .

تعبير .. ليس كمثلته تعبير ؟! .

تهتز .. بكل ما يتصور من حيوية ونضارة وغضارة .. حية أتم حياة ..

كأنها جان .. تشير الرعب والفرع فيمن رآها .. فكيف بمن رآها فجأة ..

« فلما رآها » .. كانت مفاجأة أرهبت وأرعبت موسى ..

« ولتى مدبراً » أطلق ساقه .. وهرب منها خائفاً أشد الخوف ..

« ولم يُعقب » ولم يرجع .. ولم يفكر أن يرجع ؟! .

منظر غريب .. ولكنها البشرية .. إذا فوجيء الإنسان بشيء لم يره من

قبل .. دُعر ذعراً شديداً ..

فلا غرابة .. أن يولي موسى هارباً .. خائفاً بما يرى ! .

ثم ماذا ؟! . ثم أجمل منظر من مناظر اللطف والملاطفة :

« يا موسى »

« أقبل .

« ولا تخف ، ا. . .

موسى .. يجري مسرعاً .. لا يريد أن يلتفت وراءه .. خوفاً من هذا الجان .. الذي يهتز ..

فيناديه .. ربه : يا موسى ..

وموسى .. لا يفكر أن يرجع ا. .

أقبل .. ارجع .. مُقبلاً ..

ولا تخف .. من هذه الحية التي أفرعتك ..

« انك من الآمنين ، أنت عندي .. وفي حضرتي .. ومن كان عندي ا. .

« اني لا يخاف لديّ المرسلين ، ا. .

ثم ماذا ا. . ثم مفاجأة أعجب من سابقتها ..

« قال :

« خذها ، ا. .

« خذها ا. . أنا آخذها .. أنا أجترىء على امسك هذا الجان الذي يهتز اهتزازاً ا. .

« ولا تخف ، أمسكها يا موسى .. لا تخف منها ..

« سنعيدها سيرتها الأولى ، عصي كهيئتها الأولى ..

وأمسك موسى بالحية .. فإذا بها في يده فوراً .. عصي .. كما كانت ا. .

وجعل موسى يتأمل ما في يده .. انها عصاه .. التي يعرفها جيداً ا. .

ثم ماذا ا. .

أسلك يدك ... في جيبيك ...
تفرج بيضاء ...!

مفاجأة أخرى ...

- « اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء .
- « واضمم اليك جناحك من الرهب .
- « فذانيك برهاتان من ربك الى فرعون وملأه انهم كانوا قوما فاسقين ، .
- « اسلك » أدخل ..
- « يدك في جيبك » في جيب قبضك ..
- « تخرج بيضاء » خرجت كالمصباح ..
- « من غير سوء » من غير أذى ..
- « واضمم اليك جناحك » الذراع هو الجناح ..
- « من الرهب » من الخوف ، والفرق الذي قد نالك ..
- « فذانيك برهاتان » يعني تحويل : العصا حية .. ويده بيضاء ، هما برهاتان وآيتان .

وفي سورة النمل :

- « وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء .
- « في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ، .
- « في تسع آيات » يقول : فهي آية من تسع آيات أنت بها مرسل ..
- قالوا : « هي التي ذكر الله في القرآن :

العصا ، واليد ، والجسراد ، والقمل ، والضفادع ، والطوفان ، والدم ،
والسنين ، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم .

وفي سورة طه :

« واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى .

« لتريك من آياتنا الكبرى » .

« واضم يدك إلى جناحك » ضمها تحت عضدك ..

« من غير سوء » من غير داء ..

« من آياتنا الكبرى » من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا .. أي

من عجائبنا ..

وبعد .. ما هذه الآية الأخرى .. وكيف كانت ؟!

أمره الله .. أن يُدخل يده من فتحة قميصه التي حول الرقبة .. أن يدخلها

تحت ذراعه الآخر .. ثم يخرجها .. فإذا هي بيضاء ..

أي فإذا هي نور .. يتشعشع .. ويأخذ بالابصار ..

منظر جميل .. يد موسى .. تحولت الى نور شديد .. له إشعاع باهر ..

ولكن الأعجب .. أن يد موسى سليمة .. لم تحترق .. ولم يحدث لها أي

« من غير سوء » ..

كيف هذا ؟! « آية أخرى » ..

فذا نيك .. برهاتان ؟!

برهاتان ؟! دليلان ..

كأنه يراد أن يقال : يا أيها الفرعون .. لقد خوفت شعباً بأكده ..

أرهبت .. وأرعبته .. وسخرته .. واستعبدته .. واحتقرته .. وذبحت

أبنائه .. واستحييت نساءه .. وفعلت به الأفاعيل ..

أيها الفرعون .. خوِّفت عبادي .. وأرهمقتهم .. وعذبتهم ..
لأخيفنَّك .. خوفاً لم يخطر على بالك ..
فذا نيك برهاتان .. من ربك .. الى فرعون ..
البرهان الأول .. العصا .. تنقلب الى ثعبان ..
هذا الثعبان سيخيفك يا فرعون ..
وسوف تفر هارباً أمامه .. ثعبان واحد .. يخيف الإله الكاذب .. فأين
قوتك .. وأين جبروتك؟! ..
البرهان الثاني .. ظهور شيء من حقيقة موسى .. أمام أعينكم ..
ان حقيقة موسى .. أنه نور .. مغطى بجسد ..
سنرفع الغطاء عن جزء من جسده .. عن يده فقط .. فتظهر الحقيقة من
ورائها .. يظهر النور ..
وهذا النور .. أعلى وأقوى من نور الشمس .. وسوف تبصرونه بأعينكم ..
لتعلم أيها الفرعون الدعيّ .. أنك تتعالى .. على موسى .. وأنت أقل من
أن تكون له خادماً! ..

أيها القائل :

« أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكاد يبين ، ؟! »

كبرت كلمة تخرج من فمك ..

بل أنت المهين .. واسوف تعلم! ..

لا تخافي ... لا تخف ... لا تخافا ١٤...

هناك ... مفتاح ...

أعمق من المحيط .. وأبعد من السماء ..
مفتاح رهيب عجيب .. ان شاء الله .. يرشدنا الى الكثير .. من شخصية
موسى .. وشخصية قوم موسى ..
هذا المفتاح .. هو «تركيبة الخوف» .. التي تنتظم قوم موسى .. أو
بني اسرائيل .. على عهد موسى .. والتي ورثها موسى طفلاً في تركيبه وبنياته .
كان قوم موسى .. خائفين دائماً ..
وكان موسى الطفل .. خائفاً .. فلماذا؟!
لسبب بديهي .. أنه شعب مضطهد .. محتقر .. مستعبد .. مسخر ..
كل أنواع الاضطهاد .. والاحتقار .. والاستعباد ..
وكل رذائل السخرة ! ..
« واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب » ! ..
يسومونكم !؟ . يعاملونكم معاملة السوائم .. والبهائم ..
بل أحقر من البهائم .. « سوء العذاب » أسوأ أنواع العذاب ..
الدولة تعتبرهم أعداء .. أشد أعداء الدولة .. ومن كان عدواً لفرعون، فهو
عدو للدولة ..
لأن الدولة .. هي فرعون .. وما يراه فرعون .. وما يريد فرعون ..

« ما أرىكم إلا ما أرى » ..
أما هؤلاء الملايين .. فلا رأي لهم ..
الرأي للمذكور ..
واشتدت نزعة الوطنية الحارقة .. عند المذكور ..
وهؤلاء ليسوا مصريين - وقد يستعملهم العدو الخارجي ..
إذن فالويل لهم .. رقابة .. استعباد .. اتهامات بالباطل .. إبادة
للمذكور .. قجور بالإناث .. سخرة .. احتقار .. ازدراء ..
ثم ازداد العداء .. من فرعون لهم .. ثم عداء قوم فرعون من ورائه ..
كما هي العادة ..
لأن قوم موسى .. يعبدون الله .. الحق ..
والمذكور .. يريد أن يكون إلهاً .. ورباً؟! ..
هناك إذًا تنافس خطير ..
إذًا فليسحق عبادة .. هذا الإله الذي يعبده بنو إسرائيل ..
ولا مانع من قتل إله موسى .. هذا المنافس الخطير للمذكور!
« يا هامان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب . أسباب السماوات فأطلع
إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً ، .. »
هكذا بلغ استخفاف فرعون بمقول شعبه .. ودخل في مرحلة اللامعقول!
رُوي أنه صعد الصرح .. وألقى بالسهم .. وخضبه بالدم .. وعاد يزعم
للشعب أنه قتل إله موسى ..
والشعب الغبيّ . لا يجرؤ أن يعارض المذكور! ..
في هذا الجو الكئيب الرهيب المريض .. كان يعيش قوم موسى ..

كل منهم خائف ا.. لا يدري أحد منهم ماذا يكون مصيره .. وماذا
يُفعل به !؟.

وهامان .. عصا فرعون الخطيرة .. يلهب ظهورهم بسياطه .. وعذابه ..
ومؤامراته وتلفيقاته !..

من هذا الشعب الخائف المذعور ..

وولد موسى .. من أم خائفة .. وأب خائف ..

فورث في تركيبه وهو طفل . الخوف .. وتوقع اليطش من فرعون
وجنوده في أي لحظة ..

من اللحظة الأولى .. لحظة الولادة ..

الأم خائفة .. والأب خائف .. والمولود خائف !.

وكيف لا يخافون .. وهم يتوقعون أن يُذبح المولود في أي لحظة !؟.

استمع :

« فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم .

« ولا تخافي ولا تحزني ، !؟.

خفت عليه !؟ . هناك خوف وفزع ورعب ..

ولا تخافي ولا تحزني !؟ . إذاً هي خائفة وحزينة أشد الحزن !..

ثم استمع الى هذه الأخرى ..

الى الرعب والخوف الذي كان بموسى .. حين فرّ من مصر .. وأجهزة

فرعون الرهيبة تطارده :

« ففرّتْ منكم لما خفتكم ، ا.

فرار .. والفرار لا يكون إلا من خوف شديد ..

لما خفتكم ؟! . خفتكم جميعاً .. كلكم أعداء لي .. فرعون وجنوده جميعاً ..
والشعب من ورائهم كما هي العادة ! .

ثم انظر كيف لازم الإحساس بالخوف موسى .. حتى بعد أن ناداه الله
وكله .. يفر خوفاً من الحية .. والله يناديه ويطمئنه ويعلمه أنه من الأمنين :
« قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ! .

لا تخف .. تركيب الخوف .. ولذلك خوفه الله بالحياة .. لينزع منه
إحساس الخوف .. بخوف أشد منه ..

« يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون » ! .

ثم انظر الى التربية العجيبة من الله لموسى .. لعلمه تعالى أن الخوف
في بنيانه :

« واضمم اليك جناحك من الرهب » ! .

من الرهب ؟! . من شدة الخوف والرغبة .. إذا شعرت بشيء من هذا
يا موسى .. فالصق ذراعك الى جنبك .. لتهدأ وتطمئن ! .

ثم انظر الى شدة خوف موسى وهو يقص على الشيخ الكبير القصص ..
وكيف أن الشيخ لاحظ خوفه ورعبه فجعل يهدىء من روعه :

« فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين » ! .

لا تخف .. إذا هناك خوف شديد من موسى ! .

ثم انظر كيف أن هذا الإحساس بالخوف مستمكن من موسى .. حتى بعد
أن أرسله الله الى فرعون رسولاً .. واختاره وأمره بذلك فماذا كان جواب
موسى لربه ؟! .

« قال رب اني أخاف ان يكذبون » ..

« ولهم غلي ذنب فأخاف ان يقتلون » !؟ .

أخاف أن يكذبونِ ؟.

أخاف أن يقتلونِ ؟.

انه الخوف .. يلزم موسى .: ويلزم تعبيره عن أحاسيسه ..؟

« قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلونِ » .

ثم :

« فأرسله معي ردءاً يصدّ قتي اني أخاف أن يكذبونِ » ..؟

الإحساس بالخوف .. دائماً ؟!

ودليل ذلك أن الإحساس بالخوف .. امتد الى هارون كذلك .. وهذا

دليل .. على أن قوم موسى .. كان يسودهم الرعب .. من عذاب فرعون

وجبروته ..

أمرها الله :

« اذهبوا الى فرعون انه طغى .

« فقولا له قولاً ليئناً لعله يتذكر أو يخشى » .

فماذا كان جواب موسى .. وجواب هارون ؟!

« قالا :

« ربنا إننا نخاف .

« ان يفرط علينا او ان يطغى » ..؟

اننا نخاف ؟ ..

نفس الشعور .. ونفس الخوف .. حتى بعد إرسالها ..؟

والسبب في هذا الذعر السائد في قوم موسى « ان يفرط علينا .. او ان

يطغى » .. إجرام وجبروت فرعون .. أمام أعينهم دائماً ..؟

فماذا قيل لهم ؟ ..

قال :

« لا تخافا ..

» انني معكما ..

« اسمع وارَى ..

لا تخافا .. سأذهب من قلوبكم وتركيبكم هذا الإحساس .. فلا تخافا ..

استشعروا دائما أنني معكما .. يذهب الخوف منكم ..

ولما كان يوم الزينة .. ماذا كان من موسى ؟ ..

« فأوجس في نفسه خيفة موسى ، ..

نفس الشعور .. لأنه يتحدى فرعون الرهيب .. مصدر إرهاب قوم

موسى .. وإشاعة الرعب في نفوسهم ..

فماذا قال له الله ؟ .

« قلنا لا تخف انك أنت الأعلى ، .

لا تخف .. كما قيلت له من قبل « خلها ولا تخف » ..

ودليل أكبر على ان عقدة الخوف ورثها الأبناء عن الآباء .. قوله تعالى :

فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوفٍ من فرعون وصلتهم

أن يفتنهم ..

« إلا ذرية » .. إلا طائفة من الشباب من بني إسرائيل ..

ولكن « على خوف » .. دائم مستمر .. ورعب قاتل .. من فرعون ..

أن يفتنهم .. أن يعذبهم ويسلط عليهم زبانية التعذيب ..

هؤلاء شباب .. ولكن نشأتهم في نفس الظروف القاتلة القائمة .. جعلتهم

على خوف .. كأباؤهم من قبل ..

وفي أخرج لحظة .. حين تأكد قوم موسى .. أن فرعون يدركهم
لا محالة ..

كان الأمر الى موسى :

« فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً .

« لا تخاف دركا ولا تخشى ، ..

لا تخاف دركا .. انه الخوف من فرعون .. آثار الرعب في جميع قوم
موسى .. وتنادوا « إنا المذركون ، .. سوف يدركنا فرعون .. ويا ويلنا إذا
وقمنا في يده هذه المرة .. إنها جهنم سوف نصلها ..

هذا هو المفتاح الخطير .. الذي يفتح لنا فهم الظروف التي كانت يعايشها
موسى .. ويحترق فيها قوم موسى ..

شعب يصرخ .. من سوء العذاب .. وسوء الاضطهاد ..

ونبي رسول .. نشأ في هذا الخوف وهذا العذاب ..

واصطفى بنار الخوف .. كما اصطفى قومه ..

« فاصبح في المدينة .

« خائفاً .. يترقب ، ؟ ..

خوف دائم .. وترقب دائم ...

كان هذا إحساس موسى ..

وكان هذا إحساس كل فرد من قوم موسى ..

ولذلك .. نوديت .. أم موسى .. « لا تخافي ، ؟ ..

ونودي .. موسى .. « لا تخف ، ؟ .

ونودي .. موسى وهارون « لا تخافا ، ؟ .

فافهم .. إن شئت أن تفهم ا..

اَضْرِبْ ... بِعَصَاكَ ...!

سر آخر ...

جماله عجيب !..

ما دام هذا الفرعون .. يعتمد على القهر .. « وإنا فوقهم قاهرون » !..

فهو كلبٌ .. لا يُعامل إلا بالعصا !..

فلنبعثن موسى .. ليؤدبه .. بالعصا .. كما يؤدب الكلب .. بقرعه بالعصا !.

ولنجعلن في هذه العصا .. من آياتنا الكبرى !..

« لتريك من آياتنا الكبرى .

« اذهب الى فرعون انه طغى » .

لتريك .. يا موسى .. في هذه العصا .. من آياتنا الكبرى !..

وقد كان الأمر .. كما نبأ الله موسى ..

وكان الأمر يصدر بهذه الصيغة « اضرب بعصاك » ..

إشارة الى أن هذا الكلب الذي تسمى فرعون .. سوف يُضرب بهذه

العصا .. وسوف يُضرب هو ونظامه الفاسد المتعفن .. حتى يزول ؟..

« اذهب الى فرعون » ..

وكانت إشارة جبارة قهارة ..

انظر :

« اضرب بعصاك الحجر .
« فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، ..
تأمل تعبير « اضرب » ..
ثم انظر :
« اضرب بعصاك البحر .
« فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ؟ ..
اضرب بعصاك البحر .. تأمل .. وتفكّر .. !
ما دام الأمر أمر قهر فرعون .. فلنقهرنه .. بأحقر شيء .. بقطعة خشب
لا حول لها ولا قوة في ذاتها ..
ولكن سوف نجعل فيها من آياتنا الكبرى .. ما يطارد فرعون أينما كان ..
ويقضى مضجعه .. ولنفرغنه كما فرغ عبادي .. !
كل أولئك .. بعضا .. بقطعة خشب لا وزن لها في ذاتها ؟ ..
ولكن القهروت الإلهي .. يتجلى فيها ..
« وألق ما في يمينك .
« تلاف ما صنعوا » .. !
وكانت عصا موسى .. آية كبرى ..
وتجلت فيها .. آيات الله الكبرى ..
إشارة .. الى أن قصة هذا الفرعون .. قصة جبار يستضعف طائفة
من الشعب ..
فتحتم ضربه .. وضرب نظامه كله ..
وكانت العصا إشارة الى ذلك كله ..
وكان الأمر .. من القهار الجبار : « اضرب بعصاك » .. !

انديبا ... إلو فرعون ... انه طغى ؟...

صدر الأمر الأعلى :

« اذهب الى فرعون انه طغى » ..
ها هنا .. أصبح موسى .. رسولا ..
لقد انتقل من نبي .. الى نبي رسول ..
« واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا .
« وكان رسولا نبيا » ..
قبل هذه اللحظة .. كان نبياً ..
« وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ،
هذه المرحلة .. صار فيها موسى نبياً ..
أما حين قال له « اذهب » فقد صار فيها رسولا ..
والآن صار موسى « رسولا نبيا » ..؟
لقد بدأت المهمة الكبرى ..
لقد بدأت الشجرة الطيبة .. تؤتي أكلها ..
وأحس موسى على الفور .. ضخامة المهمة .. وجسامة الأمر القادم
اليه .. فناداه :
« قال :

« رب اشرح لي صدري » .

وسع لي قلبي .. بحيث لا يخطر ببالي خوفاً من العدو ..

« ويمتري أمري » .

وسهل لي أمري هذا .. بحيث لا أضطرب في التبليغ .. ولا أستوحش من
جاء فرعون وشوكته ..

« واحلل عقدة من لساني » .

وارفع .. لكنة عارضة من مهابة العدو .. سيما هذا الطاغى المتجبر .. مع
أن اللكنة خلقية لي ..

« يفقهوا قولي » .

وغرضي منه ..

« واجعل لي وزيراً من أهلي » .

« و » بعدما وفقتني لأداء رسالتك يا ربي ..

« اجعل لي وزيراً » ظهيراً يصدقني في أمري ويعينني عليه .. ولا تجعل
ظهوري من الأجانب لقلة شفقتهم وعطفهم عليّ .. بل اجعل ظهيري يا ربي ..

« من أهلي » وأقربهم لي .. وأولى بمعاونتي هو ..

« هارون أخي » .

إذ هو أخي الأكبر .. بمنزلة أبي في الشفقة .. ومتى جعلت أخي هارون
ظهيري ووزير لي ..

« اشدد به أزرى » .

وقوّ بسببه .. واحكم بإقامته يا معيني ..

« أزرى » ظهيري ..

« وأشركه في أمري » .

« و » لا يتحقق تقويته على حقيقة .. إلا بعد اشتراكه معي في أمر الرسالة .
« أشركه » بلطفك يا ربي ..

« في أمري » ورسالتي .. بأن تكشف أنت بلطفك عليه .. حقيقة الأمر
والتوحيد .. كما كشفت لي ليكون هو أيضاً من المكاشفين الموقنين بوحدايتك ،
ومن الممثلين بأوامرك ، المجتنبين عن نواهيك .. وإنما سألتك يا ربي
الإعانة بأخي ..

« كي نسبحك كثيراً » .

ونقدس ذاتك عما لا يليق بشأنك تقديساً كثيراً ..

« ونذكرك كثيراً » .

ونناجي معك بذكر أسمائك الحسنى .. وصفاتك العظمى ذكراً كثيراً ..
وكيف لا نسبحك ونذكرك ..

« انك كنت بنا بصيراً » .

« انك » بذاتك وأسمائك وأوصافك قد ..

« كنت » محيطاً ..

« بنا بصيراً » لعموم أحوالنا ..

وهل الفور .. كانت المنة .. وكانت الاستجابة :

« قال قد أوتيت سؤلك يا موسى .

« ولقد مننا عليك مرة أخرى » ! ..

قد آتيناك يا موسى .. كل ما سألت ..

« قال » تعالى .. رفقا له .. وامتناناً عليه .. لرجوعه نحوه بالكلية ..

« قد أوتيت سُؤلك » ونعطيك عموم مسؤولك .. وقد حصل لك جميع مطالبك .. لتوجهك الينا .. ورجوعك الينا .. يا موسى .. كيف ..
« ولقد » أنعمنا عليك من قبل حين لا ترقب لك ولا شعور بأن ..
« مننا عليك » من وفور رحمتنا وشفقتنا عليك !؟
قد أوتيت سُؤلك يا موسى ١؟
لك يا موسى .. كل ما شئت .. وكل ما سألت ! ..
سنشرح لك صدرك .. فلا يضيق .. مهما قابلت من الصعاب ..
وسنيسر .. لك .. أمرك .. مهما وضعموا في طريقك من السدود والقيود والمقاومة ..
وسوف نحل عقدة من لسانك .. ونؤتيك فصاحة وبلاغة تبهر السامعين .
وسوف نجعل .. لك .. وزيراً من أهلك .. هارون أخاك .. وسوف نشد به ظهرك .. ونشركه في أمرك ..
« قل سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » .
هكذا .. أعطاه أكثر مما سأل ..
شد عضده بأخيه .. هذا آخر مطلب لموسى ..
ثم زاده ما لم يخطر على باله ..
ونجعل لكما سلطاناً .. قوة قاهرة .. تمنهم أن يصلوا اليكما .. بقتل أو اهلاك ..
ثم زاده البشرى .. بأنها ومن وراءها .. في النهاية .. بل ومن البداية الغالبون ..
وهذه بشرى خطيرة .. كانت الأمور قبل هذا .. قوم موسى أذلاء ..

وفرعون فوقهم غالب قاهر .. والآن ستنعكس الأوضاع .. موسى ومن اتبعه
الغالبون .. وفرعون وقومه المغلوبون ..
هناك تحول خطير !..

ثم ماذا؟! ثم صدر الأمر الأعلى .. الى الاثنين .. موسى وهارون ..
« اذهب أنت .

» واخوك .

« بآياتي ولا تنيياً في ذكري .

« اذهبا الى فرعون انه طغى .

« فقولوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى » .

فماذا كان جوابها ١٢ .

« قالوا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا أو يظلمنا » .

أن يفرط علينا .. أن يبادر كعادته وجبروته الغاشم .. الى الاعتداء علينا
فوراً .. ويأمر بقتلنا .. وأمره لا يقاوم ..

أو أن يظلمنا .. أو يزداد طغياناً على طغيانه .. فيصب إجرامه على
بني اسرائيل .. أكثر مما هم فيه من عذاب !..

« قال لا تخافا .

« انني معكما .

« أسمع وأرى » !..

لا تخافا .. بعد الآن .. فلا وزن لإفراطه .. ولا وزن لطغيانه ..

انني معكما ١٢ . أسمع وأرى .. لقد تغير كل شيء .. ومن كان الله معه ..

فكل شيء معه !..

ثم صدر الأمر الأعلى .. اليها .. بتحديد المهمة :

« فأتياهُ فقولاً .
« إنا رسول ربك .
« فأرسل معنا بني اسرائيل .
« ولا تعذبهم .
« قد جئناك بآية من ربك .
« والسلام على من اتبع الهدى .
« إنا قد أوحى اليك أن العذاب على من كذب وتولى » ..
تحديد دقيق .. على الغاية من الدقة ..
وتخطيط كامل للمهمة .. وكيفية أدائها ..
ماذا يقولان لفرعون ١٢ .
الهدف من المقابلة ١٢ .
المطلب الرئيسي لها ١٢ .
والمطلب هو « أرسل معنا بني اسرائيل » .. اطلق يا فرعون هذا الشعب
ودعه يخرج من بلادك ..
« ولا تعذبهم » ارفع يدك عنهم .. فلا سُخرة بعد اليوم .. ولا اضطهاد ..
ولا تعذيب ! ..
لقد دقت ساعة الخلاص ! ..
وها هو .. النبي الرسول .. البطل .. يستعد لقيادة المعركة ..
أكبر معركة في التاريخ ا .
وها هي اشارة الانطلاق .. تدوي في الآفاق :
« فأتياهُ » ..

يا فرعون ... إني رسول ...
من رب العالمين ...!؟

ها هو فرعون ...

يجلس على كرسیه .. كرسي عرشه ..
عن يمينه الأمراء والنبلاء ..
وعن يساره همامان والوزراء ..
وها هو موسى .. وهارون .. يدخلان إلى قاعة العرش ..
ونظر فرعون إلى موسى وهارون .. في استعلاء ..
فجاءه موسى :
« يا فرعون !؟ .. »
فغضب فرعون .. كيف يمرؤ هذا على مخاطبته هكذا !؟
فاستمر موسى :
« اتي رسول من رب العالمين » ! ..
فازداد فرعون غضباً على غضب ! ..
فواصل موسى كلامه :
« حقيقٌ على ان لا أقول على الله إلا الحق .
« قد جئتكُم ببيئنةٍ من ربكم » .
قال فرعون في احتقار لموسى شديد :

وماذا تريد ١٢

قال موسى : « فأرسل معي بني اسرائيل » .

فقمه فرعون عالياً وقال : لو قالها غيرك ١٢ .!

ثم نظر إلى موسى في استخفاف وقال :

« ألم تر بك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين » ١٢ .

الآن تأتينا رسولاً ١٢ .

ثم قال فرعون لموسى :

« وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين » ١٢ .

فجأة انقلبت من كافر .. إلى رسول ١٢ .

هنالك قال له موسى :

« قال فعلتها إذا وأنا من الضالين » .

فقال فرعون : وما الذي قلبك من مجرم قاتل .. إلى نبي رسول ٢ .

ثم غمزه غمزة قاتلة :

ولماذا فررت يا موسى من البلاد ٢ . خوفاً من القتل الذي كان مقرراً لك ..

أليس كذلك ٢ .

فقال موسى :

« فررت منكم لما خفتكم » ..

فقاطعه فرعون : إذا كنت قاتلاً .. فاراً من حكم الإعدام ٢ ..

قال موسى :

« فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين » .

فقمقه فرعون .. قائلاً : هكذا .. من قاتل مجرم .. الى نبي رسول ..
هذا شيء جميل ..
فقال موسى :

« وتلك نعمة تمنسها عليّ » ؟ .

قال فرعون : نعم نعمة أمنسها عليك .. كان ممكناً جداً .. أنت أصدر
أمري بذبحك مجرد التقاطك من الماء .. شأنك شأن الآلاف التي ذبحتها ..
ثم ثار فرعون وقال : الأيام تؤكد لي .. أن خير وسيلة لماملتكم يا بني
اسرائيل .. هو الذبح والإبادة .. الآن تأتينا رسولاً .. ولو قد ذبحتك وليدأ ..
لاسترحت من ثرتك من يومها ؟ ..

فقال موسى : أمين أجمل أنكم ربيتموني وليدأ .. تستحلون استعباد
شعب بأكمله وتسخيره وتعذيبه .. ما علاقة هذا بذلك ؟ ..

« ان عبدت بني اسرائيل » ؟ ..

ثم نظر فرعون الى هارون في استخفاف وقال : وما شأنك الآخر ..
أرسول أنت كذلك ؟ ..

فقال موسى وهارون :

« إنا رسولا ربك .

« فأرسل معنا بني اسرائيل .. ولا تعذبهم » .

فضحك فرعون وقال : أنت أيضاً .. يا هارون صرت رسولاً ؟ ..
هذا شيء يثير الضحك ؟ ..

ثم قال لها :

« قال : فمن ربكما يا موسى » ؟ .

وكان بين التمتين .. قمة النور .. وقمة الظلمات هذا الحوار الخالد :

- فرعون : فمن ربكما يا موسى ؟ .
- موسى : ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .
- فرعون : فما بال القرون الأولى ؟ .
- موسى : علمها عند ربي . . في كتاب . . لا يضل ربي ولا ينسى .
- : الذي جعل لكم الأرض مهدياً . . وسلك لكم فيها سبيلاً . . وأنزل
من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتى .
- : كلوا وارعوا أنعامكم . . ان في ذلك لآياتٍ لأولي النهى .
- : منها خلقناكم . . وفيها نعيدكم . . ومنها نخرجكم تارة أخرى ، .
- وفي سورة الشعراء :
- فرعون : وما رب العالمين ؟ .
- موسى : رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين .
- فرعون : [قال لمن حوله] ألا تستمعون ؟ .
- موسى : ربكم ورب آبائكم الأولين .
- فرعون : ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون .
- موسى : رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تاملون .
- هذا جانب مما دار بين القميتين ..
- ومما يثير التأمل .. سخريه فرعون القائلة حين تمكّم موسى في ازدراء
وقال لمن حوله « ألا تستمعون » ؟ .
- ثم زاد تهكمه واحتقاره لموسى حين أعلن الى الجميع « ان رسولكم الذي
أرسل اليكم لجنون » ..
- رسولكم أنتم .. أما أنا ففوق هذه الهدايات وهذا الجنون .. والجنون
فنون . . .

وكان حواراً خالداً .. إلى يوم القيامة ..
حواراً .. بين أقصى الحق .. يمثله موسى .. نبي الله ورسوله ..
وأقصى الباطل .. يمثله فرعون .. دعويّ الربوبية .. ودعويّ الألوهية ! ..
موسى .. يتكلم باسم الله .. الذي أرسله ..
وفرعون .. يتكلم من الوجه المضاد .. من الباطل ..
ورغم أن موسى حدد لفرعون الموضوع في أمرين اثنين .. اني رسول من
رب العالمين .. فأرسل معي بني اسرائيل ..
ورغم وضوح الموضوع .. فإن فرعون رفض رفضاً باتاً كلا الأمرين ..
فلا هو يعترف برب العالمين .. بل يتهم من الفكرة « وما رب العالمين » ؟ .
من هو هذا الذي تسمونه رب العالمين ؟ ..
ولا هو سيطلق بني اسرائيل ..
فإنهم عبده .. وهو سيدهم .. وله أن يفعل بهم الأفاعيل ..
إلا أن الموجة التي أطلقها موسى .. أحدثت اضطراباً في أعصاب فرعون ..
فنظر في الحاضرين .. كما ينظر الأسد الى فريسته حين يعزم على افتراسها ..
فازداد الحاضرون رعباً ..
ثم نادى : همامان ؟ ! .
فانتفض همامان قائماً .. ثم سجد بين يدي فرعون .. وهو يترنم بتمجيده
وتقديسه ..
فأصدر فرعون اليه أمراً .. هو أعجب أمر .. يصدر عن حاكم في التاريخ .
وقبل أن يصدر أمره إلى همامان .. نظر إلى من حوله من عظماء الدولة
وقال لهم :

« يا ايها المأذ »

« ما علمت لكم من إله غيري » ١٠١

هكذا .. يعاملهم معاملة البغال ؟ ..

ما علمت لكم ؟ ١٢ . هو يعلم لهم .. يفكر بدلاً منهم .. أما هم فلا يجوز لهم أن يفكروا أو يعلموا ..

من إله غيري ؟ ١٣ . لا إله لكم غيري .. أليس كذلك ؟ ..

فصاحوا جميعاً صيحة الخُمُر : نعم .. نعم .. لا إله لنا غيرك .. أنت ربنا .. وأنت إلهنا ؟ ..

ثم أصدر أمره .. إلى الرجل الأول في الدولة .. الرجل الرهيب .. إلى هامان .

« فاوقدي يا هامان على الطين »

« فاجعل لي صرحاً »

« لعلي أطلع إلى إله موسى »

« وإني لأظنه من الكاذبين »

يا هامان .. أسرع فوراً ..

فأمر .. بصناعة الطوب الأحمر .. وأوقدوا على الطين ناراً ..

فاجعل لي .. خاصاً بي أنا وحدي ..

صرحاً .. بُرجاً شاهقاً .. أعلى بناء في الأرض ..

لعلي أطلع إلى إله موسى .. ان وجدته في السماء .. فأنا أصارعه وأقتله ! ..

هكذا .. بلغ استخفاف فرعون بالعظماء الذين جمعهم ..

ولا أحد منهم يفتح فمه ..

وفي سورة غافر :

« وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب .

« أسباب السماوات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً ، . . .

احدى اثنتين .. إما أن أجد إله موسى هناك .. في السماء .. وأنا كفييل

به .. أقضي عليه ..

وإما أن موسى كاذباً .. فلا أجد شيئاً هناك مما يزعمه .. وهذا هو

الراجح عندي ؟ ..

ذكروا أن هامان بنى له الصرح .. حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء ..

ثم صعد فرعون وصوب سهماً الى السماء ، ورمى به ، فعاد اليه النصل

مخضباً بالدم .

فقال : لقد قتلت إله موسى ؟ ..

ثم ماذا ؟ . . .

ثم بعد أن أُرهب فرعون .. كبراء دولته .. وعبث بعبقولهم ما شاء

له العبث ..

وأعلنوا أمامه .. أنه لا إله لهم غيره ..

وسجدوا له جميعاً .. تأكيداً لإخلاصهم وولائهم ..

بعد هذا كله .. نظر الى هذين الرجلين .. اللذين يعلمون تمام العلم .. أنها

أمام العيان .. يلعب بالشعب كما يشاء ..

نظر اليها وقال مخاطباً موسى :

« لئن اتخذت إلهاً غيري .

« لأجعلنك من المسجونين » ..

اسمع يا هذا الذي اسمه موسى ..

ان قولي .. لا يُرد ..
لئن اتخذت إلهاً غيري ..
لأجعلنك فوراً .. من المسجونين ..
ضمن الألوف التي تعج بها سجوني ..
وأنت تعلم ما هي سجون فرعون ..
لن تخرج منها أبداً .. إلا إلى القبر ..
هي الجحيم إذا تلظى .. هي العذاب والتعذيب ..
وها هو هامان في انتظار إشارة مني ..
فسجد هامان .. ورتل تراتيل التمجيد والتقديس لفرعون .. ثم قال في
صوت رهيب : إلهي .. وربِّي .. وسيدي .. ألقِه .. إليَّ .. أجعله أنيناً
يتلوَّى ..
فماذا كان جواب موسى ؟! ..

أولو جنتك ... بشي ... مبین ؟! ...

بلغت الوقاحة ...

من اللعين منتهاها .
وبلغ الرعب الذي بثه في نفوس كبرائه أقصاه ..
وبلغ التعمالي الذي صبه على موسى منتهاه ..
هنالك كانت لحظة التحدي ..
قال موسى :

« أولو جنتك بشي مبين ، ؟ ،
حق بعد هذا .. تصر يا فرعون على القائي في السجون .. وتعذبي
في ظلماتها ؟ .

فازداد فرعون به استخفافاً . وقال :

« فأت به ان كنت من الصادقين ،
وفجأة .. وعلى الفور :

« فألقى عصاه .

« فاذا هي ثعبان مبين ، ! ..
وكانت المفاجأة الكبرى ..

انقلبت العصا .. الى شعبان رهيب .. وجعل الشعبان يتضخم أكثر فأكثر ..
وهتز كأنه جان .. ويشور ويفور .. ويصبح في فحيح ليس كمثل فحيح ..
فساد الذعر والهلع في الجميع ..

إلا أنهم فوجئوا بالشعبان يهاجمهم جميعاً .. ويفتح فمه الرهيب لابتلعهم
ويلتهمهم أجمعين !..

ففرروا منه فراراً .. وهو يطاردهم ويصر على التهامهم .. فصاحوا وتاحوا ..
ثم توجه الشعبان إلى فرعون .. لابتلعه .. ففر عن عرشه مذعوراً .. وهو
يولول ويحاول أن يهرب .. والشعبان يحاصره ويداوره .. حتى أحدث فرعون
وخرجت منه الحباثت !..

وبينا الجميع يولولون ويركب بعضهم قفا بعض .. تضخم الشعبان تضخماً
فظيماً .. وفقر فاه الرهيب لابتلع القصر بمن فيه وما فيه !..

هنالك .. صاحوا بموسى .. أن يكف عنهم هذا الشعبان ..

فأمسك موسى بالشعبان .. فعاد في يده عصا .. كما كان !..

فجعلوا يهودون سراعاً .. إلى مقاعدهم ..

ومن فوقهم فرعون .. يحاول أن يستعيد هدوءه على عرشه ..

إلا أن موسى .. لم يعطهم الفرصة ليلتقطوا أنفاسهم ..

« ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين » ..

أدخل موسى يده في عبته .. ثم نزعها ..

فاذا هي فوراً .. بيضاء .. تتشعشع بشعاع يطمس شعاع الشمس ..

فإذا الجميع .. لا يستطيعون النظر الى شعاعها . من شدة إشعاعها ..
« للناظرين » يراها جميع من ينظر اليها .. لا تحقى على أحد ! ..
فماذا كان من موسى ؟ .

أدخل يده في عبته .. ثم نزعها .. فعادت يده مثل جسده .. كما كانت من
غير سوء ! ..

فماذا كان من فرعون ؟ . قال :

« ان هذا لساحرٌ عليمٌ » . . . ؟ .

عادت اليه فرعونيته .. واستعلى .. وعاد الى السخرية ..
ونادى في الحاضرين :

« .. فماذا تأمرون » . . . ؟ .

فماذا قال السادة الحاضرون ؟ . . . ؟ .

وقد كانوا منذ لحظة يولولون ؟ . . . ؟ .

« قالوا :

« أرجه وأخاه .

« وابعث في المدائن حاشرين .

« يأتوك بكل سحّاز عليم » . . . ؟ .

فماذا كان من فرعون ؟ . . . ؟ .

التفت وهو يحاول أن يستعلي وقال لموسى :

« أجنثنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى » . . . ؟ .

- « فلنأتينك بمسحر مثله .
- « فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى ، !..
- وانتبهزها موسى فرصة ..
- ليبت الدعوة الى الله .. في أوسع الآفاق .. فقال :
- « موعدكم يوم الزينة .
- « وأن يحشر الناس ضحى ، .

وَأَلْقِ ... مَا فِي يَمِينِكَ ...
تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ...!؟

كان يوما .. من ايام الله ..

« وذكرهم بايام الله » ..

في يوم الزينة .. في أعظم عيد مقدس .. قومي .. عند المصريين ..

فرعون .. الرهيب .. على المنصة الملكية المقدسة ..

وقد أخذ زينته كلها .. وعليه تاج الملك .. والنياشين تحلي صدره الفارغ .

وقد اصطف عن يمينه الأمراء والنبلاء .. في زينتهم ..

وعن يساره الوزراء والمسؤولون في زينتهم ..

ومن ورائهم يجلس رجال الدين والكهنوت في زينتهم المقدسة ..

وكبراء الدولة كلها .. وقد وجهت الدعوة الفرعونية إلى جميع من في البلاد

من كبراء ووجهاء ..

وقد بدت الساحة الكبرى تموج بملايين من الشعب المحتشد الحريص كل فرد

منة على شهود هذا اليوم المشهود ..

أما المصريون فقد ازدحموا من حول الساحة وقوفاً ..

وفي ناحية من الساحة خصصت للعبيد .. ازدحم جميع بني اسرائيل ..

ليشهدوا هذا المشهد العظيم ..

أما ساحة العرض الواسعة .. فقد اصطف فيها في القوس المواجه المنصة

الرئيسية حيث يجلس الملك المقدس .. اصطف فيهننا « ١٢٠٠٠ » من رجال

السحر .. الذين اشتهروا في جميع أنحاء مصر بالبراعة في السحر .. فوق ما هم

جميعاً من كبار علماء الدين والكهنوت « بكل سحر عليم » .. واسع العلم في
السحر .. واسع العلم في الدين والكهنوت وسائر العلوم .. حيث كان العلم الديني
والديوي حكراً على تلك الطائفة المقدسة .. وقد احتشدوا في زهو وخيلاء ..
انتظاراً للساعة الفاصلة ..

أما في الخارج .. عن يمين الساحة فقد احتشدت القوات المسلحة .. في
ملابسها العسكرية وزينتها التي تأخذ بالعيون « يوم الزينة » .. استعداداً
للاستعراض العسكري الضخم لقوات فرعون الضاربة .. في الشرق والغرب ..
لقد احتشدت الدولة كلها ..

واحتشد الشعب كله .. سادة وعبيداً ..
بأمر فرعون :

« وقيل للناس هل أنتم مجتمعون » ؟ ..

صدرت أوامر فرعون .. بحضور أكبر حشد في هذا اليوم ..
ليكون نصره أكبر نصر في التاريخ .. يتحدث به الناس ..
فلما آذنت الساعة على العاشرة .. 'ضحى' .. « وأن يُحشر الناس ضحى » ،
وهو أنسب الأوقات .. للاستعراضات العسكرية الكبرى في مصر ..
لما كانت الساعة العاشرة ..

دوى في الأفق .. صوت الأبواق .. يعلن بدء الاستعراض العظيم .. لأكبر
قوة ضاربة في العالم ..

وكانت لحظة تاريخية رهيبة ..

كل الناس قد اجتمعت ..

وعلى رأس الناس .. فرعون الرهيب ..

وعلى رأس شعب بني اسرائيل .. شيوخ بني اسرائيل .. وقد حرص
فرعون على حضورهم جميعاً .. ليزيدهم ذلاً على ذل ..
في هذا المشهد الرهيب .. والحشد العجيب ..
وقف رجل .. وحيداً ؟ ..
كل هؤلاء .. له ضدّاً ! ..
فرعون .. وقواته التي سحقته ومحنت جيوش الأعداء ..
هامان .. وأجهزته .. التي اذقت سوء العذاب لمن شاء فرعون ..
المصريون .. في استعلائهم .. وزهوهم ..
بنو اسرائيل .. في خوفهم .. أن ينتصر فرعون .. ويعود عليهم
قتلاً وتعذيباً ..
كل أولئك .. كانوا له ضدّاً ..
وذلك الرجل .. الواحد الوحيد .. يقف امامهم وحده ..
من هو هذا العظيم .. الذي لا يملك من الأسباب شيئاً ؟ ..
انه .. موسى ..
هو ذا .. وحيداً .. يقف في الساحة .. وفي يده عصاه ! ..
ودقت الأبواق .. وبدأ الاستعراض العسكري العظيم .. لأكبر قوة ضاربة
في الشرق ..
دخلت قوات الفرسان .. بخيولها الذهبية الرائعة ..
ثم بركباتها الحربية المدججة بالأسهم المستعدة للانطلاق ..
ثم تتابعت جميع أسلحة الجيش المصري .. جيش فرعون الذي لا يُقهر ..
وكان هذا الاستعراض العسكري .. مظهراً بارعة من فرعون .. لتأكيد

جبروته وسلطانه .. وإرهاب الشعب كله .. ارهاباً يحو من رؤس الجميع أي
خلخة في الولاء المقدس لفرعون ..

فلما تم استعراض القوات المسلحة .. وبلغ فرعون من تأكيد القوة أقصاها .
تطلعت العيون .. الى الساحة وما فيها ..

ثم دوت الأبواق .. ايذاناً ببدء استعراض آلاف السحرة ..
وساد الساحة صمت رهيب ! ..

ثم تقدم كبير السحرة .. في ملابسه الكهنوتية .. فسجد أمام فرعون ..
يستأذنه .. في بدء الاستعراض .. فأذن له ..

فتقهقر كبير السحرة .. على رأس الوفد الذي كان من ورائه .. وخرُّوا
أمام فرعون ساجدين ..
ثم قال كبيرهم :

« أئِنَّ لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين » .

فتبسم فرعون .. تبسم الآلهة .. وقال :

« نعم .. وانكم لمن المقربين » .

فسجد كهراء السحرة .. ثم عادوا الى الساحة لمواجهة موسى ..

فبادرهم موسى ناصحاً :

« قال لهم موسى :

« ويلكم، لا تفترؤا على الله كلباً فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افتري » .

فماذا كان من السحرة ؟

« فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى » .

« قالوا : ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من أرضكم يسحرهما .

ويذهبا بطريقتكم المثلى .

« فاجمعوا كيدكم ثم انتوا صفاً .

« وقد أفلح اليوم من استعلي » .

ونظر موسى .. وإلى جواره أخوه هارون .. إلى الساحة التي تعج بالوف
من السحرة العلماء .. وقد اصطفوا صفاً واحداً على امتداد البصر ..

« ١٢٠٠٠ » ساحر عالم .. وقد أمسك كل بجباله وعصيه .. استعداداً
لساعة العمل ..

« قالوا :

« يا موسى .

« اما أن تلقي .

« وإما أن نكون أول من القى » ؟ .

انهم في منتهى الثقة من أنفسهم .. انهم يتعززون بعلمهم ومقدرتهم ..

فماذا قال موسى ؟ .

« قال :

« بل ألقوا .

وفجأة أمر كبير السحرة .. جميع السحرة أن يُلقوا .. فألقوا ..

« وقالوا :

« بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون » .

ثم ألقى كل منهم جباله وعصيه .. فتحولت كلها إلى ثعابين تتحرك
وتسعى وتضطرب ..

وامتلأت الساحة كلها منها ..

وضج فرعون بالتصفيق الحاد .. ودوت الألف كلها تصفيقاً لهذا المنظر
العجيب .. وهذه البراعة من السحرة أجمعين ..

« فاذا حباهم وعصيتهم يُخيّل اليه من سحرهم أنها تسمى »
فإذا كان هذا حال موسى .. فكيف كان شعور جميع المحتشدين ؟
« فلما ألقوا »

« سحروا أعين الناس »

« واسترهبوهم »

« وجاءوا بسحر عظيم » . . .

أي سحر أعظم من هذا ؟ آلاف من الجبال والعصي .. تحولت فجأة الى
ثعابين تتحرك وتسمى ؟

واسترهبوهم ؟

وأشاعوا الرهبة في قلوب الجميع ..

كل الناس تراها ثعابين حقيقية « سحروا أعين الناس » . . .

الدقائق تمر . والجميع يصفقون .. وعلى رأسهم فرعون ..

وبنو اسرائيل .. يصفقون خوفاً .. من بطش فرعون وجنوده . . .

وموسى .. ذلك الوحيد .. لا يدري ماذا يصنع .. ولا ماذا يفعل ؟

« فأوجس في نفسه خيفة موسى » . . .

هنالك .. جاءه الغوث :

« قلنا :

« لا تخف »

« إنك أنت الأعلي » .

كيف يكون هو الأعلى .. وهؤلاء يسيطرون تماماً على الموقف ؟!.

« وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك .

« فإذا هي تلقف ما يأفكون » ..!

« وألق ما في يمينك .

« تلقف ما صنعوا .

« إنما صنعوا كيد ساحر ولا يُفلح الساحر حيث أتى » ..!

وعلى الفور .. نفسد الكليم الأمر الأعلى .. الصادر اليه ..

« فألقى موسى عصاه .

« فإذا هي تلقف ما يأفكون » ..!

منظر من المناظر الإلهية الخالدة ..

في اللحظة التي بلغ فيها فرعون قمة النصر .. وقمة الاستعلاء ..

في اللحظة التي .. تأكد فيها الجميع أن موسى .. كان كاذباً ..

في اللحظة التي يأس واستيأس فيها بنو اسرائيل .. واستعدوا للعذاب

والتعذيب والتنكيل ..

« فألقى موسى عصاه » ..!

فوراً .. ألقى عصاه ..

وفوراً .. « فإذا هي تلقف ما يأفكون » ..!

تبتلع .. جميع ما في الساحة .. جميع الآلاف المؤلفة من الثعابين والحيات .

فجأة .. انقلبت العصا .. الى ثعبان ..

وابتلع الثعبان .. جميع ما في الساحة من ثعابين وحيات ..

ثم بدأ الشعبان .. ينفور ويشور .. ويتحرك نحو الملايين المحتشدة لبيتلها
هي الأخرى ؟ ! .

وانقلب المنتصرون .. فرعون ومَن وراءه .. الى مغلوبين .. يموتون غيظاً
ومرارة وحسرة ! ..

« فقلِّبوا هنالك .

« وانقلبوا ضاغرين » .. ! .

انقلبوا ؟ ! .

تعبير بحكم عجيب معجز ..

انقلبوا من أقصى التعزز والعلو .. الى أقصى الذلة والخسنة « ضاغرين » .

وهذا هو الجبروت الإلهي .. الذي يقلب الأعزة الى أدلة في لحظة ! ..

« فوق الحق .

« وبطل ما كانوا يعملون » .

كل التدبيرات .. كل التنظيمات .. والمؤامرات .. والاحتشادات .. وكل
علوم السحرة .. وكل إجرام هامان ومخابراته .. وكل مقدرات الدولة : : التي
وضعت في خدمة تلك اللحظة : : وكل ما كان يحلم به فرعون من ضيقت
ودوي في العالم .. وما كان يحلم به السحرة من مراكز مرموقة : : ومغانم
منتظرة ...

بطل ذلك كله في لحظة ! ..

« فبُهِت الذي كفر » : : .

وعم الوجوم .. والحزنى .. والذلة وجوه فرعون ومَن حشدهم ..

وأما السحرة ؟ ! .

« فالتبى السحرة سُجُداً .

« قالوا : آمنا برب هارون وموسى » ! ..
لماذا خرُّوا سُجَّدًا ؟ ..
لأنهم علماء .. وأعلم الناس بفنون السحر . :
وما حدث ليس من السحر ..
وإنما هو قوة جبارة مدارة .. ابتلعتهم وما صنعوا في لحظة ..
فخرُّوا لفورم .. بمجرد أن فوجئوا .. خرُّوا ..
« فالقبي السحرة ساجدين »
« قالوا : آمنا برب العالمين »
« رب موسى وهارون » ..
فألقبي ؟ ..
صعقوا لفورم .. فألقوا .. لفورم ..
ساجدين ..
« ١٢٠٠٠ » عالم كبير .. خلاصة علماء البلاد كلها ..
سُجَّدًا ؟ ..
لمن ؟ .. لرب العالمين ...
« آمنا برب العالمين » ، ١٢ .

لأطلبنكم ... أجمعين؟! ...

وقف فرعون ..
فوقف الجميع ..
ثم نادى في الجميع ..
« أنا ربكم الأعلى » ..
فبدت الساحة .. بالملايين المحشورة فيها .. صمتا رهيبا ! ..
ثم قال :
« يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري » ..
فازدادت الساحة صمتا .. ورغبا ! ..
ثم نادى : يا هامان ..
فسجد هامان بين يديه .. وألقى الدلة تحت قدميه ..
فنادى فرعون : إيتوني بهم أجمعين ..
وعلى الفور .. أشار هامان الى رجال الشرطة العسكرية ..
فانطلقوا الى الساحة .. وأحاطوا بالسحرة أجمعين .. وساقوهم الى
فرعون .. وهم يلهبون ظهورهم ووجوههم بالسياط ..
فلما مثلوا جميعا بين يديه .. صاح فيهم :
« آمنتم له قبل أن آذن لكم » ؟ ..
فنظر جميع السحرة اليه .. نظرة زادته غيظاً ..

فهددم جميعاً وقال :

« إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون ، » .

فلم يتكلم أحد من آلاف السحرة ..

وكيف يتكلمون .. وزبانية التعذيب من حولهم ؟! .

ثم احترق فرعون غضباً .. فصاح فيهم :

« ان هذا المكر مكرتموه في المدينة . »

« لتخرجوا منها أهلها . »

« فسوف تعلمون ، ! . »

هذه مؤامرة لقلب نظام الحكم .. اتفقت عليها في العاصمة .. لتستولوا على

السلطة .. وتخرجوا من البلاد أهلها ! . .

فازدادت الساحة صمتاً هلي صمت ..

وفرعون يزار ويزأر ! . .

ثم نطق فرعون .. ونطقه تتحرك الأجهزة الجهنمية كلها لتنفيذه :

« فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف . »

« ولاصلبنكم في جذوع النخل . »

« ولتعلمن أيثنا أشد عذاباً وأبقى ، ! . »

لقد قتل فرعون .. جميع علماء البلاد .. بكلمة ! . .

« ١٢٠٠٠ » عالم .. علم .. سوف تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ..

أي اليد اليمنى تقطع .. والرجل اليسرى .. أو اليد اليسرى والرجل اليمنى .

هذا أسلوب التعذيب ..

ثم يصلبون جميعاً .. كل واحد منهم بعد تقطيع يده ورجله من خلاف ..
يُصلب على جذع نخلة !..

أبشع صورة من صور الإعدام !..

انه اتهمهم أولاً .. بالخيانة العظمى .. « مكرٌ مكرتوه بالمدينة » مؤامرة
لقلب نظام الحكم !..

ثم حكم عليهم فوراً .. بالتقطيع .. ثم القتل صلباً !..
« ١٢٠٠٠ » قتلهم بكلمة ١٢ .

وإذا تكلم فرعون .. فقله .. 'كن فيكون' !..

جميعاً يُصلَّبون .. بلا استثناء .. ألم يخروا جميعاً ساجدين .. لرب
موسى وهارون ١٢ .

« ثم لأصلبكم أجمعين » . ١٠

ثم ١٢ . بعد أن تذوقوا أجمعين عذاب تقطيع الأيدي والأرجل .. أذيقكم
عذاب الصلب أجمعين !..

« ولتعلمن أيثنا أشد عذاباً وأبقى » ١٢ .

أنا .. أم رب موسى وهارون .. الذي آمنتم له .. أشد عذاباً .. وأبقى؟ .
ان المجرم الأكبر .. يواصل ادعاء الربوبية .. والألوهية .. ويعقد مقارنة
بينه وبين رب العالمين !..

والملايين المحتشدة .. صامتة لا أحد يجرؤ أو يفكر في مجرد الاشمئزاز !..

هنالك .. تُسمع هتاف وهدير .. كان أشبه بهدير الامواج ..

هنالك هتاف السحرة .. العلماء :

« لن نُؤثِّرَكَ على ما جاءنا من البيِّنات والذي فطرنا .

« فاقض ما أنت قاضى .
« انما تقضى هذه الحياة الدنيا .
« إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر .
« والله خيرٌ وأبقى .
« إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى .
« ومن يات مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى .
« جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من
تزكى » . . .

السحرة .. أئمة السحر منذ لحظات ..

ها هم أولاء .. تحولوا الى عارفين .. من أعلى درجات العارفين ..

وها هم أولاء .. يرون فرعون .. لا شيء يُذكر .. ولا وزن لأحكامه التي
أصدرها بإعدامهم .. « فاقض ما أنت قاضى » .. منتهى الاستخفاف
بفرعون وأحكامه !..

ها أنت !؟ . تحقير وازدراء !..

انما تقضى هذه الحياة الدنيا !؟ .

انما تحكم ما هنا .. في هذه الحياة الحقيرة .. ليس ! إلا !..

ثم يضربونه ضربة قاتلة « إنه من يأت ربه مجرماً » .. أي أنك مجرم ..
شديد الإجرام .. ولسوف تُعذب أشد العذاب !..

ثم يردون على سؤاله « أيُّنا أشد عذاباً وأبقى » !؟ .

ويقولون له « من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى » .
فعداب الله إذاً يا فرعون أشد من عذابك وأبقى ولا نهاية له ..

ثم يقولون « والله خيرٌ وأبقى » .. الله خير منك يا فرعون .. وأبقى ..
فهو حي دائم لا يموت .. أما أنت فسوف تموت .. وتلقى جزاء إجرامك ..
هنالك صب فرعون عليهم نار غضبه وصاح : خذوهم .. قطعوا أيديهم
وأرجلهم من خلاف .. ثم صلبوهم اجمعين .. على جذوع النخل ..
ووقف هامان .. كان وجهه القبيح .. رأس شيطان .. وأصدر امره
الفضيع الى الشرطة العسكرية ..
فسلسوهم اجمعين .. بسلاسل من حديد ..
واستاقوهم .. يلهبون ظهورهم ووجوههم وجنوبهم بالسياط ..
والعلماء .. العظماء .. العارفون .. المؤمنون .. الابطال .. فرحون
كانهم الى عرس يذهبون ..
وبينما كانت السياط تشوي منهم الوجوه .. كانوا يهتفون :
« إنا الى ربنا منقلبون » .
« وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا » ..
ثم رفعوا وجوههم المضيئة الى السماء وهتفوا :
« ربنا أفرغ علينا صبراً »
« وتوفنا مسلمين » .
« إنا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين » .

قتل ... ١٢٠٠٠ عالم ... صلبا؟! ...

يفهم كثير ... من الناس ...

أن السحرة .. هم مجرد سحرة ..
وهذا فهم خاطيء .. مجرد هؤلاء الشهداء العظماء من أخطر صفاتهم ..
وهي صفة العلم ..
ولو قد تعمقنا كلمة « عليم » في قوله تعالى « يأتوك بكل سحار عليم » ..
لأدر كنا على الفور .. أنهم كانوا طبقة أكابر العلماء في أنحاء البلاد ..
ولأدر كنا كذلك : لماذا لجأ فرعون الى قتلهم جميعاً؟! .
فالطاغية .. أخطر ما يخافه .. أن تكون المعارضة لحكمه في الطبقة المثقفة .
وهؤلاء هم قمة الطبقة المثقفة في البلاد ..
فإذا انقلبوا الى الإيمان بموسى وهارون .. ورب موسى وهارون ..
كان معنى هذا اتباع كثير من الشعب لهم .. بدافع ما لهم في نفوس الناس
من تعظيم وتوقير ..
إذاً لا بد من استئصال الداء .. بقتل هؤلاء العلماء جميعاً ..
فيشير ذلك الرعب في نفوس الفوغاء .. ويرجعوا عن محاولة تقليدكم
في إيمانهم! ..
فهي خطة جهنمية .. وليست مجرد بطش من فرعون .

فلو قد تركهم .. لامن معهم كثير من المصريين ..
ومعنى هذا .. اهتزاز عرش فرعون .. وأيلولته الى السقوط ..
فإذا انضم هذا التيار الجديد .. الى موسى وبني اسرائيل ..
فمعنى هذا اشتداد المعارضة .. وتنبيه البهائم الغافلة .. ثم ثورة الشعب
واقتل فرعون ..
إذا .. لا بد من إبادتهم ..
ليضرب اتجاهات كثيرة .. بحجر واحد ..
يضرب الأغلبية التي من المصريين .. بإرهابهم بقتل أكبر طائفة من المثقفين .
ويضرب بني اسرائيل .. بأن يفهموا بأنهم ليسوا أعز عليه .. من قومه
الذين صلبهم أجمعين ..
فلو فكروا في الانتفاض عليه .. فهذا مصيرهم أجمعين ..
« أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويلذرك وأهلك » ١٢ .
فماذا قال اللعين ١٢ .
« قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم .
« وإنا فوقهم قاهرون » ١٠ .
هذه هي الخطة الجهنمية لهذا اللعين ..
القتل ... القتل ..
قتل العلماء « لأصلبكنم أجمعين » ١٠ .
وها هو يأمر .. بتقتيل قوة المقاومة .. في بني اسرائيل .. تقتيل الأبناء ..
انه جنون الحكم ..

وجنون الاستكبار بغير الحق ..
وجنون العظمة .. وهو شر أنواع الجنون ..
وهذا النوع من الجنون .. الذي يمنع الإنسان من كل خير ..
سجده عليه .. موسى عليه السلام :
« وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً » !
أي .. ملعوناً .. ممنوعاً من الخير ..
أي .. مصاباً بجنون العظمة ..

ذروني ... أقتل ... موسى؟! ...

التقطت بطولة موسى ...

قلوب الشباب ..
والبطولة هي المغناطيس .. الذي يلتقط أفئدة الشباب ..
وكان النصر الساحق الساحق .. الذي حققه موسى .. في يوم الزينة ..
أمام الملايين ..
حين التقمت عصاه .. جميع ما في الساحة ..
هو اللحظة التي تقرر فيها .. بطولة موسى أمام الجميع .
الأعداء بهرم .. حين قهرهم وعلى رأسهم فرعون ..
والأنصار ازدادوا تعلقاً به .. لما شاهدوا على يديه ..
وصار موسى .. بطلاً أسطورياً عند الجميع ..
وحدثاً يتحدث عنه الجميع ..
ودوت شهرته في أنحاء العالم ..
وها هنا اشتد شعور فرعون بالخوف منه .. على عرشه وكيانه كله ..
ان اعجاب الجماهير بموسى .. يزداد ويزداد ..
والناس حين يجدون من يتصدى للطاغية .. يعجبون به .. ولكن دون
إظهار هذا الإعجاب .. خوفاً من بطش الطاغية ..

فالمسألة في منطق فرعون .. ليست مسألة حق وباطل ..
وإنما هي مسألة .. عرش أو لا عرش ١٢ .
هل يبقى هذا العرش الذي يجلس عليه .. أم يزول بتهديد موسى ١٢
هذا هو محور الصراع .. في رأس فرعون ..
بيننا موسى .. لم يطلب عرشاً .. ولم يفكر في تهديد عرش فرعون ..
وإنما هو يطلب من فرعون .. أن يسمح له .. ولقومه بني اسرائيل ..
بالخروج من مصر .. فيستريح منهم ! ..
ثم ازداد إحساساً بالخطر .. حين رأى بني اسرائيل .. يقيمون معابد في
المناطق التي يسكنون فيها .. ويعبدون فيها ربهم ! ..
إذاً لقد بدء التنظيم في صفوفهم .. تنظيم المقاومة السرية .. صحيح أنهم
يقيمون فيها الصلوات .. ولكن هذا يوحد صفوفهم ويجمع شتاتهم .. بعد أن
كانوا عبيداً لا وزن لهم ..
ويزيدهم قوة أن هذا الرجل الخطير .. الذي اسمه موسى .. على رأسهم ! ..
إذاً لا بد من تخطيط مضاد ..
وفكّر الشيطان الأكبر .. وكان تخطيطه امتداداً لما فعله بالسحرة ..
إبادة للشباب الذين آمنوا بموسى ..
إبادة للزعامة .. التي يتجمعون حولها .. بقتل موسى ! ..
وبذلك يفرغ من المشكلة بجميع أطرافها ! ..
وكان لا بد من شن حرب الدعاية .. تمهيداً لتلك الأحداث ..
فأمر زبانيته .. بحشد الشعب كله .. في مؤتمر شعبي عام .. لتجديد الولاء
للملك المقدس ..

« فحشر فنادى .

« فقال أنا ربكم الأعلى ، ا . . .

فحشر ا؟ . فجمع الشعب في مؤتمر عام . .

فنادى ا؟ . فأعلن فيهم . . بلغة العصر الحديث . . وأعلنت أبواق الدعاية

من بعده . .

فقال : للحشد المجتمع . . للملايين المرصوفة . .

أنا ربكم الأعلى ؟! . أنا سيدكم الأعلى . . وأنتم جميعاً عبدي . .

وهم يسمعون . . ولا يتكلمون . .

ثم جعل يخطب خطاباً مستفيضاً . . يذبه فيه الى خطورة هذا الرجل
المسمى موسى . . وإلى افتضاح أمره حين تأمر مع آلاف السحرة لقلب نظام
الحكم في البلاد . . الى آخر هذه الافتراءات التي يتقن الدكتاتوريون اتهام
أعدائهم بها . .

« ونادى فرعون في قومه قال :

« يا قوم ، . . .

يا شعبي . .

« اليس لي ملك مصر .

« وهذه الأنهار تجري من تحتي .

« أفلا تبصرون ، ا؟ .

شعبي . . اليس لي ملك مصر . . حق ثابت لي . . ورثته عن أجدادي . .

فكيف ينازعني فيه هذا الرجل الحقير الخائن . . الذي يزعم أنه رسول ا؟ .

أفلا تبصرون ا؟ . هل هناك من أحد منكم يشك أدنى شك في ذلك ا؟ .

فتعالت الهتافات .. الموت للخونة .. مصر المصريين .: لا مكان للخونة في
صفوفنا بعد اليوم !..

« أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكاد يبينُ » .

سؤال خبيث يطرحه على الشعب .. وهو يعلم مقدماً .: أن أحداً لن يجرؤ
على الإجابة بغير ما يشتهي !..

أنا .. أحسن .. أم هذا الذي هو مهين .. حقير .. لاحق له حق أن
يتكلم .. لأنه لا يحسن النطق إذا تحدث !..

انه رجل من العبيد .. الأذلاء الفقراء ..

ثم لوح فرعون بيده .. فبذت أساور المُلْك الذهبية التي يرصعها حول
يديه .. ثم قال :

« فلولا أُلقي عليه أسورة من ذهب ، ..

هل يحمل كما أحمل شارات المُلْك .. وأساور الملوك ؟! » .

ثم ان كان كما ذهب به الجنون .. رسولاً من ربه .. فأين دليله على ذلك ..
لولا أرسل معه ربه ملائكة من عنده .. يقولون لنا هذا رسول ؟! .

« أو جاء معه الملائكة مُقترنين ، ؟! » .

وهكذا لعب بعقولهم .. واستخف بها ..

فجذبوا الولاء .. وأكدوا الطاعة .. وحقق فرعون منهم غرضه الخبيث
وهو تهيب الأذهان لقتل غريمه .. موسى ..

« فاستخف قومه ، استخف بعقولهم .. التي ألغاهما بنظامه الاستبدادي
الذي لا يسمح لأحد بالتفكير ..

« فأطاعوه ، فوراً .. أطاعوه جميعاً .. في كل ما يقوله لهم .. وكل
ما يريد منهم ..

فأطاعوه؟! طاعة عمياء .. لا معارضة .. ولا تفكير في معارضة ..
« انهم كانوا قوماً فاسقين ، كانوا شعباً .. خرج عن كل الحدود .. وتجاوزوا
المعقول الى الاستسلام للخنوع !..»

فلما مهد المذكور أذهان الشعب بدأ سياسته الإجرامية ..
فعمد مجلس إجرامه لبحث خطة إبادة أعداء الشعب ..
« وقال الملأ من قوم فرعون ، أصحاب السلطة من حوله ..
« أتلى موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ، في المملكة .. ويرفضوا
الشجرة .. ويرفعوا رءوسهم .. ويعبدوا رب موسى وهارون ..
« ويندرك وأهلك ، ويترك ديانتنا المقدسة .. ويرفض عبادتك .. وعبادة
آلهتك المقدسة .. يا ابن الآلهة ؟!..»

فأعلن اليهم⁷ خطته الجهنمية :

« قال : سنقتل أبناءهم ، سنقتل¹ ؟! بسبب وبدون سبب .. سنلق لهم
الانتهامات لنقتلهم .. ونذبح شبابهم ..
« ونستحيى نساءهم ، فلا وزن للنساء .. ثم نستمتع بهن ..
« وإنا فوقهم قاهرون ، وماذا يستطيع أن يفعل هذا موسى .. وقومه من
العبيد .. الذين يثنون تحت الشجرة ؟!..»

وفي سورة غافر :

« قالوا :

« اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ، ..
اقتلوا أبناء .. اقتلوا الشباب .. اقضوا على قوة المقاومة فيهم !..
ان فرعون في رعب شديد .. من هؤلاء الشباب .. بقيادة موسى ..
وفي نفس الوقت .. هؤلاء الشباب في رعب من تعذيب فرعون ..
« فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه .»

- « على خوف من فرعون وملنهم أن يفتنهم »
- « وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين » ..
- ذرية ١٢. شباب .. دم جديد .. فيه جرأة الشباب ..
- على خوف ١٢. خوف شديد .. دائم ..
- أن يفتنهم ١٢. أن يعذبهم عذابه الرهيب ..
- وكان لا بد من ترتيب المقاومة السرية الصامتة .. من موسى ..
- « وأوحينا إلى موسى وأخيه »
- « أن تبوءا القومكما بمصر بيوتاً »
- « واجعلوا بيوتكم قبلة »
- « وأقيموا الصلاة »
- « وبشر المؤمنين » ..
- هذه هي خطة المقاومة السرية .. ضد فرعون وتنظيماته ..
- بيوتاً ١٢. اتخذوا بيوتاً ..
- واجعلوا بيوتكم قبلة ؟ .. معبداً .. تتعبدون فيه لربكم ..
- « وأقيموا الصلاة » واجتمعوا فيها للصلاة ..
- تنظيم عجيب .. وترايط أعجب ..
- وأحس فرعون بالخطر ..
- ان أعداءه يتجمعون .. وهذه المرة على رأسهم قائد من أخطر القادة السياسيين.
- ولا مناص من إزالة هذه الزعامة .. التي يتجمع حولها هؤلاء ..
- « وقال فرعون :
- « ذروني أقتل موسى »
- « وليدع ربه »
- « أتني أخاف أن يبدل دينكم »
- « أو أن يُظهر في الأرض الفساد » ..

أقتلون رجلاً ... أن يقول ...
ربي الله!؟ ...

بلغت الأمور ...

مرحلة اللاعودة .. بين فرعون وموسى ..
فرعون قد استيأس من امكان القضاء على موسى ..
وموسى تأكد عنده أن فرعون لن يؤمن بشيء مما يدعوه اليه .. وأنه في نظره مجرد ساحر ! ..
أما فرعون .. فلا رأي عنده إلا قتل موسى .. « ذروني أقتل موسى » .
وأما موسى .. « وقال موسى : ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك .
« ربنا اطمس على اموالهم واثدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتي يروا العذاب الأليم .
« قال : قد أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » .
ليس هناك أدنى أمل في إيمان فرعون .. أو شعبه ..
لماذا ؟! . بسبب ما هم فيه من نعيم .. هذا هو حجابهم .. فلا بد من كشط تلك الحجب « اطمس على أموالهم » ..
وحق إذا كَشِطْتَ هذه الحجب .. فلن يؤمنوا .. ولن يستسلموا لرجل فقير .. من العبيد .. من بني إسرائيل ! ..

ولن يُطلقوا هؤلاء العبيد ..

« وقالوا : مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » ..

تركيب إجرامي .. وتفكير فرعوني !..

« وجحدوا بها .

« واستيقنتها أنفسهم .

« ظلماً وعلواً .

« فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » !؟

م على يقين أن موسى على حق ..

ولكن تركيب الظلم .. وتركيب الملوّث .. يمنعهم أن يستجيبوا للعبيد ..

بلغت الأمور .. الى مرحلة اللاعودة .. بين فرعون وموسى ..

أما فرعون فلجأ الى السلطة المطلقة التي في يديه .. يستعملها في القضاء على أعدائه :

« ذروني أقتل موسى » ..

« سنقتل أبناءهم » ..

وأما موسى .. فلجأ الى ربه ..

« وقال موسى : إني عُذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم

الحساب ، ا..

ولما ضج اليه بنو إسرائيل .. من عذاب فرعون وإجرامه :

« قال موسى لقومه :

« استمعينوا بالله واصبروا .

« ان الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده .

« والعاقبة للمتقين » .!

فازداد قوم موسى ألماً على آلامهم التي لا تنتهي . إنهم قصة عذاب طويل
واضطهاد مرير لا نهاية له ..

قبل موسى .. عذاب ..

وبعد إرسال موسى .. عذاب .. أما لهذا الليل من آخر ؟!

« قالوا : 'أوذينا من قبل ان تأتينا .

« ومن بعد ما جئتنا » .

ما رأينا راحة قبلك .. ولا بعدك يا موسى ..

مرارة .. وألم .. وليل اسود بهم ..!

« قال :

« عسى ربكم ان يهلك عدوكم .

« ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون » .!

منطق الأنبياء .. منطق من أفق أعلى ..

بنو إسرائيل يرونها قصة يائسة .. وليلاً طويلاً .. لا أمل فيه ..

وهو يرى النواميس الكلية .. التي تحتم تدمير الظلم .. ونصرة الحق في

النهاية « والعاقبة للمتقين » .!

ماذا كان من فرعون ؟!

دعا مجلس البلاط الملكي الى اجتماع سري عاجل ..

فجاءه أمراء الأسرة المالكة الفرعونية المقدسة هلى عجل ..
وتوافدوا اليه في مكان سري .. من قصوره المنتشرة في كل مكان بالعاصمة ..
وأنحاء البلاد ..
ولما اكتمل الحاضرون .. نهض فرعون .. وقد بدا وجهه كأنه رموس
الشياطين ثم قال في صوت الأمر الذي لا يناقش :
« ان أعظم أسرة مالكة في الارض .. ان عرش الفراعنة المقدس العتيده ..
يهتز ويميد .. فماذا أنتم فاعلون ، .
فارتفعت الأصوات .. وقد أحسوا جميعاً بالخطر يتهددهم :
« اقتلوا أبناء الدين آمنوا معه .
« واستحيوا نساءهم » ..
فصاح فيهم فرعون :
وماذا يجدي قتل الصعاليك ؟ .
فارتفعت الأصوات : بالقضاء على الشباب .. تنقرض منهم قوة المقاومة ..
فصاح فرعون : يا لكم من أغبياء .. وتتركوا هذا الرجل .. هذا الساحر
الحقير .. الذي يزعم أن له رباً يوحى اليه .. قائماً ؟ .
فتنادوا : وما الرأي إذن ؟ ..
« وقال فرعون : ذروني أقتل موسى .
« وليدعُ ربه » .
ثم قهقه ساخراً .. عندما أقتله .. فليريني ماذا يفعل له ربه هذا ؟ ..
فرُعبوا هنالك .. كأنهم يخشون أن يفجّر قتل موسى .. الثورة في
بني إسرائيل ..

فصاح فيهم فرعون :

« إني أخاف ان يُبدل دينكم » .

ماذا تنتظرون أيها الأغبياء .. أذنتظرون حتى تنتشر دعوته ..
ويبدل دينكم ؟ ..

« أو ان يُظهر في الارض الفساد » ؟ ..

أو يفصح عن نواياه الإجرامية .. ويقوم بانقلاب يستعمل فيه قومه .. وما
التف حوله من شباهم ! ..

وحينئذ ستدبجون جميعاً .. وتُفعل بكم الأفاعيل .. وينتقم
منكم أجمعين ! ..

ثم صاح فيهم : أريد قراراً إجماعياً منكم .. بقتل موسى ..

فسكتوا جميعاً .. فصاح فرعون : إذن أنتم موافقون ؟ .

فانتفض من بينهم أمير منهم .. كبير السن .. عليه وقار الحكماء ..

كان هذا الرجل .. ابن عم فرعون .. وكان فرعون يحترمه لرجاحة عقله ..
ووفور حكته ..

وكان ذلك الرجل .. يتابع الأمور .. منذ هبط موسى البلاد .. وما كان
بينه وبين فرعون من نضال ..

فآنس الرجل من أول لحظة .. أن موسى .. نبيّ الله ورسوله حقاً ..

وأن ما جاء به من آيات .. هي آيات الله .. وليست سحراً كما
يدعي فرعون ..

إلا أنه كان يكتُم إيمانه .. حتى لا ينكل به فرعون .. وينتظر اللحظة التي
يظهر فيها إيمانه .. حيث يكون من الحكمة والسداد الإظهار ..

انتفض الأمير الكريم .. وهو نائر غاضب أشد الغضب وصاح فيهم :

« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » :

رجل .. مؤمن ..؟

أكرم صفتين لشخصية ما ..

رجل؟! . انسان بطل .. اكتملت رجولته .. واستوت بطولته ..

مؤمن!؟ . أعلى صفة من الصفات العليا ..

وإذا وصف الله سبحانه بشراً بترككم الصفتين .. فقد أثنى عليه .. يجمع

الصفات الكريمة ..

وآية رجولته أو بطولته .. أنه هو الصوت الوحيد .. الذي ارتفع في وجه

فرعون .. الجبار العنيد ..

وأنه « من آل فرعون » من أمراء الأسرة المالكة .. بل من أكابر

الأمراء .. بل كان المفروض أن يدافع عن الأسرة .. بل وقف يدافع عن

موسى .. عدو الأسرة الأول ..

وآية اكتمال عقله أنه « يكتم إيمانه » .. يبالغ في كتمان هذا الإيمان .. عن

فرعون وزبائنه .. وعن أهله وعشيرته .. فليس هو بالرجل الأهوج .. الذي

يندفع في حماس ويعلمن إيمانه .. في هذا الجو الأسود الكئيب .. ولكن لكل

أمر ترتيب ..

وقف البطل .. وأشق أنواع البطولة التصدي للطاغية .. وهو في عنفوان

طغيانه وسلطانه :

« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب .

« ورجل قام الى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ، .. - أو كما قال -
ان هذا الموقف الذي وقفه .. ذلك البطل .. من أعلى مراتب البطولة ! ..
وقف نائراً .. وقذفها في وجه فرعون .. كأنها شواظ نار .. يشوي
وجهه الجهنمي :

« أتتمتلون رجلا .

« أن يقول ربي الله » ١٢ .

أتُجمعون أيها المجرمون .. على قتل رجل .. لا جريمة عليه .. إلا أنت
قال .. ربي الله ! ١٢ .

في أي عقل هذا يكون ؟ ..

فثار فرعون : ظهرت الحيانة في صفوفنا .. يا للعار .. وأي جريمة هي
أكبر من تبديل ديننا أيها الخائن ؟ ..

فلم يلتفت البطل الى هذيان فرعون وقال :

« وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ..

فصاح فرعون مهتداً : أيها المارق المارق لدين آباؤه .. أي بينات هذه التي
تعني .. لعلك تُخدعت بسحر هذا الكاذب الحقير ؟ ..

فواصل البطل حديثه في هدوء الموقنين :

« وإن يك كاذباً فعليه كذبه .

« وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم » ..

فصاح فرعون : أنا لست مجنوناً .. لأصدق هذا الساحر المجنون .. وأسلم
المملكة .. الى مشعوذ ! ..

فقال البطل :

« ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » ..

وكانت قنبلة فجرها البطل ..

فصاح فرعون وقد نفذ صبره :

تعني أني كذاب ؟ .. أحكم بلادي .. بالكذب ؟ .. فلسوف تعلم مصيرك
الأسود .. ان سياسة الشعوب يا هذا .. لا بد فيها من أكاذيب وألعايب ..
وهذا ما لا تستطيع له فهما ..

أنسلم مملكتنا وعِزنا وكبريائنا .. الى عبيدنا ؟ . ان هذا لن يكون ! ..

فقال البطل .. وكأنه يتكلم من الأفق الأعلى :

« يا قوم .

« لكم الملك اليوم .

« ظاهرين في الأرض .

« فمن ينصرونا من بأس الله إن جاءنا » ..؟

يا إخوتي .. وبني عمومتي .. يا أعضاء الأسرة المملوكة .. صحيح لكم
الملك اليوم .. في أيديكم جميع السلطات .. تفعلون ما تشاءون .. لأنكم ظاهرين
في الأرض .. بيدكم السلطة التي تمكنكم من ذلك .. ولكن نسيت شيئاً هاماً ..
لا بد من عقاب الله لنا على إجرامنا .. ورفضنا الحق المنزل من عنده .. وإذا
أخذنا لم يفلتنا .. فسياستكم هذه ستجر علينا الوبال .. « فمن ينصرونا من
بأس الله ان جاءنا » .. من يستطيع يومئذ منعنا من عقاب الله ان نزل بنا ؟ ..

وكان فرعون آنس من المجتمعين ميلاً الى كلام الرجل فصاح :

« قال فرعون :

« ما أريكم إلا ما أرى » .

لا أسمح لكم أن تقرروا قراراً إلا ما قررت أنا .. وما كان لفرعون أن يكون لأحد معه رأي !..

« وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » .

وما أوجهكم إلى إلى الطريق الصحيح .. للمحافظة على الملك والمملكة .. ولا رأي لأحد إذا رأيت أنا أمراً !..

هنالك الحماز المجتمعون جميعاً إلى رأي فرعون .. كما اعتادوا في اجتماعاتهم التي يرصهم فيها رص الحجارة ..

ووقف البطل وحيداً لا نصير له .. وقد كلفه فرعون بعار الخيانة العظمى للأسرة المالكة .. ولجميع البلاد !..

والطغاة إذا حكموا .. قلبوا الحقائق .. ولوثوا العقول بما يشاءون .. وكذلك يفعلون !..

هنالك قال البطل :

« وقال الذي آمن : يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب .

« مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد .

« ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد .

« يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد .

« ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » .

فصاح فرعون : اكفف عنا هذه الأوهام ..

ثم صاح : يا هامان .. سجل عليه صكوك الإعدام !..

فقال البطل :

« وقال الذي آمن : يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد .

« يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار .

« ومن عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى

وهو مؤمن فأوانك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب .

« ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار .

« تدعونني لأكفر بالله وأُشرك به ما ليس لي به علم وأنا ادعوكم الى

العزیز الغفار .

« لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن

مردنا الى الله وأن المسرفين هم اصحاب النار .

« فستذكرون ما اقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد . »

وكانت القاعة السرية .. صامتة صمتاً رهيباً .. والرجل المؤمن يقول

ما يقول .. بين قوم قد ألغى منهم فرعون العقول ..

فلا التفات لشيء مما يقول ..

وإنما تركوه يُفرغ ما عنده .. لأن مصيره قد تحدد .. وحكم الإعدام ..

قد صدر عليه .. من اللحظة التي اجترأ فيها على معارضة قرار فرعون

بقتل موسى !..

إلا أن الأحداث القادمة .. شغلت فرعون عن تنفيذ جريمته .. جريمة

قتل موسى .. وجريمة قتل مؤمن آل فرعون ..

« فوقاه الله سيئات ما مكروا »

« وحاق بآل فرعون سوء العذاب » ..

في اللحظة التي قرر فيها فرعون .. قتل موسى .. وقتل هذا المعارض ..
وأصدر أوامره السرية .. الى هامان .. لتدبير الجريمتين تدبيراً رهيباً ..
في تلك اللحظة .. كانت آيات الله .. الباهرات القاهرات الظاهرات ..
تتنزل .. لتذيق فرعون .. وقومه .. أسوأ أنواع العذاب ..
فشئل المذكور .. بالدفاع عن نفسه ..

ولم يكن عنده وقت لتنفيذ المؤامرة .. لقتل موسى .. أو قتل مؤمن
آل فرعون ! ..

في ... تسع ... آيات ١٤ ...

الاجرام ...

صفة أصيلة في فرعون وقومه ..
« وكانوا قوماً مجرمين » ..
وكانوا شعباً وحكومة مجرمين ! ..
فموسى عندهم ساحر .. يُتخذ وسيلة للضحك والسخرية ! ..
« وقالوا : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون .
« فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون » ..
هكذا !؟ . موسى مجرد ساحر ..
ادع لنا ربك !؟ . ربك أنت .. أما نحن فلا نعرف بهذا الرب ..
وعاهدوه لئن كشف عنهم العذاب .. أن يتبعوه .. فلما كشف عنهم
العذاب .. ضحكوا عليه ..
طبيعة الإجرام ! ..
بل ما هو أخطر من الإجرام .. اتخاذ معجزات موسى .. على أنها أضحوكة
يضحكون بها ! ..
« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب
العالمين .
« فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون » ..؟

هكذا كانوا .. الموضوع كله في نظرهم مجرد موضوع للضحك ..
وكان موقفهم الدائم .. وعلى رأسهم اللعين .. هو التكذيب مهما كانت
الآية من الوضوح الذي لا يقبل المناقشة ..

« ولقد جاء آل فرعون القنڈر .

« كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذاً عزيزاً مُقتدر ، ..
كلها ١٢ . موقف ثابت .. موسى ساحر .. والآيات ألعيب من السحر ! ..
« فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحرٌ مفترى وما
سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، ..

كل هذه المعجزات .. الألعيب ساحر ! ..

اجرام .. وإصرار على الإجرام ! ..

بل ذهب فرعون إلى أبعد من هذا .. ذهب إلى أن موسى نفسه رجلاً
مسحوراً .. العوبة في يد ساحر أكبر منه .. فلا يستطيع موسى الفكك من
تأثيره عليه ..

« ولقد آتينا موسى تسع آيات بنيات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له
فرعون اتى لأظنك يا موسى مسحوراً ، ١٠ ..

اني لعلى يقين .. أنك يا موسى مسحوراً .. يلعب بك ساحر ما كر يستعملك
في هذه الألعيب ..

ولقد أنزل الله .. تسع آيات .. تسع معجزات واضحات باهرات .. على
امتداد السنين .. وعلى أوسع مستوى من البلاد كلها ..

وكانوا يصرخون ويولولون إذا وقعت بهم الآية .. ولم يجدوا منها مخرجاً ..
فيعطوا المواثيق لموسى .. أنهم إذا رفع عنهم تلك المصيبة .. ليؤمنن به ..
وليطلقن معه بني إسرائيل ..

ويُكشَف عنهم الويل الذي هم فيه .. فإذا هم كمعادتهم دائماً ينكثون ! ..
لماذا؟ لأن المجرم الذي يحكمهم .. يريد هذا .. لا يريد أن يُهزم
أمام موسى ..
وما دام فرعون تلك رغبته .. فهي رغبتهم جميعاً ..
لقد تعودوا على هذا طيلة حكم الفراعنة المقدس ..
فرعون .. هو الرب وهو الإله ..
وهم جميعاً .. حجارة مرصوة .. يتكون منها الهرم .. ليتربع على
قمة المذكور ..

« ولقد أرينا آياتنا كلها فكذب وأبى » ..
أبى؟! ها هنا عقده .. كيف أنزل من إله .. إلى عبد؟! ..
ومن رب يُعبد .. إلى رجل يَعْبُد؟! ..
إن هذا لن يكون! ..
بل « أنا ربكم الأعلى » ..
تركيب إجرامي .. حوّل الشعب بالقهر والإذلال والإرهاب .. إلى عبيد
لا رأي لهم ولا تفكير ..
يقول لهم .. موسى ساحر .. وهم يرددون من ورائه .. موسى ساحر ..
يبغاوات .. لا عقل لها ..
حتى لو أدى اصرار فرعون على موقفه .. إلى خراب البلاد .. وضياعها ..
فلا مانع .. ما دام فرعون قائماً فيهم! ..
انهم خسروا كل شيء .. وربحوا فرعون! ..
« ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » .

« فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون .

« وقالوا مهبا تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين .

« فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين .

« ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل .

« فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون » ..

هذه الآيات سجلت الموقف كله .. بين موسى .. وفرعون وقومه ..
أحسن تسجيل ..

آيات مفصلات !؟ .

معجزات .. يتلو بعضها بعضها .. على أزمنة متباعدة متتابعة .. على
مستوى البلاد كلها .. بحيث يراها الجميع .. ويصلاها الجميع .. ويولول
منها الجميع ..

ويضطر الجميع أن يتوسلوا إلى موسى .. أن يكشفها عنهم .. وحينئذ
يؤمنون له .. ويطلقون معه بني اسرائيل ..

وموسى يستجيب لهم .. ويكشف عنهم العذاب بدعاء الله لهم ..

وهم ينتكسون وينقضون عهدهم في كل مرة .. ويضحكون من موسى ..
وعلى موسى ..

« فلما جاءهم آياتنا إذا هم منها يضحكون .

« وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعليهم
يرجمون » ..

ولكن لا فائدة .. ولا جدوى ..

« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » ..؟

« فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » ..؟

والآن .. ماذا كانت تلك الآيات .. وما مدى اتساعها .. ومدى
ضخامتها ؟ ! .

ولماذا وصفها الله سبحانه بقوله :

« آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ » ..؟ .

آية ... الدم ...!

قال عز وجل :

« فإرسلنا عليهم الطوفان .

« والجراد .

« والقمل .

« والضفادع .

« والدم .

« آيات مفصلات » ..

فإرسلنا عليهم ؟.

لعلهم يتذكرون .. وحججة عليهم .. وعقاباً لهم .. وضرباً لكبيرهم
واستعلائهم .. وكسراً لشؤكتهم ! ..

وقف اللعين يديه ويتأيل كبراً وعلواً يوماً ما يقول :

« أليس لي ملك مصر ؟

« وهذه الأنهار تجري من تحتي ، ؟! »

المذكور يكاد ينفجر كبراً .. أين هو العالِي المالك للملك مصر .. ونهر

النيل وفروعه كلها .. من « هذا الذي هو مهينٌ ولا يكاد يبين ، ؟! »

لا وجه للمقارنة .. بين من يملك كل شيء .. ومن لا يملك شيئاً ! ..

والمُلك مصيبتَه الكُبرى .. أنه حجاب الحُجب ..
المُلك أغلظ الحُجب ..

ينظر المُلك إلى ما تحت يده من مقدرات وسلطات .. فيقول في نفسه :
ليس كمثلِي أحد ..

فإن لم يقترن المُلك بالإيمان .. تحول المُلك إلى متألَه .. لولا الحياء لقال :
أنا ربكم الأعلى ..

وقد قالها أحدم .. وهو هذا الفرعون وأعلنها : أنا ربكم الأعلى ..
وكانه يوماً .. لم يكفه ذلك .. فنظر إلى ما هو أعلى .. فقال : ما علمت
لكم من إله غيري ..

ففرعون هنا .. اللسان الباطن لكل مَلِك لم يقترن مُملكه بالإيمان .. الذي
يَهذب من غروره .. ويحدث التعادل في تفكيره ..

وما هو يعلن في موقف عام .. أليس لي مُلك مصر .. وهذه الأنهار
نجري من تحتي ؟!

فكان حتماً .. أن يُضرب في هذا المُلك .. وأن يُضرب في هذه الأنهار
التي تجري من تحته ..

ومعلوم أنه نهر واحد هو نهر النيل .. وله سبعة أفرع .. ومن هذه الأفرع
تجري الترع والجداول إلى أنحاء المملكة ..

فتحتم ضربه في هذا النهر الذي يحجبه عن ربه .. وقد كان ..

قال أهل الكتاب .. في سفر الخروج :

« ثم قال الرب لموسى قلب فرعون غليظ .

« قد أبى ان يطلق الشعب .

« اذهب إلى فرعون في الصباح .

- د انه يخرج الى الماء .
- د وقِف للغائه على حافة النهر .
- د والعصا التي تحولت حيّة تأخذها في يدك .
- د وتقول له الرب إله العبرانيين أرسلني اليك قائلاً اطلق شعبي ليعبدوني في البرية .
- د وهوذا حتى الآن لم تسمع .
- د هكذا يقول الرب بهذا تعرف أني أنا الرب .
- د ها أنا أضرب بالعصا التي في يدي على الماء الذي في النهر فيتحول دماً .
- د ويموت السمك الذي في النهر ويبتن فيعاف المصريون ان يشربوا ماء من النهر .
- د ثم قال الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتتصير دماً .
- د فيكون دمٌ في كل أرض مصر في الأخشاب وفي الاحجار .
- د ففعل هكذا موسى وهارون كما أمر الرب .
- د رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون وأمام عيون عبديه فتحول كل الماء الذي في النهر دماً .
- د ومات السمك الذي في النهر وأنتن النهر .
- د فلم يقدر المصريون ان يشربوا ماء من النهر .
- د وكان الدم في كل أرض مصر .
- د وفعل عرّافو مصر كذلك بسحرهم .

« فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب .
« ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يُوجّه قلبه الى هذا ايضا .
« وحضر جميع المصريين حوالى النهر لأجل ماء ليشربوا .
« لأنهم لم يقدرُوا أن يشربوا من ماء النهر ، .
هذه صورة تفصيلية لآية الدم .. كما وردت عند أهل الكتاب ..
وكما ذكرنا أن شؤم منطق فرعون « وهذه الانهار تجري من تحتي » ..
قد أنزل به وبشعبه العقاب ! ..
ولسان حال المعجزة يقول : تتيه فخراً بهذا النهر يا فرعون !؟ . فلسوف
نحرمك وشعبك منه .. ونحوه الى دم .. ونتشن .. لعلكم تعقلون ..
وهكذا .. آية .. مفصلة .. منتشرة أمام الجميع .. وironها بأعينهم ..
ولكن هيات هيات ! ..
رغم أن المذكور لم يأبه بتلك الآيه ..
إلا أنها زلزلت أعماقه .. ولكن الكبر .. منعه أن يؤمن لهذا « الذي هو
مبين ولا يكاد يبين » ..
« وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ، ! ..
وبينا فرعون يتلقى الضربات .. كانت هناك ضربة أفزعته ..
وحطمته تحطياً ..
فانتفض كالأسد المصور .. يصب عليها صنوف الإجرام والتعذيب ..
كانت هذه الضربة .. من أقرب الناس عليه .. ممن لم يتصور يوماً أبث
يُضرب منها ..
فكيف كان ذلك !؟ .

آسية ... امرأة ... فرعون ١٩ ...

سبحان .. ذي الجبروت .. والملكوت .. والكبرياء .. والعظمة ! ..

كان للجبروت الإلهي .. الذي تجلّى في المشهد الخالد :

« فالتقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون .

« فالتقى السحرة ساجدين .

« قالوا آمنا برب العالمين .

« رب موسى وهارون » ..

كان لذلك الجبروت زلزلة .. في قلوب الشاهدين .. هزّت أعماقهم
هزّاً عنيفاً ..

إلا أن إجرام فرعون .. منعهم أن يظهروا الانقلاب الذي هز أعماقهم ..

ثم كان لإجرام فرعون .. الذي صبّه على جميع السحرة :

« لأصلبكنم أجمعين » ..

ثم ثبات السحرة .. وهم يساقون الى الصّلب :

« فاقض ما أنت قاض » ..

زلزلة أخرى في نفوس الشاهدين ..

وكان من الشاهدين لتلك الأحداث العظمى ..

ومن الجالسات في مقصورة الأسرة المالكة المقدسة ..

امرأة ونجمها .. كالقمر ..

وحُسْنُهَا .. أَجْمَلُ نِسَاءِ تَرْمَانِيَا ..
إِنهَا الْمَلِكَةُ .. امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ .. وَزَوْجَةُ الْمَلِكِ الْمُقَدَّسِ ..
إِنهَا آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ !..
كَانَتْ تَتَابَعُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ الْإِلَهِيَّ الْفَرِيدَ ..
وَعَيْنَهَا مَرْكُزَةٌ عَلَى مُوسَى !..
هِيَ تَتَابَعُهُ وَهُوَ يَقِفُ وَحِيداً .. فِي يَدِهِ عَصَاهُ .. وَعَنْ يَمِينِهِ
أَخُوهُ هَارُونَ ..
وَالْجَمِيعُ يَقْفُونَ ضِدَّهُ !..
مَنْ أَيُّ لَوْنٍ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِكَ الرَّجُلُ !؟
أَنَّهُ لَا يَهْتَزُّ لَمَّا يَجْرِي أَمَامَهُ مِنْ تَحْدِيَّاتِ !..
لَمْ لَا يَكُونُ رَسُولَ اللَّهِ حَقّاً !؟
وَبَيْنَمَا هِيَ شَارِدَةٌ فِي تَفْكِيرِهَا .. عَلَى اسْتِخْفَاءٍ مِنْ زَوْجِهَا الْجَبَّارِ ..
فَوَجِئَتْ بِمُوسَى .. يَلْقَى عَصَاهُ .. فَتَلْقَفُ كُلَّ مَا فِي السَّاحَةِ .. فِي طَرَفَةِ
عَيْنٍ أَوْ أَقْلٍ !..
هَنَالِكَ أُيْقِنْتُ .. أَنَّ مَا حَدَّثَ .. شَيْءٌ وَرَاءَ الْعَقْلِ .. شَيْءٌ مِنَ اللَّهِ ..
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ..
وَبَيْنَمَا أَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ..
أَلْقِيَتْ « آسِيَةُ » سَاجِدَةً مَعَهُمْ .. بِقَلْبِهَا .. وَلَكِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَسْجُدَ
بِبَدَنِهَا .. خَوْفاً مِنْ بَطْشَةِ الْجَبَّارِ .. الَّذِي يَجْلِسُ عَلَى رَأْسِ الشَّاهِدِينَ !..
مِنْ تِلْكَ اللَّحْظَةِ .. آمَنْتُ آسِيَةُ بِمُوسَى .. رَسُولاً مِنَ اللَّهِ ..
وَزَادَهَا إِيمَانًا أَنَّ مُوسَى لَيْسَ جَدِيداً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ..

فهي أول من استقبلته حين التقاطه من الماء .. وقيل هي التي أسمته
« مو ... شي » ماء .. وشجر .. لأنها وجدته بين الماء والحلفاء والشجر ..
وهي التي منعت زوجها أن يذبحه :
« وقالت امرأت فرعون :
« قرت عين لي ولك لا تقتلوه .
« عسى ان ينفعنا او نتخذة ولدا » ! ..
وهي التي عاشت مع موسى لحظة بلحظة .. وشاهدت فيه مشاهد النبوة ..
وعجائب الامتياز ..
إلا انها لم تكن تدري سر ذلك كله ! ..
« وألقيت عليك محبة مني » ! ..
وهي التي تبنته .. واتخذته ابناً .. وصارت له أمًا ..
وهي التي أحبته .. وأكبرته .. لصفاته العليا .. وأمانته الكبرى ..
إلا أنها طيلة السنين التي قضاها موسى .. في القصر الملكي .. لم تستطع أن
تفسر امتيازات موسى ..
حتى كانت هذه اللحظة .. فوجدت لسؤالها جواباً وتفسيراً ..
وأيقنت أن موسى رسول الله ..
ففهمت هنالك لماذا كان موسى دائماً .. ممتيازاً امتيازاً لم تستطع له
آنذاك تفسيراً ! ..
وانفض الحشد .. وسبق السحرة إلى مصارعهم ..
وعاد فرعون الى قصره .. وقد ازداد كفراً وإجراماً ..
وعادت الملكة .. آسية .. مع من عاد من نساء القصر .. إلا أنها هذه
المرّة .. قد تغيرت تغيراً تاماً ..

وما كان ذلك ليغيب عن عيون هامان وجواسيسه الذين يبتهم في كل مكان
من القصور الملكية ..
واكتشف فرعون .. أن امرأته .. وأقرب الناس اليه .. آمنت بالله رباً ..
وبموسى رسولاً ..

هنالك عذبا عذاباً .. لم يعذبه أحداً من رعاياه ..
وصب عليها كل ما عنده من إجرام ..
وقتلها قتلاً رهيباً ..!
فكيف كان ذلك ؟ ..

قال تعالى :

« وضرب الله مثلا للذين آمنوا .

« امرأت فرعون .

« إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة .

« ونجني من فرعون وعمله .

« ونجني من القوم الظالمين » .

دخلت آسية ..

دخلت أعظم امرأة في عصرها .. سجل الخلود .. سجل الشرف والخالدين .

حسبها هذه الآية المحكمة .. التي اختصها الله بها في كتابه العظيم ..!

وأي شرف هو أعظم من شرفها ؟ ..

أن جعلها الله « مثلاً » ..؟ ..

مثلاً .. للذين آمنوا الى يوم القيامة ..

يا من تبحثون عن الخالدات .. العظيمات . الكاملات .. الشهيدات ..

هاكم اقرءوا كتابها ..!

وسجل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لها الكمال .. والمثال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كَمُلَ من الرجال كثير .

« ولم يكمل من النساء .

« إلا آسية امرأة فرعون .

« ومريم بنت عمران .

« وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

[رواه البخاري]

« كَمُلَ » المراد من الكمال التناهي في جميع فضائل الرجال .

« ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران » استدل

بعضهم بهذا على أن آسية ومريم نبيتان .. لأن أكمل النوع الإنساني الأنبياء ..

ثم الأولياء والصديقون والشهداء ..

وقيل : المراد تناهيهما في جميع الفضائل التي للنساء ..

ونقل الاجماع على عدم النبوة للنساء ..

ونقل عن الأشعري : ان من النساء من نبيء .. وهن ست .. حواء ..

وسارة .. وأم موسى .. وهاجر .. وآسية .. ومريم .. وقد ثبت بحجج الملك

لبعضهن في القرآن ..

وقال القرطبي : الصحيح أن مريم نبيهة .. لأن الله أوحى اليها بواسطة

الملك .. وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها ..

« وإن فضل عائشة - رضي الله تعالى عنها - على النساء » أي على نساء

هذه الأمة في الفضيلة .. شبه فضلها بفضل الثريد على غيره من الطعام لما فيه من

تيسير المؤنة وسهولة الاساعة .. وكان أجل أطعمتهم يومئذ ..

« قال رسول الله .. عليه الصلاة والسلام :

« حسبيك من نساء العالمين بأربع .

« مريم بنت عمران .

« وآسية امرأة فرعون .

« وخديجة بنت خويلد .

« وفاطمة بنت محمد » .

[رواه أحمد والترمذي وابن عساكر]

وعن ابن عباس قال :

« خط رسول الله . . عليه الصلاة والسلام . . في الارض أربعة خطوط .

« فقال : أتدرون ما هذا ؟

« قالوا : الله ورسوله أعلم .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أفضل نساء أهل الجنة .

« خديجة بنت خويلد .

« وفاطمة بنت محمد .

« ومريم بنت عمران .

« وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

[رواه النسائي وغيره]

قالوا :

(ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا) إلى آخره . . مثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم . . ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم عند الله . . بخال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها امرأة أعدى أعداء الله . . الناطق بالكامة العظمى . .

« وأراد بامرأة فرعون .. أسية بنت مزاحم .
« لما غلب موسى سحرة فرعون أمنت .
« فلما تبين إيمانها لفرعون .. وثبتت عليه .
« أوتد يديها ورجليها .. بأربعة أوتاد .
« وألقاها في الشمس .
« وأمر بسخرة عظيمة .. فتلقى عليها .
« فلما أتوا بالسخرة قالت :
« رب .. ابن لي .. عندك .. بيتاً في الجنة .
« فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء .
« وانتزع الله روحها .
« فألغيت الصخرة عليها .
« وليس في جسدها روح .
« فلم تجد الماء .. من عذاب فرعون » .
وقالوا : « وأسية هي بنت مزاحم .. ابنة عم فرعون » ! ..
« وقتلها المجرم .. وألحقها بآلاف السحرة الذين قتلهم من قبل ..
وما هو يدبر اقتل موسى .. ويدبر لقتل مؤمن آل فرعون ..
ولا مانع عنده .. من تقتيل .. كل من يتوهم منه الخطر ! ..
سلام على أسية .. امرأة فرعون ..
سلام عليها .. حين أعلنت إلى فرعون .. إيمانها ..
سلام عليها .. حين نزلت عن نعيم الملوك .. وزينة الملكات .. وفخفخة
زوجة فرعون ..

وتركت كل ذلك .. وآثرت ربيها .. وجعلت تناديه .. في عذاب لا يحتمله
أكابر الرجال :

« رب .. ابن لي .. عندك .. بيتاً .. في الجنة » ..

وتناديه : « ونجني .. من فرعون .. وعمله » ..

رتناده : « ونجني .. من القوم الظالمين » ..

فناداها ! ..

ولبساها ! ..

ونجّأها ! ..

مصروع ... ما شططة ... ابنة فرعون ...!٤

جريمة أخرى من جرائمه ...

عن ابن الأثير .. في اختصار :

« وكان مؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه .

« فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر إيمانه .

« وكان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً .

« وكانت ماشطة ابنة فرعون .

« فبينما هي تمشطها إذ وقع المشط من يدها .

« فقالت : بسم الله .

« فقالت ابنة فرعون : أبي ؟

« قالت : لا .. بل ربي وربك .. ورب أبيك .

« فأخبرت أباهما بذلك .

« فدعاها وبولدها وقال لها : من ربك ؟

« قالت : ربي وربك الله .

« فأمر بتنتور نحاس فأحمى ، ليعذبها وأولادها .

« فقالت : لي اليك حاجة .

« قال : وما هي ؟

« قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنهما .

« قال : ذلك لك .

« فأمر بأولادها فألقوا في التنور واحداً واحداً .

« وكان آخر أولادها صبياً صغيراً .

« فقال : اصبري يا أمّاه ، فإنك على الحق .

« فألقيت في التنور مع ولدها ..! .

ثم يقول :

« وكانت آسية امرأة فرعون .. مؤمنة تكتم إيمانها .

« فلما قُتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تخرج بروحها .

« كشف الله عن بصيرتها ، وكانت تنظر إليها وهي تمذّب .

« فلما رأت الملائكة قوي إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى .

« فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة .

« قالت له آسية : الويل لك !.. ما أجراك على الله ؟

« فقال لها : لملك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة ؟

« فقالت : ما بي من جنون .. ولكني آمنت بالله تعالى .. ربي وربك ..

ورب العالمين .

« فدعا فرعون أمّتها وقال لها : ان ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة

فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى .

« فخلت بها أمّتها وأرادتها على موافقة فرعون .

« فأبى وقالت : أمّا أن أكفر بالله فلا والله !

« فأمر فرعون حتى مُدّت بين يديه أربعة أوتاد .

« وعُدَّتْ حتى ماتت .

« فلما عاينت الموت قالت (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) .

« فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما أعدّ لها من الكرامة .

« فضحككت .

« فقال فرعون : انظروا الى الجنون الذي بها .

« تضحك وهي في العذاب .

« ثم ماتت ، ..

هذه جريمة واحدة .. من آلاف الجرائم الكبرى .. التي يرتكبها فرعون بالليل والنهار ..

ان القتل عنده أصبح صناعة ..

وأقرب الوسائل إلى كتم أنفاس من يجترئ على الكفر به ..

وزهدت ماشطة ابنته .. أو وصيفة ابنته .. الى ربه .. راضية مرضية .

آية ... الضفادع ... ١٩

قال تعالى :

- فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون .
- وما نزيهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون .
- وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون .
- فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون .
- إذا هم منها يضحكون ١٢ .
- ولعل آية الضفادع بالذات .. أثارت ضحكهم أكثر من غيرها ..
- فالضفادع حيوان برمائي مألوف للمصريين .. وليس غريباً عندهم ..
- فإذا فوجئوا بالبلاد من أقصاها الى أقصاها .. وقد غطاها الضفادع ..
- فهو منظر أثار ضحكهم ..
- لأن الموضوع عندهم ليس معجزة من الله .. وإنما مجرد الأعيب ساحر ..
- وحركات الضفادع بالذات تثير الضحك .. فكيف وقد زاحمتهم في كل مكان ..
- واقتحمت عليهم ملابسهم .. وبيوتهم .. ونخادعهم .. ومزارعهم ..
- وأواني الطهي .. حتى قيل أنهم كانوا إذا جلسوا للطعام قفزت الضفادع الى الصحاف ..

- « بما عهد عندك » بعهد الذي عهد اليك أننا إن آمننا بك ، واتبعناك
كشيف عنا الرجز .
- « إذا هم ينكثون » يغدرون ، ويصرون على ضلالتهم !..
وإليك تفصيل تلك المعجزة .. كما وردت عند أهل الكتاب :
- « ولما كملت سبعة أيام بعد ما ضرب الرب النهر قال الرب لموسى ادخل
الى فرعون وقل له هكذا يقول الرب أطلق شعبي ليعبدوني .
- « وإن كنت تأبى أن تطلقهم فما أنا أضرب جميع تخومك بالضفادع .
- « فيفيض النهر ضفادع .
- « فتصعد وتدخل الى بيتك وإلى مخدع فراشك وعلى سريرك وإلى بيوت
عبيدك وعلى شعبك وإلى تنانيرك وإلى معاجنك .
- « عليك وعلى شعبك وعبيدك تصعد الضفادع .
- « فقال الرب لموسى قل لهارون مدي يدك بعصاك على الأنهار والسواقي
والأنجام وأصعد الضفادع على أرض مصر .
- « فمد هارون يده على مياه مصر .
- « فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر .
- « وفعل كذلك العرافون بسحرهم وأصعدوا الضفادع على أرض مصر .
- « فدعا فرعون وهارون وقال صلياً الى الرب ليرفع الضفادع عني وعن
شعبي فأطلق الشعب ليزبحوا للرب .
- « فقال موسى لفرعون عيّن لي متى أصابى لأجلك ولأجل عبيدك
وشعبك تقطع الضفادع عنك وعن بيوتك .
- « ولكنها تبقى في النهر .

- « فقال غدا .
« فقال كقولك .
« لكي تعرف أن ليس مثل الرب إلها .
« فترفع الضفادع عنك وعن بيوتك وعبيدك وشعبك .
« ولكنها تبقى في النهر .
« ثم خرج موسى وهارون من لدن فرعون وصرخ موسى إلى الرب من أجل الضفادع التي جعلها على فرعون .
« ففعل الرب كقول موسى .
« فماتت الضفادع من البيوت والدور والحقول .
« وجمعوها كوماً كثيرة حتى انتنت الأرض .
« فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج أغلظ قلبه ولم يسمع لها كما تكلم الرب » .
هذه آية الضفادع .. أو معجزة .. أو خارقة الضفادع ..
لقد استغاث المذكور بموسى .. ودعا موسى ربه .. فكشف عنهم كربهم ..
فلما آنسوا فرجاً .. غدروا .. وعادوا إلى طبيعتهم ! ..
« ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك .
« لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ونرسلن معك بني إسرائيل .
« فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه .
« إذا هم ينكثون » ! ..
إذا هم يغدرون ! ..
مكذبا .. الأمر عندهم العوبة .. ووسيلة للضحك ! ..

آية ... القُمَّل ؟ ...

قال تعالى :

« ... والقُمَّلَ ... »

فما هو هذا القُمَّل .. الذي أرسله الله .. على فرعون وقومه ؟ ..

قال الطبري

« والقُمَّلُ ، قيل : هو السُّوس الذي يخرج من الحنطة . وقيل : هو صغير الجراد الذي لا أجنحة له .

والذي أميل إليه أن القُمَّل هو السوس .. لأن الجراد نصبت الآية عليه .. كمنجزة مستقلة ..

وعلى هذا فقد أرسل الله عليهم آفة السوس .. فنخرت محاصيلهم وحبوبهم كلها .. فصارت هشيما لا فائدة فيه .. وهذه خسارة جسيمة نزلت بهم ! ..

فإنك لو تصورت أن السوس أفسد الخزون عندهم من القمح والشعير والفول والبرسيم وسائر المحاصيل التي يزرعونها .. لأدركت مدى الخسارة التي حلت عليهم ! ..

هذا رأي .. ورأي آخر يبدو جميلا إن شاء الله .. في تفسير كلمة « القُمَّل » ..

أن القُمَّل .. هو كل حشرة ضارة مؤذية .. مفسدة للحياة كلها .. ويدخل في ذلك البعوض .. والذباب .. والبق .. والقراد الذي يصيب البهائم .. وإنما آنست هذا الرأي مما جاء عند بعض المفسرين :

ففي البيضاوي : قِبل هو كبار القُرَاد ، وقيل صغار الجرَاد - قبل نبات أجنحتها -

« وعبارة القاموس : والقُمَّل كسكَّير ، صغار الذر ، والدبا الذي لا أجنحة له ، أو شيء صغير بجناح أحمر .. أو دواب صغار كالقردان واحدها بهاء » ..

ففي الأمر كما ترى سعة .. وعلى هذا أستطيع أن أفهم أن « القُمَّل » يدخل فيه الحشرات الضارة كالبعوض والذباب والبق والقراد ..

ففي كلمة « والقُمَّل » إشارة الى الحشرات .. أي وأرسلنا عليهم كل حشرة تؤذيهم ..

وقد جاء عند أهل الكتاب .. أن البعوض والذباب .. أرسل على بني إسرائيل .. ضمن ما أرسل عليهم من آيات .. وإليك ما جاء عندهم عن البعوض :

« ثم قال الرب لموسى قل لهارون مُد عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضاً في جميع أرض مصر .
« ففعل ذلك .

« مد هارون يده بعصاه وضرب تراب الأرض .

« فصار البعوض على الناس وعلى البهائم .

« كل تراب الأرض صار بعوضاً في جميع أرض مصر .

« وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا .

« وكان البعوض على الناس وعلى البهائم .

« فقال العرافون لفرعون هذا اصبع الله .

« ولكن اشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب » .

والبعوض .. بلغة العوام هو الناموس ..

وهو عذاب وأي عذاب!؟

أعداد لا تحصى في كل شبر من أرض مصر .. من البعوض .. تهاجم الناس

والحيوانات وكل شيء! ..

ثم اليك ما ورد عند أهل الكتاب .. عن إرسال الذباب على فرعون

وقومه :

« ثم قال الرب لموسى بكثر في الصباح وقف أمام فرعون .

« انه يخرج الى الماء .

« وقل له هكذا يقول الرب اطلق شعبي ليعبدوني .

« فانه ان كنت لا تطلق شعبي ها انا ارسل عليك وعلى عبيدك وعلى

شعبك وعلى بيوتك الذباب فتمتلئ بيوت المصريين ذبانا .

« وأيضا الأرض التي هم عليها .

« ولكن أميّن في ذلك اليوم أرض جامسان حيث شعبي مقيم حتى لا يكون

هناك ذبان .

« لكي تعلم اني انا الرب في الأرض .

« واجعل فرقا بين شعبي وشعبك .

- » غداً تكون هذه الآية .
- » ففعل الرب هكذا .
- » فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده .
- » وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان .
- » فدعا فرعون موسى وهارون وقال اذهبوا اذبحوا لالهكم في هذه الأرض .
- » فقال موسى لا يصلح أن نفعل هكذا .
- » لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا .
- » إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم أفلا يرحمونا .
- » نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا كما يقول لنا .
- » فقال فرعون أنا أطلقكم لتذبحوا الرب إلهكم في البرية .
- » ولكن لا تذهبوا بعيداً .
- » سَلِّبْنا لأجلِ .
- » فقال موسى ها أنا أخرج من لدنك وأصلي إلى الرب .
- » فترفع الذبان عن فرعون وعبيده وشعبه غداً .
- » ولكن لا يعد فرعون يخاتل حتى يطلق الشعب ليذبح الرب .
- » فخرج موسى من لدن فرعون وصلي إلى الرب .
- » ففعل الرب كقول موسى .
- » فارتفع الذبان عن فرعون وعبيده وشعبه .

« لم تبق واحدة »

« ولكن أغلظ فرعون قلبه هذه المرة أيضاً فلم يطلق الشعب »

هذا تفصيل معجزة إرسال الذباب على فرعون وقومه .. عند أهل الكتاب ..

والذباب حشرة ثقيلة بغيضة .. من أعدى أعداء الإنسان .

وفي النهاية نقول .. أن « القُمَّل » أرسل عذاباً على فرعون وقومه ..

فإن كان هو السوس فهو عذاب وأي عذاب .. وخراب وأي خراب ..

وإن كان يدخل فيه كل حشرة ضارة .. كالبعوض والذباب .. فقد أرسل
البعوض .. ثم الذباب عليهم .. كما رأيت ..

كل أولئك .. آيات مُفصَّلات .. ولكن هيهات هيهات ..

آية ... الطوفان ...!

قال تعالى :

« واتخذ أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون .
« فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يبطئوا بـموسى
ومن معه إلا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون .
وقالوا مهيا تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين .
« فأرسلنا عليهم الطوفان والجسراد والقمل والضفادع والدم آيات
مفضلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ، .
فما هو هذا الطوفان .. الذي أرسله الله على فرعون وقومه ؟ ..»

قال الطبري :

« الطوفان ، قيل : هو الموت الدريع .»

« وقيل : هو المطر الشديد ، .»

ثم قال الطبري :

« والصواب من القول في ذلك عندي - ما قاله ابن عباس - أنه أمر من
الله طاف بهم ، وأنه مصدر من قول القائل . . طاف بهم أمر الله يطوف
طوفاناً . . وإذا كان ذلك كذلك ، جاز أن يكون ذلك الذي طاف بهم المطر
وجاز الشديد أن يكون الموت الدريع ، .!»

وبالرجوع الى ما عند أهل الكتاب . . وجدت عندهم ثلاث آيات متتابعات

أرسلها الله على آل فرعون .. اثنتان فيها الموت الذريع والوباء الذي طاف بهم طوفانا .. والثالثة الأخرى فيها المطر الشديد ..

فقلت في نفسي : أجزل الله تلكم الآيات الثلاث في كلمة واحدة هي « الطوفان » .. في قوله سبحانه « فأرسلنا عليهم الطوفان » ..

وهذا من بدائع إعجاز الكتاب العظيم ! ..

وإليك ما ورد عند أهل الكتاب .. عن الآية الأولى التي أرسلت على آل فرعون .. من هذه الثلاث :

« ثم قال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني .

« فإنه ان كنت تأبى أن تطلقهم وكنت تمسكهم بعد فها يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل على الخيل والحمير والجمال والبحر والغنم وباءً ثقيلاً جداً .

- « ويميز الرب بين مواشي اسرائيل ومواشي المصريين .
- « فلا يموت من كل ما لبني اسرائيل شيء .
- « وعين الرب وقتاً قائلاً غداً يفعل الرب هذا الأمر في الأرض .
- « ففعل الرب هذا الامر في الغد .
- « فهاتت جميع مواشي المصريين .
- « وأما مواشي بني اسرائيل فلم يمت منها واحد .
- « وأرسل فرعون وإذا مواشي اسرائيل لم يمت منها ولا واحد .

« ولكن غلظ قلب فرعون فلم يطلق الشعب » .

هذه هي الآية الأولى التي تدخل في قوله « الطوفان » .. وهو الموت الذريع الذي طاف طوفاناً بجميع مواشي آل فرعون .. وهذا تفصيلها عند أهل الكتاب ..

فما هي المعجزة الثانية .. التي تدخل في « الطوفان » ؟ .

قال أهل الكتاب :

« ثم قال الرب لموسى وهارون خذوا ملاء أيديكما من رماد الأتون .

« وليثربوا موسى نحو السماء أمام غيبي فرعون .

« ليصير غباراً على كل أرض مصر .

« فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة ببثور في كل أرض مصر .

« فأخذوا رماد الأتون ووقفوا أمام فرعون وذراهم موسى نحو السماء .

« فصارت دمامل ببثور طالعة في الناس وفي البهائم .

« ولم يستطع العرافون أن يقفوا أمام موسى من أجل الدمامل .

« لأن الدمامل كانت في العرافين وفي كل المصريين .

« ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يسمع لها كما كلم الرب موسى » .

هذه هي المعجزة الثانية .. التي تدخل في قوله سبحانه « الطوفان » ..

انه عذاب الوباء العام .. الذي طاف بهم جميعاً طوفاناً .. فانتشرت فوراً

الدمامل ذات البثور .. في جميع الناس والبهائم ! ..

وهو عذاب أليم .. وأوجاع شديدة .. وقبُحٌ في وجوههم .. يزيدهم

قبُحاً على قبُح ! ..

فما هي المعجزة الثالثة .. التي تدخل في قوله سبحانه المعجز « الطوفان » ..
وتوافق مع قول المفسرين أن الطوفان هو المطر الشديد؟! .

قال أهل الكتاب :

« ثم قال الرب لموسى بكّر في الصباح وقِفْ أمام فرعون وقل له هكذا
يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني .
« لأنني هذه المرة أرسل جميع ضرباتي إلى قلبك وعلى عبيدك وشعبك
لكي تعرف أن ليس مثلي في كل الأرض .

« فانه الآن لو كنت أمد يدي وأضربك وشعبك بالوباء لكنت تباد
من الأرض .

« ولكن لأجل هذا أقمتك لكي أريك قوتي ولكي يُخبر باسمي في
كل الأرض .

« أنت مما نذُ بعد لشعبي حتى لا تطلقه .

« ها أنا غداً مثل الآن أمطر برداً عظيماً جداً لم يكن مثله في مصر منذ يوم
تأسيسها إلى الآن .

« قالان أرسل احنم مواشيك وكل ما لك في الحقل .

« جميع الناس والبهائم الذين يوجدون في الحقل ولا يُجمعون إلى البيوت
ينزل عليهم البرد فيموتون .

« فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بهيئته ومواشيه
إلى البيوت .

« وأما الذي لم يوجه قلبه إلى كلمة الرب فترك عبيده ومواشيه في الحقل .

- « ثم قال الرب لموسى مُد يدك نحو السماء ليكون بردٌ في كل أرض مصر
على الناس وعلى البهائم وعلى كل عشب الحقل في أرض مصر .
« فمد موسى عصاه نحو السماء .
« فأعطى الرب رُعوداً وبرداً وخرت نار على الأرض وأمطر الرب
برداً على أرض مصر .
« فكان بردٌ ونارٌ متواصلة في وسط البرد .
« شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل أرض مصر منذ صارت أمة .
« فضرب البرد في كل أرض مصر جميع ما في الحقل من الناس والبهائم .
« وضرب البرد جميع عشب الحقل وكسّر جميع شجر الحقل .
« إلا أرض جامان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن فيها برد .
« فأرسل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما أخطأت هذه المرة .
« الرب هو البارُّ وأنا وشعبي الأشرار .
« صلوا إلى الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد فأطلقكم ولا تعودوا
تلبثون .
« فقال له موسى عند خروجي من المدينة أبسط يدي إلى الرب فتنهطع
الرعود ولا يكون البرد أيضاً لكي تعرف أن للرب الأرض .
« وما أنت وعبيدك فأنا أعلم أنكم لم تخشوا بعد من الرب الاله .
« فالكتان والشعير ضربا .
« لأن الشعير كان مُسبباً والكتان مُهزباً .
« وأما الحنطة والقطن فلم تُضرب لأنها كانت متأخرة .

« فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه الى الرب .
« فانتظمت الرعود والبرد ولم ينصب المطر على الأرض .
« ولكن فرعون لما رأى أن المطر والبرد انقطعت عاد يُخطيء واغلاظ
قلبه هو وعبيده .
« فاشتد قلب فرعون فلم يُطلق بني اسرائيل كما تكلم الرب عن يد
موسى » .

هذه هي المعجزة .. أو الآية الثالثة .. التي تدخل في قوله تعالى
« الطوفان » .. وهو المطر الشديد .. بما فيه من رعود وبروق وبرد ..
وهي تتطابق مع قول المفسرين أن الطوفان هو المطر الشديد ..
وعلى هذا تدخل آيات ثلاث .. هي الموت الذريع في البهائم .. والدمامل
ذات البثور في جميع الناس وجميع البهائم .. ثم المطر والبرد المتواصل في
جميع البلاد ..

ثلاث معجزات .. مفصلات .. متتابعات .. منتشرات على مستوى جميع
الناس وجميع البلاد .. وعلى جميع المستويات .. من فرعون في أعلاها .. الى
عبيده في أدناها ..

ثلاث آيات .. مُرسلات .. على فرعون وقومه ..
مُفصلات .. مسجلات عند بني إسرائيل .. وفي كتابهم .. كما
قرأت آنفاً ..

ثم يأتي كتاب الله العزيز .. فيضع كل تلك الآيات .. وكل هذه التفاصيل ..
وكل هذه المعجائب .. في كلمة واحدة ! ..
« الطوفان » !؟

اللهم إني أشهدك ..
وأشهد حملة عرشك .. وملائكتك .
وجميع خلقك ..
أذك الحق ! ..
وكتابك الحق ! .
ونزل بالحق ! ..
على نبيّ حق ! .
لا إله إلا أنت ! ..

آية ... الجراد ١٤...١٤

قال تعالى :

« فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد ، .

فماذا عند أهل الكتاب في تفصيل تلك المعجزة ؟

قالوا :

« فدخل موسى وهارون الى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب إله
العبرانيين الى متى تأبى أن تخضع لي .

« أطلق شعبي ليعبدوني .

« فانه ان كنت تأبى أن تطلق شعبي ها أنا آجيءُ غداً بجراد على تخومك .

« فيغطي وجه الارض حتى لا يستطيع نظر الارض .

« ويأكل الفضة السالمة الباقية لكم من البرد .

« ويأكل جميع الشجر النابت لكم من الحقل .

« ويملا بيوتك وبيوت جميع عبيدك وبيوت جميع المصريين .

« الأمر الذي لم يره أبائك ولا آباء آبائك منذ يوم وُجدوا على الارض الى

هذا اليوم .

« ثم تحوّل وخرج من لدن فرعون .

« فقال عبيد فرعون له الى متى يكون هذا لنا فحماً .

- اطلق الرجال ليعبدوا الرب الههم .
- ألم تعلم بعد ان مصر قد خربت .
- فرّد موسى وهارون الى فرعون .
- فقال اذهبوا اعبدوا الرب الهكم .
- ولكن من ومن هم الذين يذهبون .
- فقال موسى نذهب بفتياننا وشيوخنا .
- نذهب ببنيينا وبناتنا بغنمنا وبقرنا .
- لأن لنا عيداً للرب .
- فقال لهما يكون الرب معكم هكذا كما اطلقتكم وأولادكم .
- انظروا ان تقدموا وجوهكم شرقاً .
- ليس هكذا .
- اذهبوا أنتم الرجال واعبدوا الرب .
- لأنكم لهذا طالبون .
- فطردوا من لدن فرعون .
- ثم قال الرب لموسى مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد .
- ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض كل ما تركه البرد .
- فمد موسى عصاه على أرض مصر .
- فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل .
- ولما كان الصباح حامت الريح الشرقية الجراد .
- فصعد الجراد على كل أرض مصر وحل في جميع تخوم مصر .

- « شيء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك .
- « وغطى وجه كل الارض حتى اظلمت الارض .
- « واكل جميع عشب الارض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد .
- « حتى لم يبق شيء أخضر في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر .
- « فدعا فرعون موسى وهارون مُسرِعاً وقال أخطأتُ الى الرب الهكما وإليكما .
- « والآن اصفح عن خطيَّتي هذه المرة فقط .
- « وصلَّيتُ الى الرب إلهكما ليرفع عني هذا الموت فقط .
- « فخرج موسى من لدن فرعون وصلى الى الرب .
- « فردَّ الرب ريحاً غربية شديدة جداً .
- « فحملت الجراد وطرحته الى بحر سُوف .
- « لم تبق جراداة واحدة في كل تخوم مصر .
- « ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل » .
- هذا تفصيل .. آية الجراد .. كما وردت عندهم ..
- ولكن هل تراجع اللعين عن إجرامه وإصراره ؟!
- نفس الموقف المتكرر .. يخادع حتى يُكشف عنه العذاب .. ثم يعود الى غدره ومكره !..

آية ... الظلام؟! ...

قال تعالى :

« وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلمهم
يرجعون » .

إلا هي أكبر من أختها!؟ .

إشارة الى التدرج بهم .. من آية .. الى آية أكبر .. وهكذا ..

من عذاب .. الى عذاب أشد ..

من ضربة .. الى ضربة أكبر من سابقتها .. من أختها التي سبقتها ..

ما الحكمة من هذا التدرج .. نحو الأشد والأكثر!؟ .

لعلمهم يرجعون .. تزيد لهم العذاب .. في كل مرة .. لعلمهم يرجعون

عن إجرامهم ..

كالجرم حين يُساق الى المحاكمة .. في الجريمة الأولى .. يراعى تخفيف

العقوبة عنه .. لعله يرجع عن إجرامه .. فإذا عاد الى ارتكاب الجريمة .. يُحكم

عليه بعقوبة أشد .. بعقوبة أكبر ..

ولكن هؤلاء كانوا قوماً مجرمين .. عتاة في الإجرام .. مهما زيدت لهم

العقوبات .. فهم لا يرجعون! ..

في البداية :

« ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون »!؟ .
بدأ بهم بالسنين .. بالقمح .. ونقص من الثمرات .. المحاصيل موجودة ..
ولكن تنقص .. لماذا!؟ . لعلهم يذكرون!
تنبيه خفيف لطيف يُطاق .. لعلهم ينتبهون!
فلما استمروا في غفلتهم .. ولم يستفيدوا من هذه الأجراس ..
ضربهم بما هو أشد .. ثم الأشد .. وهكذا ..
« فإرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات
مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » .
ضربات متتابة .. كل ضربة أكبر من أختها .. ولكن لا جدوى .. كما
شاهدنا سابقاً!
لماذا!؟ .. وكانوا قوماً مجرمين .. عتاة في الإجرام .. مهمل عوقبوا .. أو
زيد لهم العقاب ..
فمؤلاً لا يصلح معهم إلا الإبادة ..
وإليك ما ورد عند أهل الكتاب .. عن معجزة أرسلت عليهم .. ضمن
الآيات التي أرسلت على آل فرعون ..
قالوا :

« ثم قال الرب لموسى مُد يدك نحو الماء ليكون ظلام على أرض مصر
حتى يُلبس الظلام » .

« فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل أرض مصر
ثلاثة أيام .

« لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام .

« ولكن جميع بني اسرائيل كان لهم نور في مساكنهم .

« فدعا فرعون موسى وقال اذهبوا اعبدوا الرب .

« غير أن غنمكم وبهركم تبقى .

« اولادكم أيضاً تذهب معكم .

« فقال موسى أنت تعطي أيضاً في أيدينا ذبائح ومُحرقات لنصنعها
للرب إلهنا .

« فتذهب مواشينا أيضاً معنا .

« لا يبقى ظلف .

« لأننا منها نأخذ لعبادة الرب إلهنا .

« ونحن لا نعرف بماذا نعبد الرب حتى نأتي الى هناك .

« ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يشأ أن يطلقهم .

« وقال له فرعون اذهب عني .

« احترز .

« لا ترَ وجهي أيضاً .

« انك يوم ترى وجهي تموت .

« فقال موسى نِعِمَّا قُلت .

« أنا لا أعود أرى وجهك أيضاً ، . . !

وافترقا .. أما فرعون فقد هدد موسى تهديداً نهائياً : انك يوم ترى وجهي تموت !؟ .

سوف أقتلك فوراً .. إذا رأيت وجهي ! ..

وأما موسى .: فقد رحّب أيما ترحيب .. بهذا التهديد : نعمًا قلت .. أنا لا أعود أرى وجهك أيضاً ! .

افترقا .. فرعون .. ليذهب الى الهاوية ..

وموسى .. ينتظر أمر ربه ! ..

صراخ عظيم... في كل أرض... هصر؟!...

قال تعالى :

« وأوحينا الى موسى أن أمر بهيادي انكم مُتَّبِعُونَ » .

وقال سبحانه :

« فأمر بهيادي ليلا انكم مُتَّبِعُونَ » .

صدر الأمر الإلهي .. « فأمر بهيادي ليلا »!؟ .

ولكن !. كيف يستطيع موسى .. أن يخرج ببني إسرائيل جميعاً .. وقد كانوا نحو سبعمائة ألف .. أي شعباً ضخماً .. كيف يمكن له الخروج بهذا العدد الضخم .. وقد وضعهم فرعون جميعاً تحت الرقابة والتعذيب ..؟ .

ها هنا تتجلى بدائع التدبير الإلهي .. الذي غاب عن تفكير فرعون وهامان وجنودهما .. ويفيب عن تفكير كل بشر ..

فكيف كان ذلك التدبير العجيب ..؟ .

قال أهل الكتاب :

« فحدث في نصف الليل ان الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الاسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة » .

« فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين » .

« وكان صراخ عظيم في مصر » .

« لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميّت .
« فدعا موسى وهارون ليلا وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتم
وبنو اسرائيل جميعاً .
« واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم .
« وباركوني أيضاً .
« وألح المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلا من الارض .
« لأنهم قالوا جميعنا أموات » .
تدبير لا يخطر على قلب بشر .. انه تدبير الله ! ..
ان المجرم اللعين .. يتعالى كِبِراً .. ويأبى ..
وما هو بنفسه يقول لهم : قوموا .. اخرجوا من بين شعبي ؟ ..
فلماذا هذه المرة ؟ ..
لأن الضربة قاضية .. انه الموت يهددهم جميعاً .. في كل بيت مصري ميت
أو أكثر .. من الناس .. ومن البهائم ..
ومن يدري .. هذه الضربة .. قتلت البعض .. وأبقت البعض .. فربما
الضربة القادمة .. تقتل الجميع من فرعون الى أقل الناس ! ..
« لأنهم قالوا جميعنا أموات » .. الحديث الدائر على أفواه المصريين جميعاً
« جميعنا أموات » كلنا سوف نموت ..
والمجرمون إذا أيقنوا بالموت .. وتأكدوا أنه نازل بهم .. انهارث أعصابهم
واستسلموا .. وهم أحقر من كل حقير ..
وهذا يفسر لنا .. لماذا دعا فرعون هذه المرة .. موسى وهارون .. ليلا ..

وقال لهما : قوموا .. اخرجوا! .. من بين شعبي .. أنتما .. وبنو اسرائيل ..
جميعاً . . .

انه في حالة انهيار تام !..

انه يخشى أن يلحقه الموت .. وإذامات .. فعلى أي شيء يقاوم ؟..

انه يقاوم .. ويقاوم .. ليبقى ملكاً معبوداً مقدساً ..

أما وقد مات .. فما جدوى ذلك كله ؟..

هذه عقلية أولئك الفراعنة .. لا علاج لإجرامهم .. إلا الموت !..

منظر من المناظر الإلهية الفريدة .. وآية أخرى من آيات الله ..

في كل بيت مصري .. مبيت .. وصراخ وولولة ..

يمكن أن يقال .. أكثر من مليون .. من الموتى .. في لحظة واحدة .. من

الليل .. في كل بيت بلا استثناء من بيوت المصريين .. من قصر فرعون .. إلى

أقل كوخ من أكواخ المصريين ..

فزع .. في الجميع ..

رعب .. في الجميع ..

صراخ عظيم .. في كل بيت ..

العظام يبكون ويولولون .. والصعاليك يبكون ويولولون !..

« فانتقمنا منهم » !..

أما بنو إسرائيل .. فلم يمسهم سوء .. آية أخرى !..

لقد ضحك آل فرعون طويلاً .. وبكى بنو إسرائيل طويلاً ..

فالآن يضحك بنو إسرائيل .. ويبكي آل فرعون طويلاً !..

ثم ماذا ؟!

ثم نقول : لقد كان تكتيك فرعون « سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم
وإنا فوقهم قاهرون » ..!

وما هو يُسقى من نفس الكأس .. التي كان يسقي منها أولئك المستضعفين .
ها هو .. يُقتل أبناءه .. وأبناء المصريين جميعاً .. ويُستحيي نساؤهم ..
فلماذا يفزع ويجزع ويهلع .. ولماذا الصراخ والمويل .. أليس هذا تكتيكه من
قبل ؟ .. أمن أجل أن الكأس قد دارت عليه .. فهو يتجرعه ولا يكاد يُسيفه .
اشرب أيها اللعين .. وليشرب معك أولئك الذين استخففت بعقولهم ..!
وما ينتظركم .. مما لا يخطر على قلوبكم .. أدهى وأمرّ ..!
ثم ماذا ؟!

قال أهل الكتاب :

« فحمل الشعب عجبتهم قبل ان يختمروا ومعاجنتهم مصرورة في ثيابهم
على اكتافهم .

« وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى .

« طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا .

« وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم .

« فسلبوا المصريين .

« فارتحل بنو اسرائيل من رمسيس الى سكوت نحو ست مائة ألف

ماشٍ من الرجال عدا الاولاد .

« وصعد معهم لفيث كثير أيضا مع غنم وبقر مواشٍ وافرة جدا .

« وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبزاً مَلَّةً فطيراً إذ كان

لم يختمروا .

« لأنهم طردوا من مصر ولم يقدرُوا ان يتأخروا .
« فلم يصنعوا لأنفسهم زادا .
« وأما إقامة بني اسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مائة
وثلاثين سنة » .

وهكذا .. طرد بنو إسرائيل .. من أرض مصر جميعاً ..
وكان الأمر بطردهم .. هو فرعون .. الذي رفض مراراً .. الإذن
لهم بالخروج ! ..
« وقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي فيه خرجتُم من مصر
من بيت العبودية » .

وساروا في اتجاه خليج السويس .. في اتجاه البحر الأحمر ..
« فأدار الله الشعب في طريق بريّة بحر سُوف » .
وكانت آية ..
تبعثها آية أكبر من أختها ! ..

اضرب ... بعصاك ... البحر!؟ ...

عاد اللعين ...

يستأسد من جديد ا..

فبعد أن طرد بني إسرائيل جميعاً .. وخلت منهم البلاد .. وذهبوا بعيداً
في الصحراء الشرقية .. في اتجاه خليج السويس .

استأسد مرة أخرى .. وقرر أن يعيدهم كما كانوا .. الى الذل والسخرة ..
وليسترد منهم ما سلبوه من المصريين من ذهب وفضة .. ثم تكون فرصة يعان
فيها أنه ما زال مسيطراً على الأمور ..

فأعلن التعبئة العامة في البلاد .. ليتجمع له أكبر قوة ضاربة .. يطارد بها
بني إسرائيل .. ويمزقهم شر ممزق .. ويعيد من بقي منهم أسيراً ذليلاً ..

« فارسل فرعون في المدائن حاشرين »

« ان هؤلاء لشرذمة قليلون »

« وانهم لنا لغائظون »

« وانا لجميع حاذرون »

« فاخرجناهم من جنات وعيون » »

« لشرذمة قليلون » طائفة قليلة .. حقيرة .. حفنة من الشعب ا..

«لنا انماظون ، لنا جميعاً .. فقد تسببوا في قتل وموت من كل بيت في مصر .. ثم نهبوا مجوهرات المصريين وهربوا بها ..»

«وانا لجميع حاذرون ، مُعِدُّون .. والحاذر الذي يحدد حذره .. وهو تام السلاح .. لأنه فعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه ..»

لقد عاد اللعين ينتفخ مرة أخرى !..

وخرج فرعون على رأس جيشه .. وقيل انه حشد سبعمائة ألف فارس .. يقودهم هامان .. وفرعون يسير خلف الجيش ..

وعند أهل الكتاب:-

« فلما أخبر ملك مصر ان الشعب قد هرب تغيّر قلب فرعون وعبيده على الشعب .»

« فقالوا ماذا فعلنا حتى اطلقنا اسرائيل من خدمتنا .»

« فشد مركبته وأخذ قومه معه .»

« وأخذت مائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها .»

هذا هو تفصيل ذلك المشهد العجيب .. عند أهل الكتاب ..

« وشد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سمى وراء بني اسرائيل وبنو

اسرائيل خارجون بيد ربيعة .»

« فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم .»

« جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر .»

« فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم وإذا المصريون

راحلون وراءهم .»

« ففرّعوا جداً وصرخ بنو اسرائيل الى الرب .
« وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية .
« ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر .
« اليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين 'كفّ عنا فنخدم المصريين .

« لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من ان نموت في البرية .
« فقال موسى للشعب لا تخافوا .
« قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنمه لكم اليوم .
« فانه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً الى الأبد .
« الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون .
« فقال الرب لموسى مالك تصرخ إليّ .
« قل لبني اسرائيل ان يرحلوا .
« وارفع انت عصاك ومد يدك على البحر وشقه .
« فيدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة .
« وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم .
« فأتمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه .
« فيعرف المصريون أني أنا الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه .

« فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر اسرائيل وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم .

- د فدخل بين عسكر المصريين وعسكر اسرائيل وصار السحاب والظلام
وأضاء الليل .
- د فلم يقترب هذا الى ذاك كل الليل .
- د ومد موسى يده على البحر .
- د فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة
وانشق الماء .
- د فدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء مُسورٌ لهم عن
يمينهم وعن يسارهم .
- د وتبهم المصريون ودخلوا وراءهم .
- د جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه الى وسط البحر .
- د وكان في هزيع الصبح ان الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود
النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين .
- د وخلق بكر مركباتهم حتى ساقوها بشقلة .
- د فقال المصريون نهرب من اسرائيل .
- د لأن الرب يقاتل المصريين عنهم .
- د فقال الرب لموسى مُد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على
مركباتهم وفرسانهم .
- د فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند اقبال الصبح الى حاله
الدائمة والمصريون هاربون الى لقائهم .
- د فدفع الرب المصريين في وسط البحر .
- د فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل
وراءهم في البحر .

« لم يبق منهم ولا واحد .

« وأما نونو اسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم
عن يمينهم وعن يسارهم .

« فخلص الرب في ذلك اليوم اسرائيل من يد المصريين .

« ونظر اسرائيل المصريين أمواتا على شاطئ البحر .

« ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين .

« فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبدوه موسى . »

ولما كان كتاب الله العظيم .. القرآن الكريم .. هو المهيم على ما سبقه من
كتاب .. وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. كان التأمل
فيا ورد فيه .. أو في بعض ما ورد به عن ذلك المشهد .. يُثبت الفؤاد ..
ويطمئن القلوب ..

« ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر
يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى .

« فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم .

« وأضل فرعون قومه وما هدى . »

وقال تعالى في الشعراء :

« فاتبعوهم مُشرقين .

« فلما ترامى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون .

« قال كلا ان معي ربي سيهدين .

« فإوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق
كالطود العظيم .

- « وأزلفنا ثم الآخريين .
« وأنجيتنا موسى ومن معه أجمعين .
« ثم أغرقنا الآخريين .
« ان في ذلك لآية وما كانوا اكثرهم مؤمنين .
« وان ربك هو العزيز الرحيم » .
وفي سورة القصص :
- « فأخذناه و جنوده فنبدناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » .
وفي سورة الزخرف :
- « فلما آمنفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين » .
وفي سورة الدخان :
- « فأسر بهبادي ليلا انكم متبعون .
« واترك البحر رهوا انهم جنودٌ مُفرقون » .
وفي سورة الذاريات :
- « فأخذناه و جنوده فنبدناهم في اليم وهو مُلِيمٌ » .
« رهنوا » ساكناً .. حتى يتم دخول فرعون و جنوده بداخله .. لا تتعجل
التثامه الآن ! ..
- وهكذا ذهب الطاغية .. دعيي الربوبية والألوهية .. الكاذب ..
المخادع .. الجبار العنيد ..
وابتلعه البحر .. هو و جنوده أجمعين ..
وكان منظر أخيراً .. يثير الضحك .. وهو يحاول عند الفرق .. أن
يخادع .. لينجو من الموت المحقق ! ..

الآن ... وقد عصيت قبل ...
وكنت من المفسدين ...!

آخر العوبة ...

لعبها اللعين .. أنه حاول أن يخادع ويداور كعادته :

« وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنتم انه لا إله إلا الذي آمنتم به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين .

« الان وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين .

« فاليوم ننجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ، !..

المذكور يريد أن يلعب العوبة من الأعبية التي تعود أن يلعبها مع أغبياء شعبه ..

لقد ضحك على موسى أكثر من مرة .. ووعده ليؤمنن به إن هو كشف عنه العذاب .. ثم يغدر في كل مرة ..

فلماذا لا يلعب تلك اللعبة هذه المرة .. ويخرج من ورطة الغرق .. ثم يعود فيغدر؟! ..

« حتى إذا أدركه الغرق ، تحقق أنه غارق لا محالة ..

« قال ، مخادعاً .. .

« آمنتمُ ، صدقت وتحققتم .. أنه لا إله إلا الذي آمنتم به بنو اسرائيل ،

لم يقل لا إله إلا الله .. على إطلاقها .. وإنما إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ..
انه يريد هذا الإله الذي يفعل المعجائب لبني إسرائيل .. فلعله يُصدّق أنه
آمن به .. فينجيه من الفرق ! .. ثم يكون له موقف آخر بعد إفلاته من
الموت .. وكأنه قد شك أن يكون إله بني إسرائيل غير مصدق لما يقول ..
فاكّد قوله ..

« وأنا من المسلمين » وأنا من المسلمين لك يا إله بني إسرائيل .. فقط
نجّني هذه المرة .. صدّقني !

كذلك يفكر المجرم .. كأنما هو يخاطب بشراً فهو يخادعه ! ..

الآن ؟ !

كلا أيها الحقير .. ثم كلا .. ما كان الله ليُخدع .. وإنما استدرجناك ها هنا
وجميع قوائك المسلحة . وجميع من حشدتهم .. لننكّتل بك نكالا ..
ونريك أنك أيها الكاذب المكذب .. أحقر من أن تضاد إرادتنا .. وإنما تركناك
قليلاً لعلك تمقل .. فما ازددت إلا إجراماً .. فالآن ذق .. عذاب الخزي
والهوان والعار .. الآن تعلم أنا أم أنت .. إرادتي أم إرادتك ..

أيها الدعيّ .. الآن نجردك من كل شيء آتيناك إياه .. وتعود اليينا فرداً !

الآن ؟ !

جماها رفيع منيع جميع .. الآن ؟ ! تريد أن تلعب مرة أخرى ..
كلا ثم كلا ..

« وقد عصيتَ قبلُ » لم يصدر عنك خير قط .. وإنما سلسلة متواصلة من
الإجرام .. والاستعلاء .. والاستكبار ..

« وكنت من المفسدين » حياتك كلها إفساد وفساد .. فلا بد من استئصالك
أيها الجرثومة العفنة ! ..

« فاليوم ، فالآن نغرقك .. ومن معك ..
« نُنَجِّيك » نأمر البحر بإلقائك جيفة منتنة على شاطئه ..
« ببدنك » يحسمك النجس ..
« لتكون لمن خلفك آية » لمن يبقى بعدك الى يوم القيامة .. برهاناً ودليلاً
على قدرتنا .. ويراك هؤلاء الذين استضعفتهم جثة هامة أمام عيونهم ! ..
وفشلت ألعوبة اللعين هذه المرة .. وألقى البحر جثته الى الشاطئ ..
ضمن ألوف الجثث التي ألقاها ! ..
« فجعلناهم سلفاً » ماضياً .. فيه عبرة لكل من تفكر فيه ..
« ومثلاً للآخرين » ها هو فرعون .. الرب .. الإله .. الذي استعبد
شعبه كله يجبروته .. وأذل شعب بني إسرائيل كله بإجرامه .. ها هو أمامكم
جثة منتنة ! ..

واتبعوا ... في هذه لعنة ...
ويوم القيامة!؟ ...

قلنا من قبل ...

أن قصة موسى .. وفرعون .. هي أضخم قصة في التاريخ .. تمثل أضخم صراع خالد .. بين الحق ممثلاً في موسى .. والباطل ممثلاً في فرعون ..
ويزيدها ضخامة وفخامة .. أن موسى يقود شعباً يريد الله أن يعبده .. وفرعون يريد منع هذا الشعب من عبادة ربه ..
وأن فرعون يمنع شعبين من الاتجاه الصحيح .. يمنع المصريين أن يكونوا بشرأ « ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » ..
ويمنع شعب بني إسرائيل .. أن يعبدوا ربهم ..
فإجرامه ذو شعبتين خبيثتين .. إماتة شعبه .. وإماتة شعب بني إسرائيل .
ويزيده إجراماً على إجرامه .. أنه يضاد الله .. وينازعه الربوبية والألوهية « أنا ربكم الأعلى » .. « ما علمت لكم من إله غيري » ..
ثم يزداد كفرأ على كفر .. حين يزعم لمن تحته أنه صاعد الى إله موسى .. فيقتله إن وجده ..

« فاطلع الى إله موسى » ..

مثل هذا الكائن العفن المتعفن .. المجرم المركب الإجرام ..
يتمتد أخطر كائن إذا صار حاكماً ..

لأنه يُسخّر الإمكانيات التي تحت يده لنشر هذه الأكذوبة الكبرى
وتركيزها في عقول الناس ..

وهذا ما فعله المجرم الأكبر الأكبر !..

نطق بأقبح منطوق « أنا ربكم الأعلى » .. « وما علمت لكم من إله
غيري » .. « اثن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين » ..

وفعل أقبح الأفاعيل « سنقتل أبناءهم .. ونستحيي نساءهم » ..

وارتكب أقبح قبائح الإجرام « لأصلبكم أجسادهم » !..

وقتل زوجته أقبح قتلة !..

وقتل ماشطة ابنته أبشع قتلة !..

ولو قد ظفر بموسى .. لقتله أقبح القتل !..

فحقيقة هذا التركيب الفرعوني .. أنه قبيح الاعتقاد .. قبيح الفساد ..
قبيح التشكيل بالعباد !..

ولما كان الجزء من جسد الاعتقاد .. وجنس العمل ..

كان جزاؤه :

« وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة »

« ويوم القيامة هم من المقبوحين » ، ١٢ .

المقبوحين ١٢ .

تأمل .. حقيقتهم تظهر آنذاك عياناً .. فهم أقبح أهل النار
وجوهاً .. وأحوالاً !..

ولما كان فرعون دائب العمل على إبعاد الناس عن ربهم ..
كان جزاؤه من جنس العمل الذي كان يعمل ..
أن يكون الناس الى يوم القيامة .. دائبين الدعاء لإبعاده عن ربه :-
« وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة » . ا .
لعنة ؟ ا .

إبعاداً عن رحمتنا .. الناس جميعاً يدعون ربهم أن يبعدهم عن رحمته .. أي
يلعنوهم دائماً ا ..

ولما كان مكر فرعون الليل والنهار .. كيف يتفان في تعذيب بني إسرائيل
وإرهاقهم وإذلالهم ..
كان الجزاء من جنس العمل ..

« وحاق بآل فرعون سوء العذاب »
« النار يُعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل
فرعون أشد العذاب » ..

عدل مطلق .. وهذه بتلك ا ..
كان عمله « يسومونكم سوء العذاب » ..
فكان جزاؤه « أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » ا .
وكان يقول للسحرة « أيثنا أشد عذابا وأبقى » ..
فكان جزاؤه « أشد العذاب » ا ..

بل أعجب من هذا .. انهم هم أنفسهم يقررون أن الله قد حكم الحكم
العدل فيهم :

« قال الذين استكبروا إنا كلٌ فيها »

« ان الله قد حكم بين اليبعاد » ..
وأخرى أعجب وأعجب !..
أن حقيقة كل إنسان .. ستظهر عياناً .. هناك .. ويكشف عنها الغطاء ..
« يتقدمُ قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبنس الورث المورود ، »
كان المذكور يريد أن يكون دائماً هو القائد الأعلى ..
انه مصاب يجنون العظمة .. وجنون الفردية .. وجنون الأنا
« أنا ربكم الاعلى » ..
حقيقته أنه يريد دائماً أن يكون عالياً « وإن فرعون لعال في الارض ، » ..
وأن يكون دائماً هو الرئيس وهو القائد الأوحده ..
فهناك تلك الحقيقة عياناً ..
« يتقدمُ قومه » هو قائد عام .. شعبه .. يسير وهم من ورائه .. كما كانوا
يسيرون في الدنيا .. ويقودهم إلى النار !..

يا موسى ... اجعل لنا إلهًا ...
كما لهم آلهة! ...

الحرية ... قبل الايمان ...

فمن لا حرية له .. لا إيمان له !..
فالحرية هي المناخ الحتمي .. لنمو شجرة الإيمان الطيبة ..
فإذا فقد الإنسان حرّيته .. ذبلت شجرة إيمانه .. ثم ماتت !..
ومن هنا كانت مهمة موسى أولاً .. هو تحرير ذلك الشعب المستعبد ..
ورفع يد فرعون عنه .. « أطلق شعبي ليعبدوني » .. لا بد من إطلاقهم أولاً ..
من منحهم الحرية أولاً .. ثم بعد هذا يمكنهم أن يؤمنوا بي .. ويعبدوني !..
ومن هنا .. كان هدف الاستعمار الأول .. حين اجتاحت دول الإسلام هو
سلب حرّيتهم ..
ومنى سلب حرّيتهم .. فقد سلب إيمانهم !..
لأن الحرية للإيمان .. كالهواء للإنسان ..
فإذا كان ممكناً أن يعيش الإنسان بلا هواء .. أمكن أن يؤمن بلا حرية !..
والاستعمار بشق أنواعه .. يعلم تلك القضية ..
ولذلك ركّز على سلب حرّية المسلمين السياسية .. فتحقق له سلب
إيمانهم بالتبعية !..
فليفهم هذا الأغبياء .. من المؤمنين والمؤمنات !..

انهم لا يمنعون الكهنوت .. فليتعبد المسلمون ما شاءوا .. ولكنهم يمنعون
عندهم الحرية .. وسلام على الإيمان بعد ذلك ! ..
ولذلك كان أول صراخ لموسى في وجه فرعون « فأرسل معنا بني اسرائيل
ولا تعذبهم » .

اطلق أيها المجرم هؤلاء .. وارفع عنهم يدك المغلولة ! ..
وكان فرعون دائما يأبى .. شأنه شأن كل مستعمر أثم .. يأبى أن ينزع
الحرية لمن تحت يده من الدرل والشعوب ..
حتى كانت البطشة الكبرى .. التي فككت يده عن ذلك الشعب ..
« فأغرقناهم أجمعين » ! ..

وانتهت بذلك مهمة موسى الأولى .. مهمة تحرير الشعب ..
وبدأ المهمة الثانية .. مهمة إعادة الإيمان الصحيح إلى ذلك الشعب ..
الذي فقد إيمانه تحت طول الاستعباد .. وطول الذل والمهابة والمذاب ..
خرج موسى من البحر بشعب شبه ميت ..
يحمل في تركيبه .. عفونات الذل .. ومخاوف المهابة .. لا يصدق أن
فرعون قد مات ..

حتى قدفه البحر جيفة أمام عينيه ..
ومن هنا لقي موسى من شعبه من الأذى .. أكثر مما لقي من
فرعون وقومه ..

ذلك أن فرعون كافر صريح .. يضاد موسى في وضوح .. فمقاومته أيسر .
أما هؤلاء .. فهم بقايا شبه موتى ..
مطلوب منه تطهيرهم .. وتعليمهم .. وترقيتهم .. وردم إلى
حقائق الإيمان ..

وها هنا الصعوبة العظمى .. والمهمة المثلثى لموسى وهارون ..
وإليك أول مشكلة واجهته .. وكان نياتهما .. من آثار ما ألفوا من
الذل والمهانة ..!

« وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم
قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون .
« ان هؤلاء مُتَّبِرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .
« قال غير الله أبغىكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين «!؟
« وجاوزنا » قطعنا ..

« يعكفون » يقيمون عليها معظمين .. كما يقيم العاكفون في المساجد ..

« اجعل لنا إلهاً » صنماً .. ننتخذه إلهاً كما هؤلاء ..

« مُتَّبِرٌ » مُهْلِكٌ ومُخْسِرٌ ..

« غير الله » أسوأى الله ..

« أبغىكم » ألتمس لكم إلهاً ..

« على العالمين » على الخلق ..

أخرجهم من البحر بمعجزة .. وأغرق فرعون وجيشه بمعجزة .. وأنقذهم
من تعذيب فرعون .. وأنجسهم وهم يحملون كل ما لهم .. وما يلبسوه
من المصريين ..

معجزات تترى أمام أعينهم ..

ودلائل القدرة .. تنزل عليهم بلا توقف ..

ولكن وما ورثوا في تركيبتهم من عفونات الذلة الطويلة .. غاب عليهم ..
فسرعان ما نسوا عجائب قدرة الله .. وصنائه معهم .. ففاجأوا موسى بهذا
المطلب الذي يدل على جهالة مركبة .. وعفونة معقدة ..!

اجعل لنا إلهاً .. كما لهم آلهة ؟!
اجعل لنا صنماً .. كما لهم أصنام ؟!
شيء عجيب .. كأن موسى ينادي في موتى .. طيلة هذه السنين التي
قضاها بينهم في مصر . ثم في صحراء سيناء من بعد ! ..
وهذا ما يؤكد .. أن فقدم للحرية .. سنين طويلة .. أفقدم القدرة على
التفكير السليم ..

ونطقوا بتلك الجهالة القبيحة ، اجعل لنا إلهاً .. كما لهم آلهة ، ا ..
وثار موسى ثورة كبرى « إنكم قوم تجهلون » .. وأي جهل هو أعظم
ما يقولون ؟!

ثم جعل موسى يشرح لهم لعلمهم يفهمون ..
ان هؤلاء .. الذين اتخذوا الأصنام ..
« متبّر .. مهلك .. »
ما هم فيه .. كل ما يصنعون ويفعلون ..
وباطل .. وهم .. وخرافة .. وجهل ..
ما كانوا يعملون .. كل ما عملوا في حياتهم .. لا وزن له عند الله .. وسوف
يؤاخذهم عليه ..

ثم صاح فيهم .. ليهنّز أعماقهم :
« أغير الله أبغيتكم إلهاً » .. كيف أتمس لكم إلهاً غير الله .. الذي لا إله
سواه ؟! .. أفلا تعقلون ؟!

ثم تنزل الى عقولهم الجوفاء .. وذكرهم بإنعاماته تعالى عليهم .. فإن لم
يستطيعوا إدراك التوحيد .. فليدركوا أن إلههم هو الذي أنعم عليهم ..

وأنقذهم من عذاب فرعون .. فليعبدوه لإمامه .. إن لم يعبدوه لذاته .. فقال لهم : « وهو فضلكم على العالمين »؟! ..

تتركون الإله الذي رفع خستكم .. من أسفل سافلين .. إلى أعلى عليين .. الذي رفعكم من أحقر الأوضاع الاجتماعية .. من الذل والسخرة والاستعباد إلى الحرية التامة .. بل إلى ما لم يرفع اليه أمة من الأمم في عصركم هذا « فضلكم على العالمين » .. لم يكتف باستنقاذكم من عدوكم .. بل أهلكه أمام أعينكم .. ثم بالغ في إكرامكم .. ففضلكم على جميع الأمم في عصركم! ..

هكذا .. صنع بكم .. من أذل الأذلين .. إلى أعز الأعززين! .. ثم يبلغ بكم الجهل .. أن تطلبوا بعد هذا كله أن يكون لكم صنم تعبدوه! ..

هذه مشكلة أولى .. واجهت موسى .. بعد أن عبر ببني إسرائيل البحر . ضربة في أصول التوحيد ..
فعالجها موسى علاج الأنبياء! ..

اضرب ... بعصاك ... الحجير ١٩ ...

طلبوا إليه الماء ...

حيث لا ماء في صحراء سيناء ..
فكانت معجزة أخرى ! ..
« وإذا استسقى موسى لقومه .
« فقلنا اضرب بعصاك الحجر .
« فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا .
« قد علم كل أناس مشربهم .
« كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين » .
وفي موضع آخر .. من الكتاب الكريم :

« وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى إذ استسفاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

« وقطعناهم » يعني : قوم موسى من بني اسرائيل ، فرقهم الله فجعلهم ..
« اثنتي عشرة » قبيلة ..
« أمما » جماعات ..
« فانبجست » انصببت وانفجرت ..

« كل أناس » من الأسباط الاثني عشر ..
« مشربهم » لا يدخل سبط على سبط في مشربه ..
« وظللنا عليهم الغمام » صار عليهم الغمام ظلًا يَكْنُشُهُم من الشمس وأذاها .
تنظيم إلهي .. فريد عجيب ..
أسباط بني اسرائيل اثنتا عشرة ..
العيون اثنتا عشرة عيناً ..
لكل سبط عينه التي يشرب منها ..
ومعلوم أن عدد كل سبط بالألوف من الأفراد .. عشرات الألوف ..
كما نظمهم عند عبور البحر .. وجعل لكل سبط طريقه ..
فهل انتهت المطالب عند الماء ؟ .
كلا .. فأين الطعام .. وهذه صحراء .. لا طعام فيها ولا ماء ؟ ! .

وأنزلنا عليكم ... المن ... والسلوى؟! ...

قال تعالى :

« وأنزلنا عليهم المن والسلوى .

« كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ..

قال أهل الكتاب :

« فتدمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية .

« وقال لها بنو اسرائيل لیتنا میتنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا

جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع .

« فانكبا اخرجتنا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع .

« فقال الرب لموسى ها انا امطر لكم خبزاً من السماء .

« فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها .

« لكي امتحنهم ايسلكون في ناموسى ام لا ، ..

ثم قالوا :

« فكلم الرب موسى قائلاً :

« سمعت تدمر بني اسرائيل .

« كلمهم قائلاً في العشية تأكلون لحماً وفي الصباح تشبعون خبزاً :

« وتعلمون اني انا الرب الهكم .

- « فكان في المساء أن السلوى سعدت وغطت المحلة .
- « وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلة .
- « ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجهه الأرض البرية شيء دقيق مثل قشور .
- « دقيقٌ كالجليد على الأرض .
- « فلما رأى بنو إسرائيل قالوا بعضهم لبعض من هو .
- « لأنهم لم يعرفوا ما هو .
- « فقال لهم موسى هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا .
- « هذا هو الشيء الذي أمر به الرب .
- « التقطوا منه كل واحد على حسب أكله .
- « ففعل بنو إسرائيل هكذا والتقطوا بين مكثر ومقل .
- « وقال لهم موسى لا يُبقِ أحد منه إلى الصباح .
- « لكنهم لم يسمعوا لموسى بل أبقى منه أناس إلى الصباح .
- « فتولد فيه دود وأنثن .
- « فسخط عليهم موسى .
- « وكانوا يلتقطونه صباحاً فصباحاً كل واحد على حسب أكله .
- « وإذا حميت الشمس كان يذوب ، .
- وقالوا :
- « ودعا بيت إسرائيل اسمه مَنَّأ .
- « وهو كبنز الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل . » .

« واكل بنو اسرائيل المن اربعين سنة حتى جاءوا الى ارض عامرة » .
هذا ما عند .. أو بعض ما عند أهل الكتاب .. عن قصة المن والسلوى ..
وإنها لقصة عريضة .. أربعون سنة يأكلون المن والسلوى ..
والمن كما رأينا .. يمكن أن يقال هو فطير لذيذ حلو ..
والسلوى .. هو طيور السهاني ..
فطير محلى بالعسل ..
ولحم طير جميل ..
فهو طعام كامل لذيق ..
ولكن نفوسهم تافت الى الأظعمة المصرية الشعبية .. وعافت هذا
الطعام الواحد :
« واذ قلتم يا موسى .
« لن نصبر على طعام واحد .
« فادع لنا ربك .
« يخرج لنا مما تنبت الأرض .
« من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .
« قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » .
« اهبطوا مصر انا لكم ما سألتكم .
« وضربت عليهم الذلة والمسكنة .
« وابعادو بفضب من الله » ..
والأظعمة الشعبية التي ألفوها في مصر .. ونبتت لحومهم وعظامهم منها ..
من بقلها .. البقول المختلفة ..

وقنائها .. القثاء .. والشمام والبطيخ والخيار ..
وقومها .. الثوم المصري ..
وعدسها .. العدس الطعمام المصري الشعبي ..
وبصلها .. البصل الأخضر والجاف ..
حين شديدا الى الأطلعمة المصرية ..
لن نصبر على طعام واحد .. كرهت نفوسنا هذا الفطير وهذا اللحم .. نريد
التغيير يا موسى !..
انها طبيعة الإنسان :. لو أقمته في جنة . لكرهها وطلب غيرها !..

وظللنا ... عليكم ... الغمام !؟ ...

معجزة أخرى ...

سيناء شديدة الحرارة .. ولا ظل ولا ماء ولا طعام ..

أما الماء فقد توفر لهم ..

وأما الطعام فقد جاءهم يوماً بيوم ..

بقيت مشكلة الشمس الحارقة ..

وما هنا كانت معجزة :

« وظللنا عليكم الغمام » ..

« الغمام » ما غمّ السماء .. وغطى وجهها عن الناظرين .. سحب

أو ما أشبهه ..

وهو مشهد من المشاهد الإلهية الجميلة .. ومعجزة من المعجزات الخالدة ! ..

شعب ضخم .. مئات الألوف .. يظله أينما كان من صحراء سيناء .. الغمام ..

فتراهم في ظل ظليل .. والشمس الحارقة فوقهم ومن حولهم ..

منتهى الرحمة .. ومنتهى اللطف .. إن ربي لطيف لما يشاء ! ..

وهكذا .. تم توفير عناصر الحياة الرئيسية لهم .. الطعام .. الشراب ..

الظلّ ! ..

وبّ ... أرني ... أنظر إليك؟! ...

الكليم ...

صلى الله على نبيينا .. وعليه .. وسلم ..

له مقامات لا تحصى ..

لأنه في كل طرفة عين .. يُرقى ثم يرقى ..

ونحن الآن أمام مقام من تلك المقامات العُلى .. قال تعالى :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة
وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين .

« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخرّ موسى صعباً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا اول
المؤمنين .

« قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين .

« وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتلميحاً لكل شيء فخذها
بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين .

« سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وإن يروا كل آية
لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل
الذي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين .

«والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يُجزون إلا ما كانوا يعملون» .

اللهم ان الأمر فوق طاقتي .. فهب لي .. من لديك فهماً .. وعلمي من لديك علماً !..

ماذا أقول .. أو ماذا أستطيع أن أقول !؟ .

اليك أولاً .. شيئاً مما قال المفسرون :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ، يصومها متواصلات .. لا يأكل فيها ولا يشرب .. ثلاثين ليلة بنهارهن ..

« وأتمناها بعشر » عشرة أيام يصومها متواصلات .. لنتم عليه نعمتنا .. ويزداد رُقياً واستعداداً لتلقى كلامنا ووحينا .

« فتم ميقات ربه أربعين ليلة » صائماً عن الطعام والشراب .. فتم .. ككُلِّ .

ميقات ربه .. الوقت الذي وعد الله موسى - عليه السلام -

« وقال موسى لأخيه هارون اخلفني » صر خليفتي .. كن نائباً عني ..

« في قومي » في جميع بني إسرائيل ..

« وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » الذين يفسدون عقائد الضعفاء ..

« ولما جاء موسى لميقاتنا » للموعد الذي حددناه ..

« وكلمه ربه » أي كلم معه لسان مرتبته التي قد حصل له عند الله .. وانكشف بها من الله .. إذ لكل ذرة من ذرات المظاهر مرتبة خاصة .. وظن مخصوص .. وانكشف مستقل بالنسبة إلى الله .. لذلك قال سبحانه أنا عند ظن عبدي بي ..

« وأعلى المراتب وأبهاها مرتبة النبوة والرسالة .. مع تفاوت طبقاتها .. ثم
الأمثل فالأمثل ..

ثم لما انبسط موسى مع ربه .. وانكشف له من ربه ما انكشف .. بحيث
سمع كلامه من جميع الجوانب والجهات .. بلا وسيلة آلة وواسطة من ملك
وغيرها .. وبلا تلفظ كلمة حاءلة من تراكييب الحروف الحاصلة من تقطيع
الأصوات .. قد اضطرب حينئذ موسى ووكاله وارتعد .. ومن غاية وله
وسكره تسارع الى انكشاف أجلى منه وأكشف حيث ..

« قال » بعد سماع كلام الحق .. لا على الوجه المتعارف المعهود .. وانجذابه
نحوه انجذابا لا على الوجه المعتاد ..

« رب » يا رب ..

« أرني » ذاتك .. التي قد تنزهت عن المقابلة والمحاذاة والمائلة والمحاكاة ..
كما أسمعتني كلامك المنزه عن ترتيب الكلمات .. وتقاطع الحروف والأصوات ..
« أنظر اليك » ببصري كما سمعت كلامك بسمعي ..

« قال » سبحانه ..

« ان تراني » يا موسى .. ما دمت في جلباب تعينك .. وغشاة هويتك ..
« ولكن » ان أردت أن تعرف استعدادك لرؤيتي ..

« انظر الى الجبل » حين تجليت عليها بهويتي .. المسقطه للهويات مطلقاً ..
« فإن استقر » وثبت عندك انه تمكّن ..

« مكانه » بعد ما أتجلى عليه بذاتي .. أي بقي هو على هويته التي هو فيها
قبل التجلي ..

« فسوف تراني » أي فيمكن لك حينئذ أن تراني بهويتك ..

« فلما تجلى ربه للجبل » حسب أوصافه القهرية الجلالية ..

« جعله دكا » مدكوكا .. مفتتاً .. متلاشياً .. كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً
وبالجملة قد اضمحلت تعيناته الباطلة مطلقاً .. ورجع الى ما كان عليه من العدم
واللاشيء المحض ..

« و » بعد ما رأى من قدرة الله ما رأى ..

« خرّ » وسقط ..

« موسى » السكيم .. بعد ما نظر نحوه ولم يره ..

« ضمقاً » حائراً .. هائلاً .. قلقاً .. مفشياً عليه .. كأنه انفصل عنه
لوازم هويته مطلقاً ..

« فلما أفاق » موسى عن ولده وسكره .. وانكشف من ربه بما انكشف ..
من أنه لا يرى الله إلا الله .. ولا يعرف الله إلا الله .. ولا ينظر نحوه إلا عينه ..
ولا يدرك ذاته إلا ذاته ..

« قال » مستحياً .. منيباً .. خائفاً .. مستنزهاً ..

« سبحانك » انزهك تنزيهاً بليغاً .. وأقدسك تقديساً متناهياً .. من أن
يحيط بك وبأسمائك وصفاتك أحد من مصنوعاتك ..

« تبت » ورجعت ..

« اليك » ياربي » بما اجترأت من سؤال ما ليس في وسعي وطاقتي ..

« و » بعد ما عرفتك الآن ياربي .. عرفانا أكمل .. وانكشفت منك
انكشافاً أتم .. بحيث لم انكشف مثله من قبل ..

« أنا أول المؤمنين » الموقنين .. بمعظمتك وجلالك .. إذ لا اعتداد لإيماني
بك من قبل ..

« ثم لما استحيتى موسى من الله .. وندم عن سؤاله بلا استئذان منه سبحانه

ثنعم وتحزن حزناً بليغاً من اجترائه بما ليس في وسعه .. أزال سبحانه اشفاقاً
له .. ما عرض عليه من الندم والحجل حيث ..

« قال ، سبحانه منادياً له ..

« يا موسى ، المستخلف مني ..

« إني ، بمقتضى حولي وقوتي .. وحسب اختياري وإرادتي قد ..

« اصطفيتك ، واخترتك من بين الناس وبعثتك ..

« على الناس برسالاتي ، وبجمل أحكامي وأوامري وتذكيراتي .. حتى

توصلها إلى عبادي .. نيابة عني ..

« و » قد خصصتك من بين الرسل ..

« بكلامي ، أي بسماعه .. بلا كيف وحرف .. وبلا واسطة سفير ..

ملك ..

« فخذ ما آتيتك ، تفضلاً عليك .. بقدر وسعك واستعدادك .. ولا

تبادر إلى سؤال ما لا طاقة لك به .. ولا يسع في وسعك الاستكشاف عنه ..

« وكن من الشاكرين ، لنعمنا الواصلة اليك .. واصرفها على الوجه الذي

أمرناك به من المصارف .. ووقفناك عليه .. ولا تكن من الكافرين لنعمائنا

المنصرفين عن أوامرنا وأحكامنا .. لتفوز منا بالرضا .. الذي هو أحسن

أحوال أرباب الكشف والشهود ..

« و » من جملة اصطفائنا له .. وإنعامنا إياه .. انا قد ..

« كتبنا له » وأثبتنا لأجل تربيته وإرشاده ..

« في الألواح » أي ألواح التوراة^(١) ..

(١) هذا ما ذهب إليه صاحب التفسير ...

« من كل شيء » يتعلق بتهديب الظاهر والباطن ..
« موعظة » تذكرة وتبياناً يتمظ بها هو ومن تبعه ..
« وتفصيلاً » وتوضيحاً وتبييناً متعلقاً ..
« لكل شيء » أي لكل حكم من الأحكام المتعلقة بأمور معاشهم ..
« فخذها » أي فقلنا له خذها .. أيها الداعي للخلق الى الحق ..
« بقوة » عزيمة صادقة وجزم خالص ..
« وأسر قومك » أيضاً ..

« يأخذوا بأحسنها » يعني بعزائمها دون رخصها .. حتى تستعد نفوسهم
لأن يفرض عليها المعارف والحقائق والمكاشفات والمشاهدات .. التي هي عبارة
عن الجنة المأوى .. والفر دوس الأعلى .. والرتبة العليا .. عند المعارف المحقق ..
ولا يميلوا عنها وعن أحكامها حتى لا يلحقوا بزمرة الفساق المنحطين عن رتبة
الخلافة الإنسانية .. وبالجملة ..

« سأريكم » في النشأة الأخرى .. أيها المائلون عن مقتضى الأحكام الإلهية
التي هي صراط الله الأقوم ..
« دار الفاسقين » التي هي عبارة عن جهنم الحرمان .. وجحيم الخذلان ..
وسعير الخيبة والخسران ..

ثم قال سبحانه :

« سأصرف » اميل واغفل ..

« عن آياتي » الظاهرة في الآفاق والأنفس .. الدالة على توحيدني واستقلالي
في عموم التصرفات الكائنة في الآفاق .. والتدابير الجارية فيها .. بالاستقلال
والاستحقاق القوم ..

« الذين يتكبرون » ويمشون خيلاء ..

- « في الأرض ، وهم يظلمون عليها ..
« بغير الحق » لخبث طينتهم ورداءة فطرتهم .
« و » هم من نهاية جهلهم المركوز في جبلتهم ..
« أن يروا كل آية » دالة على الصدق والصواب ..
« لا يؤمنوا بها » عتواً وعتاداً ..
« و » بالجملة ..
« أن يروا سبيل الرشـد » والهداية ..
« لا يتخذوه سبيلاً » لعدم موافقة طباعهم إياه ..
« وأن يروا سبيل الغي » والضلال ..
« يتخذوه سبيلاً » لميل نفوسهم نحوه بالطبع ..
« ذلك » أي الصرف والانحراف المعارض لهم والأهوية الباطلة والآراء
الفاسدة كلها ..
« بأنهم » من غاية انهماكهم في الضلال قد ..
« كذبوا بآياتنا » الدالة على توحيدنا .. المنزلة على رسلنا ..
« وكانوا » من غاية جهلهم ..
« عنها » وعن الامتثال بها .. والعمل بمقتضاها والتدبر في معناها ..
« غافلين » غفلة مؤبدة .. لا تيقظ لهم منها أصلاً ..
هذا شيء يسير .. مما عند المفسرين ..
وإليك شيئاً مما عند أهل الكتاب :
« وقال الرب لموسى اصعد إليّ الى الجبل وكن هناك .

- « فأعطيك لوحَي الحجارة والشريعة التي كتبتها لتعليمهم .
« فقام موسى ويشوع خادمه .
« وصعد موسى الى جبل الله ،
« وأما الشيوخ فقال لهم اجلسوا هنا حتى نرجع اليكم .
« وهوذا هارون وحُور معكم .
« فمن كان صاحب دعوى فليتقدم اليها .
« فصعد موسى الى الجبل .
« فغطى السحاب الجبل .
« وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام .
« وفي اليوم السابع دُعي موسى من وسط السحاب .
« وكانت منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل امام عيون
بني اسرائيل .
« ودخل موسى في وسط السحاب وصعد الى الجبل .
« وكانت موسى في الجبل اربعين نهاراً وأربعين ليلة ،
وقالوا :
« ثم أغطي موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لَوْحَي
الشهادة لَوْحَي حجر مكتوبين باصبع الله ،
ثم ماذا ؟ .
ثم تعود الى المشهد الجميل الجليل .. المقدس ..
في أمواج الجمال .. وهجعة المحبين .. وشوق النبيين .. نادى السلام :
« رب .. »

« أرني ..
« أنظر اليك » ..! ..
انه الشوق .. انه الحب .. انه الأُنس ..
أرني ؟ ..!
كيف شئت ؟ ..!
أنظر اليك ؟ ..!
بعيني رأسي .. أو بعيني قلبي .. أو بما شئت ؟ ..!
فقال سبحانه : لن تراني ؟ ..!
ها هنا يا موسى .. لن تراني ..
لا يسمعي أرض ولا سماء .. فكيف تراني .. وأنت في تركيبك هذا ؟ ..!
ولكن انظر الى الجبل .. أنت تريد أن تنظر إليّ .. يكفيك أن تنظر
إلى الجبل ..
فإن استقر مكانه فسوف تراني ..!
تجربة عملية .. على الغاية من الجمال ! ..
فلما تجلّى ربّه للجبل .. لهذه الكتلة الضخمة من المادة .. على
امتداد البصر .
جعله .. فوراً .. في .. لا .. زمن ..
دَكّا .. سوّاه بالأرض .. وتلاشى وجود الجبل ..
وخزّ موسى صعيقاً ..!
مجرد التجلي .. بدّد وجود الجبل ! ..

مجرد التجلي .. فكيف بالظهور ؟! .
مشهد .. يا له من مشهد ! ..
ترقى فيه الكلام .. ما ترقى ! ..
« سلامٌ على موسى وهارون »
« إنا كذلك نجزي المحسنين »
« انهما من عبادنا المؤمنين » ..

عَجَبًا ... جَسَدًا ... لَهُ خَوَارِجٌ؟ ...!

أشق البلاد ...

بلاء الأنبياء ..

بيناهم في أعلى عليين .. يُكلفون بمخالطة .. من هم في أسفل سافلين !:

وهذا تكليف شاق شاق .. لا يطيقه إلا الأنبياء !..

انظر .. ها هو الكلم .. في أعلى درجات الترقى والقرب ..

في قمة السمو .. في أمواج .. « ارني .. أنظر .. اليك » !..

ثم يفاجأ .. بأغلبية شعبه .. بالآلوف من شعبه .. يعبدون عجبلاً ..

ويرقصون من حوله !؟

هكذا .. هو في أعلى الدرجات .. وهؤلاء في أسفل سافلين .. فيما هو أحط

من البهائم . لأنهم اتخذوا أحد البهائم إلهاً !؟

فانظر .. كيف يكون شعور موسى .. حين يُكلف وهو فيما هو أعلى من

السماء .. أن يهبط فجأة الى هؤلاء !؟

أن يتنزل سريعاً .. من الأفق الأعلى .. إلى هاوية هؤلاء السفلى !..

وهذا يُفسر لك .. لماذا ألقى موسى الألواح .. ولماذا أخذ برأس أخيه

يجره اليه !؟

ولماذا رجع اليهم .. غضبان أسيفاً !؟

ان أعصابه تكاد تتمزق .. أبعد هذه الآيات كلها .. وهذا الإرشاد الطويل

أبعد هذا كله تكون الحصيلة تجمع الشعب حول عجل حقيير ليهدوا به؟! .
 ألا إن أشق بلاء للأنبياء .. أنهم في الأفق الأعلى .. ويؤمنون أن يهدوا
 الى مخالطة أحقر الناس .. ليستنقذوهم من الرجس الذي يعيشون فيه! ..
 كيف كانت هذه التجربة .. من تجارب موسى الكبرى؟! .
 وكيف وقعت .. وماذا حدث هناك؟! .

قال عز وجل :

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليتهم عجلاً جسداً له خوارٌ لم
 يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين .

« ولما سُقِطَ في أيديهم وراوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
 ويفقر لنا لنكونن من الخاسرين .

« ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال بنسما خلفتموني من بعدي
 أعجلتكم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان
 القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع
 القوم الظالمين .

« قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين . »

« واتخذ قوم موسى من بعده ، بعد مسيره ، لمناجاة ربه - عز وجل -

« عجلاً ، شبيهاً بولد البقرة ..

« جسداً له خوار » له صوت ..

« أسفاً ، حزينا .. الأسف : شدة الغضب ، والتنغيظ على من أغضبه ..

« بنسما خلفتموني من بعدي » بئس الفعل فعلتم ، بعد فراق إياكم ،

وأوليتموذي في قومي ..

- « أعجلتم أمر ربكم » سبقتم أمر ربكم في أنفسكم !؟
وفي سورة طه :
- « وما أعجلك عن قومك يا موسى .
« قال هم أولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى .
« قال فأنسا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري » .
« فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً
حسننا أفعال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم
موعدي .
« قالوا ما اخلفنا موعداك بملكننا ولكننا حملنا اوزاراً من زينة القوم
فلدناها فلكذلك القى السامري .
« فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا الهكم وإله موسى فنسي .
« أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً .
« ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وإن ربكم الرحمن
فاتبعوني وأطيعوا امري .
« قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى .
« قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا .
« الا تتبهن افعصيت امري .
« قال يبنؤم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي .
« قال فما خطبك يا سامري » .
« قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها
وكذلك سولت لي نفسي .

« قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وإن لك موعداً ان تخلفه
وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً .
« إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ومع كل شيء علماً » .

هذا البهلوان المسمى بالسامريّ .. هو رأس الفتنة .. وهو صانع الخدعة ..
فكيف كان ذلك ؟ . قال أهل التفسير .. مختصراً :

« ثم لما كان موسى حريصاً على هداية قومه .. اختار منهم بإذن الله
سبعانه .. سبعين رجلاً من خيارهم حتى يذهبوا معه الى الطور .. ليأخذوا
التوراة .. فساروا معه .. فتسارع موسى في الصعود شوقاً الى لقاء ربه ..
وأمرهم أن يتبعوه في الارتقاء الى الجبل .. فوصل موسى الموعد قبل وصولهم ..
فقال له ربه تنديهاً على اضطرابه واستعجاله في أمره ..

« وما أعجلك » وأي شيء أسبقك .

« عن قومك » المستكلمين برفاقتك ..

« يا موسى » المبعوث المرسل لتكليمهم .. بل الأليق بجاهلهم أن تجيء أنت
معهم مجتمعين ..

« قال » موسى ..

« هم » من غاية قريتهم ..

« أولاء » المشار اليهم التابعون ..

« على أثري وعجلت اليك » يا ..

« رب لترضى » عني .. ويزداد تقربي اليك ..

« قال » تبارك وتعالى .. بعد ما فارقتهم وتركهم مع أخيك .. قد صرت
أنت سبباً تاماً لوقوعهم في البلاء العظيم ..

« فإنا قد فتننا » وابتلينا ..

« قومك » وهم الذين قد أبقيتهم مع أخيك ..

« من بعدك » من بعد خروجك من بينهم .. بعباده غيرنا .. فأشركوا بنا ..

« و » ما ..

« أضلهم » إلا ..

« السامري » المفرط بسبب صوغه صورة العجل من حلي المصريين .. وقوله
بعد ما خار العجل .. هذا إلهكم وإله موسى .. وبعد ما سمع موسى من
ربه ما سمع ..

« فرجع موسى » من ساحة عز حضور ربه .. ومقام السرور
معه .. مسرعاً ..

« إلى قومه » المتخلفين عن أمره .. المشركين بربه .. قد استولى عليه
الغضب .. غيرة على ربه .. فصار ..

« غضبان » من فعلهم ..

« أسفاً » متأسفاً .. متحزناً .. متفكراً هل يمكن التدارك أم لا ؟ .. فلما
وصل إليهم ..

« قال يا قوم » المضيئين سعيي في إرشادكم وتكميلكم .. أما تستحيون من
ربكم الذي رباكم بأنواع النعم .. وأنجاكم من أصناف البلاء .. سيما عند وعد
الزيادة لكم ؟!

« ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً » يحسن أحوالكم .. ويوصلكم إلى مقام
القرب .. بإنزال التوراة عليكم .. لتكملوا بها أخلاقكم ؟!

« أ » تنكرون انجاز وعده .. أم ..

« فطال عليكم العهد » المدة والزمان .. بأن صار أربعين .. بعد ما كان ثلاثين !؟

« أم أردتم » وقصدتم بالإنكار والإصرار ..

« أن يحل » وينزل ..

« عليكم غضب من ربكم فأخلفتم » لذلك ..

« موعدى » الذي قد وعدتكم من متابعتي لأخذ التوراة ..

« قالوا » يا موسى ..

« ما أخلفنا موعدك بما كنا » أي بقدرتنا واختيارنا .. من غير ظهور

دليل يشغلنا عن موعدك .. بل ..

« ولكننا » قد كنا على ما وعدتنا .. ولا تصدر عنا مخالفتك .. غير

أنا قد ..

« حملنا أوزارنا » وأحمالاً .. وأثاماً مستعارة ..

« من زينة القوم » أي من حلي المصريين .. ولم يمكننا الرد اليهم لاستئصالهم

ولا يمكننا أيضاً حملها وحفظها دائماً .. لذلك اضطررنا فحفرنا حفرة وصيرناها

مملوءة من النار ..

« فخذفناها » أي فخذف كل منا ما في يده من الحلي فيها ..

« فكذلك ألقى السامري » فيها ما في يده من الحلي .. بعد ما قذفنا ..

بلا صنع زائد منا .. وبعد ما قذف الكل حليهم فيها .. ادخل السامري

يده فيها ..

« فأخرج لهم » منها ..

« عجلاً » أي صورة عجل .. ولم يكن من ذوي الحس والحركة ..

بل كان ..

« جَسَدًا » وهيكلا ..
« له نُخوار » يصوت صوت البقر ..
« فقالوا » السامري أصالة .. والباقي تبعاً ..
« هذا » الجسد الذي خار خورة ..
« إلهكم » الذي أوجدكم من العدم ..
« وإله موسى » المتردد في ببداء الطلب .. هو هذا قد أنزله موسى في هذه
الحفرة من قبل ..
« فنسي » منزله .. وسمي في طلبه سعيًا بليغًا .. فرقى الطور أيضًا
لطلب هذا ..
« أ » هم قد خرجوا عن طور العقل باعتقاد ألوهية الجماد .. بل عن
الحس أيضًا ..
« فلا يرون » ولا يتفكرون في شأن هذا الجماد ..
« ان لا يرجع » أي أنه لا يرجع .. أي أنه لا يرد ..
« اليهم قولاً » جواباً عن سؤالهم ..
« ولا يملك لهم ضراً » لو لم يؤمنوا له ..
« ولا نفعاً » لو آمنوا ..
« ولقد قال لهم هارون من قبل » أي قبل رجوع موسى اليهم .. نيابة
عنه .. لإصلاحاً لحالهم .. بعد ما أفسدوا على أنفسهم ما أمرهم موسى وأوصاه
إياه من الأصلح بحالهم ..
« يا قوم » المائلين عن طريق الحق بسبب هذه الصورة ..
« إنما فتنتم به » أي ما هذا إلا ابتلاء لكم من ربكم .. ليختبر سبحانه

رسوخكم .. وتمكنكم على التوحيد .. اعرضوا عن الشرك بالله .. وتوجهوا
إلى توحيده ..

« وإن ربكم الرحمن » لكم .. بإرسال أخي اليكم رسولا .. وأنجاكم من
عدوكم .. وأنا نائب عن أخي .. قد استخلفني عليكم ..

« فاتبعوني » لتتبعوا الحق .. ولا تميلوا الى الباطل ..

« وأطيعوا أمري » هذا .. واقبلوا قولي وإرشادي لكم .. حتى
يصلح حالكم ..

« قالوا » له .. انك وإن كنت نائبا عن أخيك .. لا تعرف أنت ربه ..
ولا تكلمت معه .. بل يعرفه ويتكلم معه موسى ..

« لن نبرح » ونزال ..

« عليه » أي على عبادة الجسد ..

« عاكفين » مقيمين حوله .. متوجهين اليه .. متضرعين عنده ..

- « حتى يرجع الينا موسى » فرآه وتكلم معه ..

« ثم لما رجع موسى من ميقاته ومناجاته مع ربه .. بعد ما أخبر له الحق
حال قومه .. ووجدهم ضالين منحرفين .. صار غضبان عليهم .. أسفاً
بضلالهم حيث ..

« قال » من شدة غيظه لأخيه .. منادياً باسمه على الاستحقار .. مع انه
أكبر منه سنّاً ..

« يا هارون ما منعك » وأي شيء صرفك عن قتالهم وقت ..

« إذ رأيتهم ضلوا » عن طريق الحق وتوحيده .. بعبادة العجل ..
وما لحقك ..

« ألا تبعن ، في مقاتلة المشركين .. بعد ما أوصيتك به مراراً .. وقد
أقمتك فيهم لإصلاح حالهم فأفسدتهم ..
« أ » كفرت وضللت أنت أيضاً ..

« فعصيت أمري » فأخذ من شدة غيظه وغضبه .. بشعر أخيه
ولحيته يحرقه ..

« قال » له حينئذ هارون .. قولاً يحرك مقتضى الأخوة .. وينبه على
قبول العذر ..

« يا ابن أمّ » نسبه إلى الأم استعطافاً .. احذر عن الغضب المفرط ..
وتوجه إليّ .. واسمع عذري ..

« لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » ما لم تسمع عذري .. لم أترك القتال
مهم إلا ..

« إني » وإن كنت لا أقدر على قتالهم لكثرتهم قد ..

« خشيتُ » ان قاتلت معهم ..

« ان تقول » انت معاتباً عليّ قد ..

« فرقت بين بني اسرائيل » وجعلتهم فرقاً .. متخالفة متقاتلة ..

« ولم ترقب قولي » ولم تحفظ ما أقول لك .. اخلفني في قومي واصلح
بينهم حتى أرجع .. فلما سمع موسى عذره ندم على ما فعله .. فرجع إلى معاتبته
يضلهم حيث ..

« قال فما خطبك » وأي شيء هو أعظم مقاصدك ومطالبك من هذه
التفرقة والإضلال ..

« يا سامريّ » المفضل ..

« قال » السامري .. ليس مقصودي إلا الرياسة والزيادة عليهم .. بشيء
يميزني عنهم .. إذ قد ..

« بُصرت بما » اي شيء ..

« لم يبصروا به » أصلاً .. وذلك اني رأيت جبرائيل راكباً على فرس
الحياة .. ما وضع قدمه على شيء إلا حياى ..

« فقبضت قبضة من أثر الرسول » اي من تراب قد وطئه حافر فرس
الرسول الذي هو جبرائيل .. وقد كنت احفظها .. الى ان اذابوا حليهم ..
« فنبذتها » فيها .. فسرت الحياة الدنيا منها .. الى الصورة المتخذة من
الحلي .. فخار .. فأمرتهم باتخاذها إلهاً ..

« و » بالجملة ..

« كذلك سؤلت » وزينت ..

« لي نفسي » حتى أكون متبوعاً لهم .. مقتدى به بينهم ..

« قال » له موسى ..

« فاذهب » من عندي .. وتتح عن مرآي ..

« فإن لك » اي قد حق وثبت لك ..

« في الحياة » أي في حين حسك وحياتك ..

« ان تقول لا ميساس » لك .. ولا احساس ولا ادراك .. يعني انك في
حياتك من جملة الأموات الفاقدين للحواس وإدراك غموم المشاعر والمدارك ..
لاعتقادك بحياة هذا الجماد .. وأخذك هذا إلهاً حياً قيوماً متصفاً بصفات
الكهال .. وأضللت بسبب هذا جمعاً عظيماً من الناس ..

« وإن لك » في النشأة الأخرى ..

« موعداً » من الجحيم ..

« لن 'تخلفه » أنت أبداً .. ولن تنتقل عنه أصلاً .. إذ لا توبة لك منها ..
« و » متى عرفت حالك في دنياك وأخراك ..
« انظر الى إهلك الذي ظلتَ » وصرت ..
« عليه » وعلى عبادته ..
« عاكفاً » مقيماً عازماً جازماً ..
« لنحرقنّه » ولو كان هذا إلهاً لم تحرقه النار ..
« ثم » بعد الإحراق .. وبعد صيرورته رماداً ..
« لننسفنه » وننشرنه ..
« في اليم نسفاً » نشراً .. ونثراً .. بحيث لم يبق من أجزائه في البر شيء ..
وبالجملة قد أحرقها موسى عليه السلام .. ونسفها .. ثم توجه إلى بني
اسرائيل فقال ..
« إنما إلهكم الله » المستجمع لجميع أوصاف الكمال .. وهو الحي القيوم ..
« الذي لا إله » ولا موجود في الوجود ..
« إلا هو » وما سواه أعدام باطلة .. ولو تعقل سواه فلا يخرج أيضاً عن
حيطه حضرة علمه المحيط .. إذ هو سبحانه قد ..
« وسع كل شيء » في الذهن الخارج ..
« علماً » ... »
هذا شيء مما قاله المفسرون .. فماذا نستخلص من الآيات وتفسيرها ١٢٠٠.
الخطوط العريضة من هذا الحادث الخطير .. هي هذا ..
واعد الله موسى ثلاثين ليلة .. يصومها متواليات متواصلات .. بلا طعام
ولا شراب .. وهذه خصيصة لموسى ..

ولحكمة إلهية .. ستظهر فيما بعد .. أمره أن يتمها بعشر أخرى .. فتم
مبقات ربه أربعين ليلة ..

واستخلف موسى على قومه هارون .. وأوصاه ووجهه .. على أنه سيعود
اليهم بعد الثلاثين .. ومناجاة ربه .. وتلقي الألواح المقدسة ..

وأخذ موسى معه سبعين من شيوخ بني اسرائيل ..

وتركهم في سفح الجبل .. ينتظرون عودته ..

وذهب هو يصعد جبل الطور المقدس .. ليظفر بالمناجاة وتلقي الألواح ..

وانقضت الثلاثون ليلة .. ولم يرجع موسى ا .

وها هنا بدأت الفتنة قتل برأسها ا ..

وظهرت حكمة الله من امتداد الثلاثين ليلة الى أربعين ..

وبدأ الناس يتحدثون : أين موسى .. موسى لا يخلف الميعاد .. لعله نسي ..

ربما يكون قد مات وصُعِقَ في هذا الجبل .. ابحثوا لكم عن إله تعبدوه ا ..

وهارون حائر بينهم .. والفتنة إذا اشتعلت فقد الناس عقولهم ..

هارون يحاول التهدئة ولا فائدة ا ..

ثم حفروا حفرة واسعة .. وجعلوا يلقون فيها ما حملوا معهم من الذهب ..

الذي سلبوه من المصريين عند هروبهم من مصر .. وامتألت الحفرة بالحلي

والجواهرات الثمينة .. كانت النساء تلقي بحليها لتتخلص من هذه الأوزار التي

حملوها معهم ولا يستطيعون ردها إلى أهلها فقد هلكوا في البحر .. ولا سبيل

إلى عودتهم الى من بقي في وادي النيل ..

وانبعث أشقاها .. هذا الرجل المسمى بالسامري ..

كان يتقن صناعة الصياغة .. فأخذ كمية من الذهب المكس في الحفرة ..

وأذابه وأخرج منه تمثالاً رائعاً لعجل من البقر يضارع أحسن العجول المعبودة
عند المصريين جمالاً وروعة ..

وجوفه من الداخل في مكر ودهاء ! ..

وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبرائيل
فألقاه فيه ..

فصار الحلي عجلاً جسداً له خوار .. يخور ويمشي ..

فلما رأوه قال لهم السامري (هذا إلهكم وإله موسى فنسي) موسى وتركه
ها هنا وذهب يطلبه !

فمكفوا عليه يعبدونه ! ..

وصاح فيهم هارون .. فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم ..

فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ! ..

وما كان يستطيع أن يفعل شيئاً مع قوم مجانين ! ..

وكانت صدمة أليمة .. خلخلت أعصاب موسى ..

وكيف لا .. وها هو يرى ما لا يُعقل من القوم ! ..

عجل .. بهم .. يعكفون على عبادته .. ويرقصون من حوله !؟ .

عجل !؟ . يتدهورون هذا التدهور .. وفيهم نبي الله هارون !؟ .

ورجع موسى الى قومه .. غضبان .. تأثر أشد الثورة ..

أسفاً .. حزيناً أشد الحزن ..

لقد فشل كل سبيل .. في تصحيح أفهام هؤلاء الأغبياء ! ..

وصب موسى غضبه على هارون .. المسئول الأول عن الشعب أثناء

غيابه عنهم ..

« وأخذ برأس أخيه يجره اليه » . أمسك بشعر رأس أخيه .. وشعر
 لحيته الطويلة .. يشده اليه .. يريد أن يبطش به بطشاً ..
 أمام الجماهير كلها .. وهارون يحاول أن يتفاهم مع موسى .. وموسى قد
 منعه الغضب أن يلتفت الى قوله ..

وقال هارون : « يا ابن أم .. لا تأخذ بلحيتي .. ولا براسي » ..
 وكانت ثورة في القيادة العليا ..

واستدعى موسى .. السامري .. المجرم الأول .. وناداه على مشهد
 من الجميع :

– فما خطبك يا سامري ؟!

ما مصيبتك .. وجريمتك الكبرى .. أيها البهلوان الأفاك ؟!
 وجعل السامري يشرح أمام الجميع .. سر الألعبوة التي لعبها ..
 وأنه قد ألقى على التمثال .. تراباً كان قد أخذ من موضع حافر
 فرس جبرائيل ..

ففوجيء بالتمثال يحیی . ويتحول الى عجل حقيقي .. يمشي ويخور ..
 فانتزها فرصة .. ونادى في الشعب : (هذا الهكم .. وإله موسى ..
 فنسي) موسى .. وذهب يطلب إلهه في الجبل ! ..
 وسرعان ما صدقوه .. فتحلّقوا حول العجل .. يعبدونه .. ويرقصون
 فرحاً من حوله ! ..

وتلاشى صوت هارون .. بينهم .. فاضطر الى اعتزالهم هو ومن ثبت
 معه من المؤمنين الصادقين ! .

وعلى مشهد من الجميع عاقب موسى .. هذا السامري :

– فان لك في الحياة .. ان تقول .. لا مساس ! ..

طول حياتك .. سوف تتألم آلاماً لا تطاق .. إذا مسست أحداً .. أو
مَسَّكَ أحد .. سوف تصيح وتصيح .. لا لمساس .. لا تقتربوا مني ..
ابتعدوا عني .. ستمعيش وحشياً .. منبوذاً .. لا تخالط أحداً .. ولا أحد
يخالطك ..

وأمر موسى الشعب .. باعتزال هذا المجرم الأثيم ..

ثم تصرف موسى .. في هذا الإله الباطل .. في المعجل .. فأمر بحرقه
حرقاً « لنحرقنه » ..

فلما تم إحراقه .. حتى صار رماداً ..

أمر بنسف هذا الرماد عن آخره .. ونثره في البحر .. ثم لنسفنه في
اليم نسفاً ..

حتى يفهم الجميع .. أنه أحقر من أن يُتخذ إلهاً ..

ثم صحح الأفهام .. وأعلن فيهم التوحيد الصحيح :

- إنما إلهكم الله .. الذي لا إله إلا هو .. وسع كل شيء علماً ..

هذه هي الخطوط المريضة .. من ذلك الحادث الخطير ..

فما هي الحكمة مما حدث ١٢ .

الحكمة .. ما كان الله لينذر هذا الشعب .. حتى يميز الخبيث من الطيب ..

وقد كان .. تجمع حول المعجل كل كاذب في إيمانه تحت قيادة السامري ..

وتجمع حول هارون .. كل صادق في إيمانه .. تحت قيادة هارون ..

فتحقق انكشاف النفوس للجميع ..

فالفتنة حققت أهدافها ..

وكانت تصفية رائعة .. لهؤلاء الذين يريد الله تعالى .. أن يتخذهم شعباً

للدعوة .. يتخصصون لتوحيده .. فعزل بذلك الخبائث بعيداً عن الطيبين ! ..
وهذه حكمة جلييلة .. بل هي سُنة من سُنن الله التي لا تتغير ..
أي جماعة تدعي أنها تعمل لله .. من الحتم ان تُفتن وتبتلى . ليميز الله
الخبِيث من الطيب ..

لأن الادعاء خطير .. فلا بد أن يكون البلاء أخطر ! ..
ولو لم تثمر هذه الفتنة غير عزل الكاذبين عن الصادقين .. لكان هذا
شيئاً عظيماً ..
ولكنها أثمرت الكثير .. وكان تدريباً عملياً رائعاً .. لفن قيادة الشعوب ..
ذهب موسى ليتلذذ بالمناجاة .. ففوجيء به « فإنا قد فتننا قومك من
بعدك » ..

فكانت الإشارة من هذا .. أن يا موسى .. ليست مهمتك أن تتلذذ
بمناجاتنا .. وإنما مهمتك الأولى .. أن تخوض مرارة مشاكل الجماهير .. وأن
تعود الى هؤلاء البهائم .. الذين انتكسوا فعبدوا عجلاً .. فتصجح عقولهم ..
تلك هي مهمتك الأولى كرسول .. أما لذة الرؤية .. ف« لن تراني » .. وأما
لذة المناجاة .. فلن تفوتك .. فأنا منك حيث كنت « انني معكما اسمع
وأرى » ! ..

هناك فوائد كبرى .. لهذا الحادث الخطير ..

فماذا كان من موسى .. بعد أن حكم في السامري « لا مساس » ؟ ..
فماذا كان حكمه في أولئك الذين عبدوا العجل ؟ ! ..

فاقتلوا ... أنفسكم!؟ ...

قال تعالى :

« وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بائخاذكم العجل فتوبوا الى بارنكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارنكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم » .

وقال سبحانه :

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون .

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واستمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل ينما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » .

ماذا حدث لهؤلاء الذين عبدوا العجل .. وماذا قضى فيهم موسى ١٢ .

ومعلوم انهم قد ارتدوا .. والمرتد جزاؤه القتل ! ..

فهل قتلهم موسى .. وهل يقتل أغلبية الشعب .. هل يقتل عشرات الألوف ١٢ .

قال ابن الأثير :

« ففي تلك الليالي العشر افتتن بنو اسرائيل .. لأن الثلاثين انقضت ولم يرجع اليهم موسى .. »

« فقال هارون : يا بني اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم .. والحلي الذي استهزتموه من (المصريين) غنيمة .. فاحفروا حفيرة وألقوه فيها .. حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه .. ففعلوا ذلك . »

« وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبرائيل فألقاه فيه . »

« فصار الحلي عجلاً جسداً له خوار . »

« وقيل : كان يخور ويمشي ، ! .. »

« ثم يقول ثم أخذ (اي موسى) العجل وبرده بالمبارد وأحرقه .. وأمر السامري فبال عليه .. وذراه في البحر . »

« فلما أتى موسى الألواح ذهب ستة أسباعها وبقي تسبع . »

« وطلب بنو اسرائيل التوبة .. فأبى الله ان يقبل توبتهم . »

« وقال لهم موسى : (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) . »

« فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه . »

« فكان من قتل من الفريةين شهيداً . »

« فقتل منهم سبعون ألفاً . »

« وقام موسى وهارون يدعوان الله . »

« فغفا عنهم .. وأمرهم بالكف عن القتال .. وتاب عليهم ، . »

هذه رواية ابن الأثير .. وهي صريحة في قتل آلاف من بني اسرائيل ..
فإذا عند أهل الكتاب؟! قالوا :

« وقف موسى في باب المحلة .

« وقال من للرب فإليّ .

« فاجتمع اليه جميع بني لاوي .

« فقال لهم .

« هكذا قال الرب إله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومُرُّوا
وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه
وكل واحد قريبه .

« ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى .

« ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل .

« وقال موسى املأوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه .

« فيئطمطكم اليوم بركة » .

هذا ما عند أهل الكتاب ..

أوامر صريحة من موسى .. بقتلى كل من عبَد العجل ..

٣٠٠٠ .. ثلاثة آلاف رجل .. قتلوا ..

لقد كانت مذبحه .. حمّام دم .. عملية تطهير دموية كبرى ..

ان الدعوات الإلهية .. جدّ وحقّ .. وثمنها فادح .. بنسبة ضخامة

الفكرة .. وسمو الدعوة !..

وما أشبه هذا الحادث .. في تاريخ دعوة موسى ..

بالحادث الفذ .. في تاريخ دعوة رسول الله .. محمد .. صلى الله عليه وسلم ..

حادث حروب الردّة .. حين ارتد الكثير عن الإسلام .. فكانت أوامر
الصدّيق .. رضي الله عنه .. حازمة حاسمة .. بقتلهم وإبادتهم ..
ونفّذ سيف الله المسلول .. تلك الأوامر . وسقط من هؤلاء المرتدة
الألوف قتلى !..

إنها عملية تطهير كبرى .. لإبادة الأعداء .. من صفوف الصادقين ..
ولن تجد لسنة الله تبديلا .

واختار موسى ... قومه سبعين رجلا ...
لميقاتنا ؟ ...

قال تعالى :

« واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت وليئنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . وأولئك هم المفلحون .

« واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدانا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . وأولئك هم المفلحون .

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .
قال ابن الأثير :

« ثم ان موسى .. اختار من قومه سبعين رجلا من أختيارهم .
« وقال لهم : انطلقوا معي الى الله .. فتوبوا بما صنعتم وصوموا وتطهروا .
« وخرج بهم الى طور سيناء .. للميقات .. الذي وقته الله له .
« فقالوا : اطلب أن نسمع كلام ربنا .

- « فقال : أفعل .
- « فلما دنا موسى من الجبل .. وقع عليه الغمام .. حتى تغطى الجبل كله .
- « ودخل فيه موسى .. وقال للقوم : ادنوا .
- « فدنوا حتى دخلوا في الغمام .
- « فوقعوا سجوداً ..
- « فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه .
- « فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام .. فأقبل اليهم .
- « فقالوا لموسى : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهوراً) .
- « فأخذتهم الصاعقة .. فماتوا جميعاً .
- « فقام موسى يناشد الله تعالى ويدعوه ويقول :
- « يا رب اخترت أخيار بني اسرائيل .. وأعود اليهم وليسوا معي ..
- فلا يصدقونني ؟!
- « ولم يزل يتضرع .. حتى رد الله اليهم أرواحهم .
- « فعاشوا رجلاً .. رجلاً .. ينظر بمضهم الى بعض كيف يحيون ؟
- « فقالوا : يا موسى .. أنت تدعو الله .. فلا تسأله شيئاً إلا أعطاكه « !..
- « فماذا عند المفسرين ؟!
- قالوا :
- « و » اذكر يا أكمل الرسل لمن تبعك .. قصة الكليم حين ..
- « اختار موسى قومه « أي اختار وانتخب موسى .. بإذن منا إياه ..
- من قومه ..
- « سبعين رجلاً ليقاننا » ومناجاتنا .. وذهب موسى معهم .. فسمعوا

يتكلم سبحانه مع موسى يأمره وينهاه .. وهو يناجي مع ربه .. فلما تم الكلام .. وانكشف الغمام .. قالوا بعد ما سمعوا كلامه سبحانه .. مستكشفين عن ذاته .. لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره .. ظاهرة منكشفة ذاته لأبصارنا .. كما انكشف كلامه لأسماعنا .. فأخذتهم الرجفة بسبب سؤالهم هذا .

« فلما أخذتهم الرجفة » أي الصاعقة .. النازلة من قهر الله وغضبه .. لطلبهم ما ليس في وسعهم واستعدادهم ..

« قال » موسى .. مشتكياً الى الله .. يا ..

« رب لو شئت أهلكتهم » أي لو تعلقت مشيئتك لإهلاكهم .. لم تهلكهم ..

« من قبل » أي قبل اسماعهم كلامك ..

« وإياي » أيضاً .. لم تهلكني .. حتى لا ينسب إليّ إهلاكهم عند عوام بني اسرائيل وهم لا يتشاءمون بي؟! .. ثم قال موسى من غاية اضطرابه ..

« أتهلكنا » بالصاعقة الشديدة يا رب ..

« بما فعل السفهاء منا » أي بسبب سؤال سأل سفهاؤنا .. وصدر عنهم هذا هفوة بلا علم لهم بعظمتك وجلالك .. وحق قدرك وعزتك؟! .. بل ..

« ان هي » أي هذه الفعلة المستبعدة .. والمسألة المستحيلة أيضاً .

« إلا فتنتك » اختبارك .. وابتلاؤك إياهم .. إذ سمعت أنت لهم كلامك ..

فأوقعتهم بهذه الفتنة العظيمة .. إذ أنت ..

« تضل بها » أي بفتنتك ..

« من تشاء » من عبادك .. بأن اجترؤوا عليك بعد ما انكشفت عليهم نوع

انكشاف .. وجذبتهم نحوك نوع انجذاب .. الى انكشاف أعلى منه ..

وأجلى .. فضلوا وكنفروا بلا علم لهم الى مقتضيات استعداداتهم ..

« وتهدي » بها أيضاً ..

« من تشاء » بأن سكتوا عن السؤال مطلقاً .. وفوضوا أمورهم كلها اليك ..
ولا يسألوا عنك ما لم يستأذنوا منك .. والكل بيدك .. وما صدر عموم
ما صدر عن صدر إلا بتوقيعك واقدارك .. بل بك ومنك .. وبمقتضى قدرتك
وإرادتك .. وبالجملة ..

« أنت وليئنا » ومولى أمورنا .. ومولى نعمنا ..

« فاغفر لنا » عموم ما جرى علينا من المعاصي والآثام ..

« وارحمنا » برحمتك الواسعة .. تفضلاً علينا وامتناناً .. واعف عنا
بفضلك وجودك ..

« وأنت خير الغافرين » الساترين ذنوب عصاة المسرفين المفرطين ..

« واكتب لنا » يا ربنا ..

« في هذه الدنيا حسنة » لا توقعنا في فتنتك ..

« وفي الآخرة » أيضاً حسنة توصلنا الى ذروة توحيدك ..

« إنا » بعد ما تحققنا بعلو شأنك وسمو برهانك ..

« هُدتنا » أي مُبنا ورجعنا ..

« اليك » من أن نسأل منك ما ليس لنا علم به .. سيما بما يتعلق بذاتك ..

« قال » سبحانه متمززاً برداء العظمة والكبرياء ..

« عذابي » ونكالي ..

« أصيب به من أشاء » من عصاة عبادي ..

« ورحمتي وسعت كل شيء » من المطيعين والمعاصين وغيرهم ..

« فسأكتبها » وأثبتها حتماً ..

«الذين يتقون» ويحذرون عن المحارم مطلقاً .. طلباً لمرضاتي ..
«ويؤتون الزكاة» أي يعطون مما في أيديهم .. من الرزق الصوري
والمعنوي .. تمريناً على نفوسهم ملكة الكرم والجود .. وتطهيراً لها عن الشح
المطاع الموجب للقسوة والغفلة ..
«والذين هم بآياتنا» أي بجميعها ..
«يؤمنون» يوقنون .. ويمتثلون بامتثالها .. ألا وهم ..
«الذين يتبعون الرسول» المرسل بالتوحيد الذاتي ..
«النبي» المتمم لمكارم الأخلاق ..
«الأمي» المتحقق .. المخصوص بالعلم اللدني .. الملقى له من ربه .. بلا
واسطة كسب وتعلم من معلم ألا وهو النبي الموعود ..
«الذي يجدونه» يعني عموم أهل الكتب ..
«مكتوباً» في كتبهم .. بعثته .. ودينه .. واسمه .. وجليته .. وجميع
أوصافه ثابتة ..
«عندهم في التوراة والإنجيل» بأنه إذا بُعث ..
«بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات التي يحرمونها
على نفوسهم ..
«ويحرم عليهم الخبائث» التي قد حللوا على أنفسهم ..
«و» بالجملة ..
«يضع عنهم إصرهم» أي يزبح .. ويزيل عنهم ثقلهم .. التي يترهبون ..
ويتزهدون فيها .. فوق طاقتهم .. كقطع الأعضاء والجوارح التي يخطئون
بها .. وقطع موضع النجاسة من الثوب .. وغير ذلك ..
«و» يضع أيضاً ..

« الأغلal » أي التكاليف الشاقفة ..
« التي كانت عليهم » وبالجملة ..
« فالذين آمنوا به » حين ظهوره ودعوته ..
« عزّروه » ووقروه حق توقيره .. وتعظيمه ..
« ونصروه » تقوية لدينه ..
« واتّبعوا النور » أي القرآن ..
« الذي أنزل معه » من عند الله .. تأييداً له .. وتصديقاً إياه ..
« أولئك » السعداء .. المقبولون عند الله .. الموفقون من عنده باتّباعه ..
« هم المفلحون » المقصرون من عنده .. على الفلاح والفوز بالنجاح ..
هذا قليل .. بما عند أهل التفسير .. فهل عند أهل الكتاب من شيء ؟!
قالوا :
« ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين .
« فأكتب انا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين
الذين كسرتهما .
« وكن مستهداً للصباح .
« واصعد في الصباح الى جبل سيناء وقف عندي هناك على رأس الجبل .
« ولا يصعد احد معك وايضاً لا يُرَ احد في كل الجبل .
« فنحت لوحين من حجر كالأولين .
« وبكّر موسى في الصباح وصعد الى جبل سيناء كما أمره الرب .
« وأخذ في يده لوحَي الحجر » .
ثم قالوا :

- فأسرع موسى وخر الى الارض وسجد .
- وقال ان وجدت نعمة في عينيك أيها السيد فليسير السيد في وسطنا .
- فانه شعبٌ صلبٌ الرقبة .
- واغفر اثمنا وخطيتنا واتخذنا ملكاً ، .
- ثم قالوا :
- وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات .
- لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع اسرائيل .
- وكانت هناك عند الرب اربعين نهاراً واربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً .
- فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر .
- وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل ان موسى لم يعلم ان جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه .
- فنظر هارون وجميع بني اسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلمع .
- فخافوا ان يقتربوا اليه .
- فدعاهم موسى .
- فرجع اليه هارون وجميع الرؤساء في الجماعة .
- فكلمهم موسى .
- وبعد ذلك اقترب جميع بني اسرائيل .
- فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيناء ، .
- ثم ماذا؟ . ثم حسبنا هذا ..

فإنها محرمة عليهم ... أربعين سنة ...
يتيهون في الأرض ؟ ...

قال تعالى :

« واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين .

« يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تترددوا على ادباركم
فتنقلبوا خاسرين .

« قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها
فانا داخلون .

« قال رجلا من الذين يخافون انعم الله عليها ادخلوا عليهم الباب فاذا
دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

« قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك
فما تباد انا هنا قاعدون .

« قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين .

« قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على
القوم الفاسقين ، .

تعب موسى .. أشد التعب ..

وأرهمه بنو إسرائيل .. أشد الإرهاق ..

يحاول في كل مرة .. أن يرفسح خستهم .. ويرقى بهم .. إلا أنهم
يبتكسون ويرتدون ..

وهذا كله من آثار الذل والهوان الذي نشأوا فيه في مصر ..
فحطّم بنيانهم ..

نظمهم كما أمرد الله .. أحسن تنظيم ..

« ٦٠٠٠٠٠ » ستائة ألف .. يقودهم أحسن قيادة .. ويرتحل بهم .. عن
أمر الله .. من صحراء الى صحراء أخرى في سيناء ..

ولكن ماذا يجدي التنظيم . في شعب لم يألف إلا السخرة والعبودية؟!
وإليك الآن .. صورة طبيعية لتلك الأحداث .. مما ورد عند
أهل الكتاب :

« وفي السنة الثانية في الشهر الثاني في العشرين من الشهر ارتفعت
السحابة عن مسكن الشهادة .

« فارتحل بنو اسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فحلت السحابة في
برية فاران » .

ثم عادوا ينوحون .. وبطلبون ما كانوا يأكلون في مصر .. أو لحماً فقد
كرهوا هذا المن ! ..

« واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة .

« فعاد بنو اسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا من يعطمنا لحماً .

« قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر بجباناً والقشأ والبطيخ
والكرات والبصل والثوم .

« والآن قد يبست أنفسنا .

« ليمس شيء غير أن أعيننا الى هذا المن » ! ..

الشعب ينوح .. ويطلب شيئاً غير هذا المنّ ..!
فضج موسى منهم .. واشتكى الى ربه :
« فقال موسى للرب لماذا أسأت الى عبدك ولماذا لم أجد نعمة في عينيك
حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليّ » ..!
لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل عليّ ..
موسى يتألم ويتألم .. ويتأوه الى الله ..
ثقل عليّ؟! . شعب كله عُقد .. ومشاكل والتواءات .. وجُبن .. وعدم
رغبة في حمل المسؤولية .. وهذه الأثقال كلها .. يحملها القائد .. وهو في حاجة
الى من يعينه في تلك المهمة الشاقة! ..
وقد كان ..
« فقال الرب لموسى اجمع اليّ سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل الذين تعلم
انهم شيوخ الشعب وعرفاؤه واقبل بهم الى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك .
« فانزل أنا واتكلم معك هناك وأخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم
فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك » .
« فقال موسى ست مئة ألف ماشٍ هو الشعب الذي أنا في وسطه » .
« فخرج موسى وكلم الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ
الشعب وأوقفهم حوالى الخيمة .
« فنزل الرب في سحابة وتكلم معه وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على
السبعين رجلاً الشيوخ .
« فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيّدوا » .
انتهت مشكلة القيادة .. وانفراد موسى بثقل المسؤولية ..
ولكنه عاد يواجه مشكلة أخطر وأخطر ..

مشكلة شعب بأكملها يرفض رفضاً باتاً . أوامر الله اليه .. بدخول
الأرض المقدسة ..

شعباً يكشف عن حقيقته .. ويعلمها بلا حياء ولا استحياء .. وبئس
ما أعلن وبئس ما أذاع !..

« فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة .

« وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني اسرائيل وقال لها كل الجماعة
ليتنا متنا في ارض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر .

« ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف .

« تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة .

« اليس خيراً لنا أن نرجع الى مصر .

« فقال بعضهم لبعض 'نقيم رئيساً ونرجع الى مصر' .

وهكذا .. رفض كل الشعب .. وثورة في كل الشعب ..

ورفعوا أصواتهم .. أصوات الجبن والهلع والجزع ..

كيف يأمرهم موسى بقتال هؤلاء .. كيف يدفعهم الى الموت .. ليتهم ماتوا
في مصر .. أو ماتوا في هذا القفر .. بدلاً من موتهم بالسيف !..

ويمكن أن نسأل هؤلاء الجبناء : وما الفرق بين موتة مصر وموتة السيف ؟

انها مجرد معاذير .. ومحاولة لتغطية جبنهم !..

وكانت الطامة .. حين أعلنوا 'نقيم رئيساً .. ونرجع الى مصر' !؟

انه قلب نظام الحكم كله ..

اسقاط موسى .. تعيين رئيس غيره .. يعود بهم الى مصر !..

هكذا .. ببساطة .. كأن هذا الذي حدث كله .. هذا التاريخ العريض
لم يحدث ! ..

إجرام . وعفونة سارية في النفوس ! ..

فماذا كان من موسى ؟ ! ..

« فسقط موسى وهارون على وجهيهما امام كل معشر جماعة بني اسرائيل .
« ويشوع بن نون وكاليب بن يَفْنُثَة من الذين تجسسوا الأرض مزقاً
ثيابها .

« وكلّمنا كل جماعة بني اسرائيل قائلين .

« الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها الأرض جيدة جداً جداً .

« ان سُرِّبنا الرب يدخلنا الى هذه الأرض ويعطينا اياها أرضاً تفيض
لبناً وعسلاً .

« انما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزونا .

« قد زال عنهم ظلمهم والرب معنا . لا تخافوهم » .

وهذان هما الرجلان اللذان أشار اليهما القرآن العظيم « قال رجلان من
الذين يخافون » ..

فماذا كان حُكْمُ الله في هؤلاء المتمردين .. أو بلغة القرآن « القوم الفاسقين » ؟ .

« وكلم الرب موسى وهارون قائلاً حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة
المتدمرة عليّ » .

« قد سمعت تدمر بني اسرائيل الذي يتدمرونه عليّ » .

« قل لهم حيّ أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني » .

« في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن

عشرين فصاعداً الذين تدمروا عليّ » .

« إن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يَفْنَة
ويشوع بن نون .

« وأما أطفالكم الذين قلتُم يكونون غنيمة فاني سأدخلهم فيعرفون الأرض
التي احتقرتموها .

« فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر .

« وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى
تفنى جثثكم في القفر .

« كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعين يوماً للسنة يومٌ تحملون
ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي .

« أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفجرة عليّ .

« في هذا القفر يغنون وفيه يموتون ، .

هذا هو حكم الله في هؤلاء المتمردين .. ولا راد لقضائه ..

هذا هو حكم الله .. الذي سجله كتاب الله العظيم .. القرآن العظيم :

« فانها محرمة عليهم .

« أربعين سنة .

« يتيهون في الأرض ، ! ..

ان عظمة القرآن العظيم .. أنه أصدق قول .. على الإطلاق .. على وجه
الأرض .. الى ما شاء الله للحياة أن تكون ! ..

« وإنما كان كذلك .. لأن الله .. هو المتحدث فيه ..

« ومن أصدق من الله حديثاً ، ١٢ .

ليس ذاك وحده .. بل ومستحيل أن يُزاد فيه حرف أو يُنقص ..

« إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون ، !.. »

ومن دلائل تلك القضية .. هذه الآيات الكريمة .. التي سجّلت .. هذا الموقف الخطير من بني اسرائيل .. وما انتهى اليه .. من حكم الله فيهم حكما أبديا !.. »

وسجّل أدق أقوالهم .. مما يخفى على الخلق .. ولا يعلم إلا الله !.. »

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ، المطهرة عن شوائب الفتن .. »

« التي كتب الله لكم ، أي قدرها في حضرة علمه القديم لمقرم ومسكنكم .. إذ هي منازل الأنبياء .. ومقر الأولياء والأصفياء .. فعليكم أن تقبلوا اليها .. تاركين ديار العماقة والفراغة .. التي هي محل أنواع الجور والعناد .. وبجمع أصناف البغي والفساد .. »

« و ، عليكم أن .. »

« لا ترتدوا ، بعدما سمعتم الوحي .. »

« على أديباركم ، خوفاً من الجبابرة .. »

« قيل لما سمعوا أوصاف جبابرة الكنعان من نقباهم .. خافوا واستوحشوا وفرزعوا .. وقالوا : ليتنا نرد على أعقابنا .. تعالوا ننصب رأساً ينصرف بنا الى مصر .. إذ موتنا فيها خير من الحياة في موضع آخر .. وان ترتدوا وترجعوا .. »

« فتنقلبوا خاسرين ، خسرا عظيما .. لذلك صاروا بعد انقلابهم .. في الدنيا تائبين حائرين .. وفي الآخرة خاسرين خائبين .. وبعد ما سمعوا من موسى ما سمعوا .. »

« قالوا ، على صورة الاعتذار .. وإظهار المعجز وعدم الاقتدار .. وما هي إلا من عدم تثبتهم على الإيمان .. وعدم رسوخهم في مقتضياته .. وعدم وثوقهم

بنصر الله وإعانتته .. سيما بعد ما أمرهم بالنقل والترحال .. ووعدهم ما وعدهم
من النصر والظفر ..

« يا موسى ان فيها قوماً جبّارين ، لا يتأتى منا مقاومتهم ومقاتلتهم ..
» و « بالجملة ..

« إننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » بقتال أو غيره ..

« فإن يخرجوا منها ، على أي وجه ..

« فإننا داخلون » إذ لا طاقة ولا قدرة لنا معهم ..

« قال رجلان من الذين يخافون ، من قهر الله وغضبه .. سيما بعد ورود

أمره .. إذ هما من أهل الوثوق بنصر الله .. وإيجاز وعده .. إذ قد ..

« أنعم الله ، المنعم المفضل ..

« عليهما ، بالإيمان والإذعان .. وبإعطاء الحكمة والمعرفة ..

« ادخلوا عليهم الباب ، أي ضيقوا على عدوكم باب بلدهم .. وقربوهم الى

حيث يضطرون ويخافون من جسامتهم وضيق أمكنتهم ..

« فإذا دخلتموه ، على هذا الوجه ..

« فإنكم غالبون ، غائمون البتة ..

« وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، بما وعدتم ..

« قالوا ، مستهزئين مصرحين بما تكن صدورهم من الكفر .. وعدم الوثوق

والإخلاص .. ومناقضة العهود والمواثيق الإلهية ..

« يا موسى ، لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ..

« إننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها » وإن شئت ..

« فانهب أنت ، أيها الداعي ..

« وربك » الذي دعوتنا اليه .. وادعيت الإعانة والانتصار منه ..
« فقاتلا » مع العدو ..
« إنا ما هنا قاعدون » منتظرون إلى أن يظهر الأمر ..
« قال » موسى .. بعد ما سمع منهم ما سمع .. يؤوساً .. قنوطاً .. بائناً
الشكوى مع ربه ..
« رب إني لا أملك » ولا أثق لامتثال أمرك ..
« إلا نفسي وأخي قافرئق بيننا وبين القوم الفاسقين » الخارجين عن مقتضى
أمرك .. التاركين الامتثال به .. من عدم وثوقهم بإعانتك وتأييدك ..
« ثم لما سمع سبحانه من موسى ما سمع .. من بث الشكوى .. وكان حالهم
وصلاحهم معلومة عنده سبحانه ..
« قال » مهدداً إياهم ..
« فإنها » أي الأرض المقدسة ..
« محرمة عليهم » مدة ..
« أربعين سنة » خص هذا العدد .. لأنهم لما أعادوا نفوسهم بعدم امتثال
أمر الله .. والاستهزاء به وبرسوله .. إلى ما هم عليه قبل إيمانهم .. والإيمان
ما يكمل غالباً إلا بعد الأربعين . لذلك خص هذه المدة لمجازاتهم ومجاهداتهم
ليكمل الإيمان فيها .. وبعد ما ارتقدوا ..
« يتيمون في الأرض » تائبين حائرين .. مذنبين لا إلى مصر .. ولا إلى
الشام .. في تلك المدة وموسى سار معهم فيها .. ليرشدهم إلى أن يخرجهم من
الخيبة والضلال الصوري والمعنوي ..
« ثم لما رأى موسى اضطراب قومه .. وحزنهم وقلقهم واضطرابهم رحيمهم ..

وندم عما دعا عليهم .. فدعا لهم بمقتضى شفقة النبوة ومرحمتها .. لذلك رد الله سبحانه عليه بقوله ..

« فلا تأسَ ، أي لا تحزن أيها النبي الشاكي ..

« على القوم الفاسقين ، الخارجين عن مقتضى التصديق والإيمان .. التاركين سبيل اليقين والعرفان » .

هذا ما ذهب اليه أحد المفسرين ..

فماذا يستنبط من ذلك الأمر العظيم ١٢ .

ولماذا أربعين سنة بالذات ١٢ ؟

ولماذا حُكِّم عليهم أن يموتوا بالقفر .. ويفنوا في التيه ١٢ .

أربعون سنة .. أي جيل من الناس ..

أي المدة الكافية لفناء ذلك الجيل المتمرد .. من سن العشرين ..

هؤلاء يموتون بالقفر .. ويذهبوا الى حيث لا رجعة .. بظلماتهم والتواءاتهم .. ونجاساتهم ..

ثم ينشأ الجيل الجديد .. الذي تربى في حرية الصحراء .. وترعرع بين ربوع الحرية .. حيث لا فرعون ولا تعذيب ..

هذا الجيل الجديد .. هو الذي سيدخل الأرض المقدسة ..

أما هؤلاء .. فقد نطقوا بقَدْرِهِم « إنا .. لن ندخلها .. أبداً .. ما داموا فيها » ..

إذن . « ليكن لهم ما أرادوا .. « فأنها محرمة عليهم أربعين سنة » ..

« حتى ينقرضوا هؤلاء جميعاً .. وتطهر الأرض من شؤونهم وإجرامهم ! .. فاذهب أنت وربك فقاتلا ١٢ .

منتهى التمرد .. ومنتهى التحدي .. ومنتهى الإجرام ! ..
إنا .. ها هنا .. قاعدون !؟
بلطجة .. وتنبلة .. يريدون أن يعيشوا تنابلة .. يأكلون ويشربون ..
ويتلذذون .. وعلى موسى وربه القتال ! ..
لقد نطقوا بالسنتهم .. بالحكم عليهم ..
وعوقبوا بشؤم منطقتهم ..
لقد كشفوا حقيقة نفوسهم .. الخبيثة ! ..
وكان حادثاً عظيماً ..
وحكماً .. عدلاً ..
وهو أحكم الحاكمين ! ..
إلا أن الاستنباط الأعظم هو هذا ..
أن أي أمة .. أي شعب تريد أن تكشف عن حقيقة معدنه .. فادعنه
الى القتال ..
فإن لبى .. كان إيمانه صحيحاً ..
وإن أبى .. كان إيمانه زائفاً ..
وقد اختبرهم الله بهذا ..
« ادخلوا الأرض المقدسة ، قاتلوا من فيها .. وادخلوها ..
فأبوا .. فانكشفوا فوراً .. أنهم لا شيء ..
وقارن بين هؤلاء .. وبين أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم في
غزوة بدر .. حين قال قائل منهم ..
« والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (فاذهب أنت وربك

فقاتلا إنا ما هنا قاعدون) .. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون ، ا .

فسر .. صلى الله عليه وسلم .. ثم قال .. سيروا .. وأبشروا ..
ها هنا ثبت أن هؤلاء فرسان ..
وإن أولئك أهل لجل كلمة .. لا إله إلا الله ..
بيننا أصحاب موسى .. أثبتوا أنهم لا شيء ..
ومن هنا كانت فرضية القتال .. لأنه المختبر الذي يكشف حقائق النفوس ..
وكما كانت بدرأ .. هي بدء تمدد أمواج النور في الأرض ..
فكل نصر بعد ذلك للمسلمين .. كان امتداداً لتلك الشعاع الأولى ..
كان موقف أصحاب موسى .. ظلمة أصابتهم مدى أربعين عاماً ! ..
حتى هلكوا جميعاً .. وتساقطت جثثهم في القفر ..
وشبَّ جيل جديد .. ليس في تكوينه هذا الجُبن ..
فدخل من بعد ذلك .. الأرض المقدسة ! ..

قارون ... المجرم ... البليونير ...!٤

قال تعالى :

« والقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين .
« الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحرٌ كذابٌ » .
ابتلى موسى .. بثلاثة من أكابر مجرميها .. ليذكروا فيها ..
فرعون .. رأس الكفر ..
وهامان .. رأس الإجرام ..
وقارون .. رأس النفاق السياسي .. وإجرام الأغنياء ! ..
أما فرعون .. وهامان . فقد تم القضاء عليهما .. بإغراقهما مع من غرق ..
وتم النصر لموسى .. على الكفر والإجرام ! .
بقي إجرام الأغنياء .. ونفاقهم السياسي . إجرام قارون ! ..
وتبدأ قصته .. حين كان ضمن بني اسرائيل في مصر ..
نظر قارون بعبقريته الشيطانية .. فرأى قومه ما بين ذليل وأسير
ومُسخر .. فهم في ليل لا آخر له ..
فاتخذ لنفسه خطأ سياسياً يخالفهم ..
فأظهر الولاء لفرعون ونظامه .. وناصر قومه العداء ..
وكان موقفه هذا الذي يدل على خُبث ودهاء ..

أثره بأن أصبح بعيداً عن أوضاع بني اسرائيل الاضطهادية .. قريباً من السلطة .. مما مكنه من أن يكون رجلاً غنياً .. ذا مصالح عديدة .. و ثروات مديدة ..

والسلطة إذا وجدت رجلاً خائناً لأعدائها من بين أعدائها .. تلتفتها واستعملته في سياستها ضد أولئك الأعداء ..

لأنه ذو وجهين .. وجه الى السلطة .. ووجه إلى قومه .. فيمكن بذلك أن يلعب دوراً خطيراً في خدمة الدولة !..

وكان الرجل منافقاً عليمًا .. يلعب لعبته ذات الوجهين في براعة ..

فمصالحه مع الدولة ميسرة .. وفرص الثراء أمامه مفتوحة .. فهو موضع .. وما ثقة الدولة وفرعون ..

وأمره كرجل من بني اسرائيل ماضية .. فهو منهم ومطلع على أسرارهم يدور بينهم ..

وبحكم ما كان فيه قومه في مصر من استضعاف وسُخرة وذل .. فهم لا يستطيعون له تقويماً .. لأنه مقرب من الدولة وزبانيتهما ..

جمع الرجل نتيجة لهذه السياسة ثروة ضخمة وصفها القرآن :

« وآتيناه من الكدوز .

« ما ان مَفَاتِحِه لتنوء بالعصبة أولي القوة ،

مفاتيح الخزائن .. تثقل على العصبة من الرجال الأشداء أولي القوة .. أن يحداوها !..

فكيف بالخزائن نفسها وما فيها !؟ .

ثم كان ما كان بين موسى وفرعون ..

وأمر فرعون بطرد بني اسرائيل جميعاً ..

وشمل هذا الأمر قارون .. باعتباره منهم ..

ووجدها قارون بنظرته السياسية البعيدة .. وإحساسه ان المجد السياسي القادم سوف يكون لموسى وبني اسرائيل .. وليس لفرعون وقومه .. وأنه قد استنفد أغراضه من فرعون وجمع ثروته من التقرب اليه ..

أما وقد جاءت الفرصة .. ليهرب بتلك الأموال الضخمة .. ليتنعم بها بعيداً عن فرعون وقومه ..

فهرب قارون .. وحمل معه تلك الكنوز كلها .. وسار مع بني اسرائيل .. وكان ما كان من معجزة فلق البحر ..

وعبر قارون مع قومه الى خارج البحر .. ومعه كنوزه ..

ثم سار مع بني اسرائيل .. ومعه كنوزه التي لا يملك أحد منهم مثلها .. ولا يبلغ موسى .. ولا هارون منها شيئاً ..

فهم فقراء .. وهو أغنى الأغنياء ..

فلماذا لا ينتزع الزعامة منهم .. وهو أولى بالزعامة من هذين الفقيرين ؟!

إنها القصة الخالدة .. «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريرتين عظيم» ؟!

يريد الرجل .. أن يستعمل تلك الأموال الضخمة في تحقيق المجد السياسي .. ليجتمع له المجد من أطرافه !..

أما كون النبوة والرسالة .. تقوم على عناصر غير المال والجاه .. فهذا شيء لا يعنيه .. الموضوع عنده .. كما هو شأن الأغنياء .. لا يخرج عن كونها زعامة يمكن أن يصعد اليها بأمواله وكنوزه ..

وقد كان .. وبدأ ينظم الشعب والمعارضة ضد موسى !..

وفي هذا يقول أدل الكتاب :

« واخذ قورح .. ودathan وأبيرام .. وأون .. وياوودون موسى مع
أناس من بني اسرائيل مئتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع
ذوي اسم » .

لقد بدأت المؤامرة وتطلى رأسها .. البليونير قورح .. أي قارون ..
يقارمون موسى ١٢ .

المعارضة تنظم صفوفها .. وقارون ينفث سمومه ..
مئتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوي اسم ١٢ .
الإنسان هو الإنسان ..

٢٥٠ من الوجهاء في اجتماع .. ضد موسى وزعامته ! ..

ثم ماذا !؟

« فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفناكيا .
« ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب .
« فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب » .

لماذا تذهبان بالزعامة .. علينا جميعاً ١٢ .

انها العقدة الخالدة .. عقدة الزعامة والرياسة ! ..

« فلما سمع موسى استعط على وجهه .

« ثم كلم قورح وجمع قومه قائلاً غدا يعلن الرب آمن هو له ومَن المقدس
حتى يقربه اليه .

« فالذي يختاره يقربه اليه » .

التجأ موسى الى ربه .. ليفصل بينه وبين قارون وأتباعه ..
وحاول موسى أن يصلح من شأن الذين اشتركوا مع قارون ..
ولكنهم رفضوا !..

« فارسل موسى ليدعو داان وأبيرام .. »

« فقال لا نصعد . »

« أقليل انك اصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتتنا في البرية حتى
ترأس علينا أيضا ترؤسا . »

« كذلك لم تأت بنا الى أرض تفيض لبنا وعسلا ولا أعطيتنا نصيب
حقول وكروم . »

« هل تطلع أعين هؤلاء القوم . »

« لا نصعد ، » . »

هكذا .. انها يُحملان موسى ما آل اليه أمر هذا الشعب الممزق في
الصحراء .. نتيجة لسياسته الخرقاء .. وبعد هذا يريد أن يترأس عليهم ١٢ .
هذا تمرد خطير .. لا يفصل فيه إلا الله ..

« فاغتاظ موسى جدا وقال للرب لا تلتفت الى تقدمتها . »

« حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسات الى أحد منهم . »

« وقال موسى لقورح كن أنت وكل جماعتك أمام الرب أنت وهُم
وهارون غدا . »

« وخذوا كل واحد مجمرته واجعلوا فيها بخورا وقدهوا أمام الرب كل
واحد مجمرته . »

- « منتبين ونحسين معجرة .
« وانت وهارون كل واحد معجرته .
« فأخذوا كل واحد معجرتة وجعلوا فيها نارا ووضعوا عليها بخورا
ووقفوا لدى باب خيمة الاجتماع مع موسى وهارون .
« وجمع عليهما قورح كل الجماعة الى باب خيمة الاجتماع فترامى مجد
الرب لكل الجماعة .
« وكلم الرب موسى وهارون قائلا افترضا من بين هذه الجماعة فاني افنيهم
في لحظة .
« فخرأ على وجهيهما وقالا اللهم إله أرواح جميع البشر هل يخطيء
رجل واحد فتسخط على كل الجماعة .
« فكلم الرب موسى قائلا كلم الجماعة قائلا اطلعوا من حوالي مسكن
قورح وداثان وأبيرام .
« فقام موسى وذهب الى داثان وأبيرام وذهب وراءه شيوخ اسرائيل .
« فكلم الجماعة قائلا اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ولا تمسوا شينا
بما هم لننا تهلكوا بجميع خطاياهم .
« فطلعوا من حوالي مسكن قورح وداثان وأبيرام وخرج داثان وأبيرام
ووقفوا في باب خيمتهما مع نسائهما وبنيهما وأطفالهما .
« فقال موسى بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الاعمال
وأنها ليست من نفسي .
« ان مات هؤلاء كموت كل انسان وأصابتهم مصيبة كل انسان فليمن
الرب قد أرسلني .

« ولكن ان ابتدع الرب بدعة وفتحت الارض فاما وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا احياء الى الهاوية تعلمون ان هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب » .
ثم ماذا؟! . ثم المشهد الرهيب ..

« فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الارض التي تحتهم وفتحت الأرض فاما وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح مع كل الاموال .
« فنزلوا هم وكل ما كان لهم احياء الى الهاوية وانطبقت عليهم الارض فبادوا من بين الجماعة .

« وكل اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم .
« لأنهم قالوا لعل الارض تبتلعنا .

« وخرجت نار من عند الرب وأكلت المنتين والخمسين رجلا الدين قربوا البخور » ..

وهكذا تم القضاء على قارون .. وعلى الزعيمين الذين قادوا معه الفتنة ..
وعلى المنتين والخمسين الذين تجمعوا من حولهم ..

كل هذه التفاصيل .. وما وراءها مما يغيب عن عقول البشر .. أجملها وسجلها .. كتاب الله العظيم .. القرآن العظيم .. فقال :

« ان قارون كان من قوم موسى فبقي عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين .

- « قال انما اوتيته على علم عندي او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون .
- « فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم .
- « وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون .
- « فحسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين .
- « واصبح الذين تمنوا مكانه بالآس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لحسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون .
- « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ، .
- « فبغى عليهم ، تجاوز حده في التكبر والتجبر عليهم ..
- « وآتيناهم من الكنوز ، كنوز الأموال ..
- « ما ان مفتاحه ، جمع : مفتاح .. وهو الذي يُفتح به الأبواب ..
- « لتنوء ، لتثقل ..
- « بالعصبة ، الجماعة ما بين العشرة الى الأربعين ..
- « لا تفرح ، لا تبطر ولا تبغ ..
- « ان الله لا يحب الفرحين ، الأشرين البطرين ..
- « وابتغ فيما آتاك الله ، التمس بما أعطاك من المال ..

« الدار الآخرة » خيرات الآخرة بالعمل بطاعة الله - عز وجل -
« ولا تنس نصيبك من الدنيا » لا تترك حظك منها .. أن تأخذ فيها
بنصيبك من الآخرة ، فتعمل فيها بما ينجيك غداً .
« وأحسن كما أحسن الله اليك » أحسن في الإنفاق المالك لوجهه ، كما أحسن
الله اليك ، فوسّع عليك منه ..

« إنما أوتيته » يعني : الكنوز ..

« على علم عندي » علمه الله مني ، فرضي بذلك عني ، وفضلني به عليكم ،
لعلمه بفضلي عليكم ..

« ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون » يدخلون النار بغير حساب ..

« فخرج على قومه » خرج قارون على قومه ..

« في زينته » في ثيابٍ مُحرمة ..

« لذو حظ عظيم » لذو نصيب من الدنيا عظيم ..

« وقال الذين أوتوا العلم » بالله ..

« ولا يُلقنّها » لا يوفق لقليل هذه الكلمة ، وهي قوله (ثواب الله خير لمن

آمن وعَمِلَ صالحاً) ..

« إلا الصابرون » عن زينة الحياة الدنيا .. المجدين في طاعة الله

- عز وجل -

« فخشعنا به وبداره الأرض » به وبأهل داره .. ومن كان معه من جلسائه

ورؤى في خبر طويل اختصرناه: انه افتدى على موسى - صلى الله عليه وسلم -
فأخذه الله بعقوبة ذلك .

« فما كان له من فئة » مُجندي يرجع اليهم ..

« ينصرونه » يمنعونه من عذاب الله ..

« لولا أن مَنَّ الله علينا ، تفضل الله علينا ، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس ..

« ويكأنه » معناه : ألم تر أنه ؟ ..

« علووا في الأرض » تكبيرا عن الخلق ..

« ولا فساداً » ولا ظلماً للناس بغير الحق ، وعملاً بالمعاصي ..

« والعاقبة » والجنة . .

« للمتقين » الخائفين الله - عز وجل - .

هذا لون من التفسير المختصر عن الطبري ..

فماذا عند صاحب « لطائف الإشارات » ؟!

« ولا تنس نصيبك من الدنيا » ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها ..
إنما النصيب منها ما تكون فيه فائدة بحيث لا يُعقب ندماً ، ولا يوجب في
الآخرة عقوبة .

« ويقال النصيب من الدنيا .. ما يحمل على طاعته بالنفس .. وعلى معرفته
بالقلب .. وعلى ذكره باللسان .. وعلى مشاهدته بالسر ..

« وأحسن كما أحسن الله اليك » إنما كان يكون منه حسنة لو آمن بالله ..
لأن الكافر لا حسنة له .. والآية تدل على أن الله على الكافر نعماً دنيوية ..

« والإحسان الذي أمربه انفاق النعمة في وجوه الطاعة والخدمة ..
ومقابلته بالشكران لا بالكفران ..

« ويقال الإحسان رؤية الفضل .. دون توهم الاستحقاق ..

« قال إنما أوتيته على علم عندي » ..

« ما لاحظ أحدٌ نفسه إلا هلك بإعجابه .. »

« ويقال السمُّ القاتلُ ، والذي يطفىء السراج المضيء النظر إلى النفس بعين الإثبات .. وتوهّم أن منك شيئاً من النفي أو الإثبات .. »

« فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم ، تمنى مَنْ رآه ممن كان في حب الدنيا ساواه .. أن يعطيه الله مثل ما أعطاه .. »

« أما من كان صاحبياً عن خمار غفلته ، متيقظاً بنور بصيرته فكان دوقفهم :
« وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون » .. »

« وبعد أن كان ما كان ، وخسفنا به وبداره الأرض قال هؤلاء :

« لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون . »

« مَنْ الله علينا فلم ننحرف في نهجه .. ولم ننخرط في سلكه .. وإذا لوقع بنا الهلاك .. »

« أما المتمنّون مكانه فقد ندموا .. وأما الراضون بقسمته - سبحانه - فقد سلّموا .. سلّموا في العاجل الى أن تظهر سعادتهم في الآجل . »

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والمعاقبة للمتقين » .. »

« قيل « العلو في الدنيا » أن تتوهّم أن على البسيطة أحداً هو شرٌّ منك ..
« والفساد » أن تتحرك لحظ نفسك ونصيبك .. ولو بنفسٍ أو خطوة ..
وهذا للأكابر .. »

« فأما الأصاغر والعوام .. فتلك الدار الآخرة « نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض » كما فرعون . « ولا فساداً » كفساد قارون .. »

« ويقال الزهاد لا يريدون في الأرض علواً .. والعارفون لا يريدون في الآخرة والجنة علواً .. »

« ويقال « تلك الدار الآخرة » للعباد والزهاد .. وهذه الرحمة الحاضرة لأرباب الافتقار والانكسار . »

هذه لطائف .. صاحب « لطائف الإشارات » .. ثم ماذا؟! .

ثم نقول .. في مطلع هذا الفصل .. قلنا أن موسى ابتلى بثلاثة من أكابر مجرميها ليحكموا فيها .

فرعون .. وهامان .. وقارون ..

لأن كل «عتل» منهم يمثل إجراماً معيناً .. يتكرر في البشرية إلى يوم القيامة ..

فرعون .. اجرام السلطة العليا ..

هامان .. اجرام السلطة التنفيذية ..

قارون .. اجرام الرأسمالين أي الأغنياء ..

وكل منهم .. مجرم خطير ..

وهذا الثالوث .. هو الثالوث الذي يضاد دائماً .. كل صاحب دعوة

جديدة .. أو فكرة للإصلاح ..

فرعون .. أو صاحب العرش .. يفعل كل شيء .. المحافظ على عرشه ..

ولو اقتضى ذلك .. قتل النبي الذي يدعو .. فهو يقتله ولا يبالي ..

« ذروني أقتل موسى » ..

هامان .. أو صاحب السلطة التنفيذية .. على استعداد دائماً للبطش الجهنمي

الإجرامي .. خدمة لصاحب العرش .. « يا هامان ابن لي صرحاً » ..

قارون .. أو الرأسمالي .. أو الغني صاحب المصالح .. على استعداد دائم ..
لمحاربة أي نبي .. أو صاحب فكرة .. حفاظاً على مصالحه وثورته ! ..
« وما أرسلنا في قرية من نذير ..

« إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون » ! ..

« مترفوها » أي الرأسماليون .. أي « قارون » .. أي الأغنياء
وأصحاب المصالح ! ..

وهذا هو السر في ذكر ذلك الثالث بالذات .. من دون سائر أعداء
موسى .. وما أكثر أعداء موسى ..

لأن هؤلاء الثلاثة .. هم رؤوس زوايا الإجرام ! ..

« وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في
الارض وما كانوا سابقين » .

« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين .

« إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحرٌ كذابٌ » ! ..

انظر . الثلاثة اتفقوا على اتهام واحد .. ساحرٌ كذابٌ !؟

لأن العدو واحد .. الذي يتهددهم واحد .. والخطر عليهم واحد ..

إذا فليرشقوه بإتهم موحد ! ..

هذا من ناحية هذا الثالث ..

وأن على كل نبي أو رسول .. يأتي قومه بدين .. أب يستعد لأن يرشقه
هؤلاء الثلاثة رشقاً .. ويقاوموه ما استطاعوا المقاومة ..

صاحب العرش .. فرعون ..

السلطة التنفيذية .. هامان ..

الرأسماليون .. قارون ! ..
ثم نعود .. إلى هذا المسمى .. قارون ..
ما هي عقده .. التي جعل يتلوى على موسى من أجلها ؟ ! ..
عقده .. أنه أغنى بني اسرائيل ..
فهو أحق بالملك .. من موسى ! ..
إذا .. لتكن المؤامرات .. لإسقاط موسى ! ..
ومن بعده .. من بعد قارون بثبات السنين .. قيلت « أني يكون له الملك
علينا .. ونحن أحق بالملك منه .. ولم يؤت سعة من المال » ..
منطق الرأسماليين .. منطق المليونيرات .. فكيف وقارون من
البليونيرات ؟ ! ..
هو أحق بالملك من موسى ؟ ! ..
ان هذا المال .. مصيبة .. أكبر مصيبة .. يُبتلى بها انسان ! ..
انه خمر ضارية .. تذهب بالعقول ! ..
موسى .. في نظر المذكور .. مجرد مَلِك .. أما النبوة والرسالة .. وقسمة
الله لعباده .. فمسائل لا تعنيه ..
المهم .. موسى رئيس .. وهو يجب أن يكون رئيساً ..
ولعبت خمر الكنوز بعقل قارون .. فقام باستعراض القوة .. ليشعر الجميع
مَن هو .. وما هي امكانياته ؟ ! ..
« فخرج على قومه في زينته » استعراض الطاروس .. انظروا مَن أنا ؟ ! ..
وفعلاً .. حقق غرضه .. فالت اليه العميون .. وانخرقت نحوه نفوس
الأغلبية .. والأكثرية من الشعب دائماً .. لا يعقلون ! ..

« قال الذين يريدون الحياة الدنيا » والأغلبية من الشعوب هكذا دائماً ..
« يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون » انهم يحترقون .. ويتمنون أن يكونوا
في مثل أمواله وزينته ..
وهذه الموجة الجهنمية الحارقة .. ما زالت تتلظى من أفواه غالبية
الشعوب فتراهم يحترقون غيظاً .. من المليونيرات .. ومن مظاهر الأبهة
التي يعيشون ..
فهي موجة ممتدة في البشرية .. لا تنقطع إلا بانقطاع نوعية .. الذين يريدون
الحياة الدنيا .. وهذا مستحيل .. فمستحيل إذاً أن تنقطع ! ..
وسرعان ما فلسفوا مذهبهم .. وأطلقوا قواعد المذهب ! ..
« انه لندو حظ عظيم » .. هذا هو الحظ العظيم .. وهذه هي الحياة ..
قتل الفقر ما أقبحه ! ..
أما الأقلية .. ودائماً في كل شعب .. العقلاء هم الأقلية ..
العلماء هم الأقلية .. فأعلنوا مذهبهم .. « ويلكم .. ثواب الله .. خير ..
لمن آمن وعمل صالحاً ! ..
ولكن صوت هؤلاء .. يضيع دائماً .. وسط أصوات الغوغاء ..
فلا التفات من الأكثرية دائماً لمثل هذه المواظ ..
فتأوهوا .. أولئك .. الذين أوتوا العلم .. تأوهوا .. « ولا يلقاها
إلا الصابرون » ! ..
ومن قال لهؤلاء أن أحداً .. ممن يريد الدنيا .. يرغب في هذا الصبر !؟
قضية خالدة .. متكررة في الإنسان أبداً ..
نظرة الذين يريدون الدنيا للأمر .. فالمال هو المعيار لكل شيء ..
ونظرة الذين يريدون .. وجه الله .. « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ..

والصراع مستمر بينهما . الى يوم القيامة ..
لذلك .. أراد الله أن يفصل في القضية علانية .. أمام بني اسرائيل ..
كشعب .. كنموذج لكل شعب ..
لتكون .. مثلاً .. خالداً .. لجميع الشعوب .. وجميع الناس .. الى
يوم القيامة ..

ففصل في القضية .. وحكم فيها .. ونفذ الحكم فوراً ..
تصحيحاً للعقول .. رتبيناً للناس جميعاً .. وها هو الحكم :
« فخشفنا .. به .. وبداره .. الارض » ..

وكان منطوق الحكم :

« يُعدم .. قارون .. فوراً .. خسفاً ..
« وتعدم أمواله .. وكل ما يملك .. خسفاً » ..
وتجبلج قارون .. تحت الأرض .. فوراً ..
وهوت أمواله كلها معه ..
وانطبقت عليهم الأرض ..

كان لم يكن هناك شيء اسمه قارون .. ولا شيء اسمه أموال قارون ! ..
ومن قارون هذا .. وماذا تكون أمواله .. مهها بلغت ؟ ..
ان هناك قرناً .. أهلكت .. ملايين أبيدت . فمن يكون هذا القارون ؟ ..
تجد الإشارة .. الى مثل تلك المعاني في قوله سبحانه :

« او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة
واكثر جمعاً ؟ .. »

فمن تكون أنت يا أيها القارون ؟ ..

ذرة .. من القرون !؟
ولنديقنك مصداق ذلك .. ولنهلكنك .. لتكون عبرة لمن بعدك !..
ثم كشط الحجاب ..
وورى قارون وأمواله .. تحت الأرض ..
فما كشط الحجاب .. ظهرت الحقيقة .. وتم تصحيح التفكير ..
فنطق الأغبياء .. من ضحايا الافتتان بالأغنياء ..
« ويتكان .. الله .. يبسط الرزق لمن يشاء .. من عباده .. ويقدر » !؟
فهموا الآن ما لم يكونوا يفهمون ..
بسط الرزق .. وتضييقه .. لا علاقة له .. بحقيقة معدن الإنسان ..
فليس قارون .. خيراً منهم .. لأنه أغنى ..
وليسوا هم شرّاً منه .. لأنهم أفقر ..
كلا .. انها قسمة .. لها حكمة .. عند الله ..
وهكذا آتت التجربة ثمارها ..
وأينعت أزهارها ..
بقي أن نقول : لماذا كان عنوان هذا الفصل « قارون .. المجرم
البليونير » !؟ الجواب ...
تجد الإشارة الى اجرام .. قارون .. في قوله تعالى .. في سياق الرد على
منطق قارون :
« ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون » !.

لقاء ... موسى ... والخضر؟! ...

في رأيي ...

ان هذا اللقاء .. يعتبر من أعلى .. وأغلى .. اللقاءات الخالدة في تاريخ البشر ..

لأنه لقاء القمة .. بين قطب الشريعة .. وقطب الحقيقة ..

بين عملاق الشريعة في عصره .. وعملاق الحقيقة في عصره ..

بين نبي رسول .. ونبي غير رسول ..

فهو أخطر لقاء .. وأعظم حوار ..

سجله كتاب الله العظيم ..

وسجله رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

واستنبط منه العارفون .. واستخرج منه العلماء .. ودندن من حوله أهل

الإشارة .. وأهل العبارة ..

وما زال الحديث عنه بكراً .. لما فيه من رموز وإشارات ..

لا يلقاها إلا العالمون !..

أخرج البخاري .. في صحيحه .. أصح الصحاح :

« حدثنا أبي بن كعب .

« عن النبي صلى الله عليه وسلم .

- « أن موسى قام خطيباً في بني اسرائيل .
« فسئل . ايُّ الناس أعلم ؟
« فقال : أنا .
« فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه .
« فقال له : بلى لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلم منك .
« قال : اي رب ومن لي به ؟
« وربما قال سفيان : اي رب وكيف لي به ؟
« قال : تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل حيثما فقدت الحوت فهو تم .
« وربما قال : فهي تممة .
« وأخذ حوتاً فجعله في مكمل .
« ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون .
« حتى أتيا الصخرة وضعا رؤسهما .
« فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر .
« فاتخذ سبيله في البحر سرباً .
« فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق .
« فقال : هكذا مثل الطاق .
« فانطلقا يمسيان بقية ليلتها ويومها .
« حتى اذا كان من الغد قال لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً .

- د ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث امره الله .
- د قال له فتاه : ارأيت إذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه إلا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا .
- د فكان للحوت سربا ولها عجبا .
- د قال له موسى : ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا .
- د رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة .
- د فاذا رجل مسجى بشوب .
- د فسلم موسى فرد عليه .
- د فقال : واني بأرضك السلام ؟!
- د قال : أنا موسى .
- د قال : موسى بني اسرائيل ؟!
- د قال : نعم أتيتك لعلمي بما علمت رشداً .
- د قال : يا موسى اني علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه .
- د وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه .
- قال : هل أتبعك ؟
- قال : انك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً؟! الى قوله إمرأ .
- د فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كملوهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نواك .

- « فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة او نقرتين .
- « قال له الخضر : يا موسى ما نقص عامي وعامك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر .
- « إذ أخذ العاص فنزع لوحا .
- « قال : فلم يفنجا موسى إلا وقد قلع لوحا بالقدم .
- « فقال له موسى : ما صنعت ؟ قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتفرق اهلها ؟ لقد جئت شيئا امرا .
- « قال : ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ؟ .
- « قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا .
- « فكانت الأولى من موسى نسيانا .
- « فلما خرجا من البحر مرؤوا بغلام يابب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا .
- « واوما سفينان بأطراف اصابه كأنه يتطاف شيئا .
- « فقال له موسى : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ؟ .
- « قال : ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ؟ .
- « قال : ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا .
- « فانطلقا حتى اذا أتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيئوهما فوجدوا فيها جدارا يريد ان ينقض مانلا .
- « اوما بيده هكذا .

« وأشار سفيان كأنه يسمح شيئاً الى فوق .

« فلم اسمع سفيان يذكر ما نلدا إلا مرة .

« قال : قومٌ آتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيّفونا عمدت الى حائطهم لو شئت
لا اتخذت عليه اجراً ؟ »

« قال : هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً .
« قال النبي صلى الله عليه وسلم : وددنا ان موسى كان صبر فقص الله
علينا من خبرهما .

« قال سفيان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لو كان
صبر يُقص علينا من أمرهما . »

« ومَن لي به » أي ومن يتكفل لي برؤيته ؟

« فهو ثمّ » يشار به الى المكان البعيد .. أي فهو هناك ..

« مُسجتي » مغطى .

« وأنسى » أي من أين سلام في هذه الأرض التي أنت فيها إذ أهلها لا
يعرفون السلام ..

« بغير نول » بغير أجرة ..

هذا .. وننتقل الآن الى ما ورد في كتاب الله العظيم .. عن هذا
اللقاء الكريم ..

« وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ .

« بجمع البحرين أو أمضي حطباً .

- « فلما بلغا مجمعَ بينهما نسيها حوتها فاتخذ سبيله في البحر سرياً .
« فلما جاوزا قال لفتاه آتينا غداً لنا لقد لعينا من سفرنا هذا نصبا .
« قال أرعيت إذ أويئنا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان ان أذكرك واتخذ سبيله في البحر عجباً .
« قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً .
« فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعليناه من لدنا علماً .
« قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلمنِ بما عَلَّمْتِ رشداً .
« قال إنك لن تستطيع معي صبراً .
« وكيف تصبر على ما لم تحط به خبيراً .
« قال مستجدي ان شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً .
« قال فان اتبعتنى فلا تسئلني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً .
« فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ .
« قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً .
« قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عمراً .
« فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً .
« قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً .
« قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً .

« فانطلقتما حتى اذا اتيا أهل قرية استطعما اهلها فابوا أن يضيفوهما فوجدنا فيها جداراً يريد ان ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجراً .

« قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً .

« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا .

« وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفر .

« فأردنا ان يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً .

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً » .

جمال .. ليس كمثل جمال !..

جلال ليس كمثل جلال !..

كيف .. وهو كلام .. ذي الجلال والجمال !؟

موسى .. وما أدراك ما موسى !؟

والخضر .. وما أدراك ما الخضر !؟

أي العظمين أعلم !؟

ولكن السؤال خطأ فادح ..

لأن الخضر .. حدد القضية :

« يا موسى .. اني على علم .. من علم الله .. علمنيه الله .. لا تعلمه » .!؟

« وانت على علم .. من علم الله .. علمكه الله .. لا أعلمه » .!؟

جمال عجيب .. ان هؤلاء العظماء .. نطقهم جميل .. وحديثهم جليل ! ..
ليست المسألة .. مَنْ أعلم ..
ولكن المسألة .. كما حددها الخضر .. عليه السلام ! ..
هذا على علم .. لا يعلمه ذلك ..
وذاك على علم .. لا يعلمه هذا ! ..
موسى ١٢ . صاحب مقام « وكلم الله موسى تكليماً » .. والذي اصطفاه الله
على الناس برسالاته وبكلامه .. والذي اصطنعه لنفسه ..
موسى ١٢ . النبي الرسول .. أحد أولي العزم من الرسل ..
« يُرَقِّى .. وَيُرَبِّى .. على يدي « عبداً من عبادنا .. آتيناها رحمة من
عندنا وعلمناه من لدنا علماً » ! ..
فما هذا الأمر ١٢ ؟
الأمر .. أن موسى سُئِلَ : أيُّ الناس أعلم ؟ ..
« فقال : أنا ! ..
« فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه .
« فقال له : بلى .. لي عبداً .. بمجمع البحرين .. هو أعلم منك » ! ..
وكانت الأقصوصة الخالدة .. رُقيّاً لموسى ..
وتعلماً للخلق أجمعين ..
كل الناس تسأل : ما سر القدر ١٢ ؟
ما هو التفسير .. لما يجري في الكون من حوادث ووقائع لا نستطيع
لها تفسيراً ١٢ ؟
ولا جواب .. وستظل البشرية تسأل .. ولن تسمع جواباً ! ..

لماذا .. لماذا .. وما السر ؟!

فأراد الله أن يرحم عباده .. فقص عليهم .. من أمر موسى والخضر ..
ليتعلموا أن لكل شيء يقع في الكون حكمة .. يعلمها الله .. فينبغي التسليم
لله .. واليقين بأنه أحكم الحاكمين ..!

وموسى هنا .. في تلك الوقائع الثلاث .. يُمثل كل الناس .. وموقفهم
من القدر ..

والخضر .. هنا .. يمثل الرد الصحيح على أسئلة كل الناس ..

روعة .. وعظمة .. ينبغي علينا جميعاً أن نتعلمد عليها ..

لم يستطع موسى .. أن يصبر على رجل .. يخرق سفينة قوم حملوها
مجاناً ليفرقها ..

فكان الجواب : « اما السفينة .. فكانت لمساكين يعملون في البحر ..
فأردت ان اعيبها .. وكان وراءهم ملك .. يأخذ كل سفينة غصبا » ..!

هذا هو الجواب .. خرق السفينة يحمل هذا الملك يُعرض عن مصادرتها ..
فتبقى للمساكين يرتزقون منها ..!

هذا هو سر القدر ..

ظاهر الفعلة .. أنها فعلة قبيحة .. ولكن سرها أنها رحمة للمساكين
قيماً بعد ..!

وكأن من واقعة تصدم أهلها في حين وقوعها .. ولو قد اطلعوا على سرها ..
لسلموا تسلياً ..

ونفذ صبر موسى .. في الواقعة الثانية .. وكاد يبطش بالخضر ..!

طفل بريء جميل .. يقتله الخضر .. أبشع قتلة .. يقتلع رأسه
فجأة .. هكذا ؟!

ما هذا؟! هذا شيء فوق احتمال العقول! ..
فكان الجواب: « وأما الغلام .. فكان أبواه مؤمنين .. فخشينا أن
يرهبها طفيانا وكفرا ..

« فأردنا أن يبدلها ربها .. خيرا منه زكاة .. وأقرب رحما »! ..

صحيح أن قتل طفل قبيح أشد القبح عقلا ..
ولكن السر .. أن هذا الطفل .. كان سيكون مجرماً وكافراً وفاجراً ..
فتم القضاء عليه .. رحمة بأبويه .. وتم استبداله بطفل آخر فيما بعد .. مؤمناً
باراً بالديه! ..

ولكن هذا يغيب عن العقول .. ويستلزم الاطلاع على الغيب الذي
سوف يكون! ..

الواقعة الثالثة .. أهل قرية لثامُ بخلاء .. رفضوا إيواء موسى والخضر ..
أو تقديم أي طعام اليهما ..
ثم ما هو الخضر يشغل نفسه بإصلاح جدار قديم وإعادة بنائه .. كأن لم
يحدث منهم اساءة اليهما! ..

ونفذ صبر موسى! ..

فكان الجواب:

« وأما الجدار .. فكان لغلامين يتيمين في المدينة .. وكان تحته كنزهما ..
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما .. ويستخرجا كنزهما »! ..

هذه نماذج ثلاث .. ليتعلم الناس جميعاً من خلالها .. سر القدر ..
وحكمة القدر! ..

ولو قد صبر موسى .. لسمعنا عشرات النماذج في هذا السبيل ..

ولكن في هؤلاء الثلاث .. كفاية .. لمن أراد الدراية ..
موسى .. هنا يمثل الشريعة ..
والشريعة تنظم لعلاقات الناس بربهم .. وبعضهم البعض ..
والخضر .. هنا يمثل الحقيقة ..
والحقيقة .. هي التخطيط العام .. الذي ينتظم جميع الخلق ..
ولا تناقض بين الشريعة .. والحقيقة ..
وإنما هما بحران يلتقيان ..
تجد الإشارة الى ذلك .. في قوله تعالى « لا ابرح حتى ابلغ مجمع
البحرين » ..
بحر الشريعة .. وبحر الحقيقة ..
ومن عمل ببحر الشريعة .. دخل بحر الحقيقة .. حيث ينكشف له سر
الشريعة الذي كان يغيب عنه من قبل ؟ ..
ثم ماذا ؟! ثم انظر الى تلك الإشارة الجبارة .. الهدارة .. التي افتتح بها
الخضر الرحلة المقدسة :
« جاء عصفور .. فوق على حرف السفينة .. فنقر في البحر نقرة ..
أو نقرتين » ..
نقرة .. اشارة الى علم موسى ..
ونقرة .. اشارة الى علم الخضر ..
والتقطها قطب الحقيقة .. وهؤلاء لهم في كل أمر يقع إشارة ! ..
« يا موسى .. ما نقص علمي وعلمك من علم الله .. إلا مثل ما نقص
هذا العصفور بمنقاره من البحر » ..

وكان هذا هو الدرس الأول الذي يُلقى الى موسى ..
أي .. عامك يا موسى .. وعلمي الذي جئت تطلبه .. لا شيء ! ..
ثم ماذا ؟ ! .. ثم اشعاعات تلك الواقعة .. لا نهاية لها ! ..
لإنها يحرم مديد .. يعرف منه العارفون .. كل حين .. بإذن ربهم ..
وإنما أثبتناها .. ها هنا .. لأنها جزء ثمين .. من حياة موسى .. على نبينا ..
وعليه .. الصلاة والسلام ! ..

الوصايا ... العشر!؟ ...

(٢٨ م - حياة موسى)

٤٣٣

قال تعالى :

« قال تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم وايهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

« ولا تمربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكاف نفسا الا وسمها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبمهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون .

« وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

« ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون » .

قيل : هذه هي الوصايا العشر .. لقوله « ذلكم وصاكم به » ثلاث مرات ..

١ - ألا تشركوا به شيئا .

٢ - وبالوالدين إحسانا ..

٣ - ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم .

٤ - ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

- ٥ - ولا تقتاتوا النفس التي حرم الله إلا بالحق .
- ٦ - ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده .
- ٧ - وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكاف نفساً إلا وسعها .
- ٨ - وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرى .
- ٩ - وبعهد الله أوفوا .
- ١٠ - وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ..

هذه وصايا عشر .. وردت في القرآن العظيم ..

فهل هي التي 'كُتبت في الألواح التي جاء بها موسى .. الى بني اسرائيل ..
وكتبتها له الله ؟

« وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ١٢ .

ماذا أولاً .. عند أهل الكتاب .. قبل الإجابة على السؤال ؟

« في اليوم الذي وقفت فيه امام الرب إلهك في حوريب حين قال لي الرب اجمع لي الشعب فأسمعهم كلامي لكي يتعلموا ان يخافوني كل الأيام التي هم فيها احياء على الأرض ويعلموا اولادهم .

« فتقدمتم ووقفتم في اسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار الى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب .

« فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً .

« وأخبركم بعهد الذي أمركم ان تعلموا به الكلمات العشر وكتبه على
لوحي حجر » .

وعن هذه الكلمات العشر قالوا :

« لا يكن لك آلهة اخرى امامي .

« لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما . . .

« لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . .

« احفظ يوم السبت لتتقدس كما اوصاك الرب إلهك .

« ستة ايام تشتغل وتعمل جميع اعمالك .

« واما اليوم السابع فسببت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما انت وإبنك

وابنتك وعبيدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزريك الذين في

ابوابك لكي يستريح عبيدك وأمتك مثلك . .

« اكرم اباك وأمك كما اوصاك الرب إلهك .

« لا تقتل .

« ولا تزن .

« ولا تسرق .

« ولا تشهد على قريبك شهادة زور .

« ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله .

« هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار

والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يزد .

« وكتبها على لوحي من حجر واعطاني إياها ، .

والآن هل الوصايا التي ذكرت في القرآن العظيم . . من قوله « قل تعالوا

أتلُ ما حرم ربكم عليكم .. الى قوله « ذاكم وصاكم به املككم تتقون » ..
هي الوصايا العشر التي كتبت في الألواح وجاء بها موسى الى بني اسرائيل ؟
الحق .. أن الوصايا التي ذكرت بالقرآن العظيم .. هي وصايا مطلقة .. وإن
كانت تتلاقى مع بعض الوصايا العشر التي كتبت في الألواح ..
وصايا الألواح .. كانت تمهداً .. للتوراة .. التي فصلت لبني اسرائيل
كل شيء ..

أما الوصايا التي وردت في كتاب الله العظيم .. فهي وصايا مطلقة للجميع ..
وإن اشتملت على كثير مما ورد في الألواح ..

فالقول بأن وصايا القرآن العظيم .. الواردة بآخر سورة الأنعام .. هي
الوصايا العشر التي كتبت في الألواح لموسى .. قول يبعد كثيراً عن الحقيقة ..
وإنما الحق ان يقال .. أن وصايا الألواح شيء .. ووصايا سورة الأنعام
شيء عام .. وإن اشتملت على كثير مما في وصايا الألواح ..
والله أعلم ! ..

إنا ... أنزلنا ... التوراة ...!

قال تعالى :

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .

« وقفيننا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين .

« وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون .

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في

ما أتاكم فاستبعوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون .

هذا شيء عجيب ..

هل هو إعجاز .. أم هو اعجاز الإعجاز ؟!

كيف يمكن أن يُجمع هذا كله في سطور ؟!

الكتب السماوية .. التي أنزلت من عند الله .. التوراة .. الإنجيل ..
القرآن .. تُستعرض كلها .. ومدى ترابطها بعضها ببعض .. وأنها كلها من إله
واحد .. يكلل بعضها بعضا .. وآخر كتاب منها القرآن .. مهيمنا على
ما سبقه من الكتب .. ومصدقا لها .. كل ذلك .. بل وما وراء ذلك .. في
سطور معدودة .. وإيجاز في اعجاز ..!

هل هذا يُستطاع لأحد ؟!

كلا .. وإنما هو كلام الله !..

التوراة .. التي أنزلت على موسى ..

أول كتاب شامل جامع .. أنزله الله إلى الناس ..

التوراة .. المرجع المقدس لأهل الكتاب من اليهود .. والنصارى .. إلى

يومنا هذا .. في التشريع السماوي ..

لأن المسيح .. عليه السلام .. لم ينقضها .. وإنما أكملها ..

كيف أذاعها موسى .. عليه السلام .. وكيف سلمها إلى بني إسرائيل ؟!

قال أهل الكتاب :

« ودعا موسى جميع اسرائيل وقال لهم :

« انتم شاهدتم ما فعل الرب امام اعينكم في ارض مصر بفرعون وبجميع عباده وبكل ارضه .

« التجارب العظيمة التي ابصرتها عيناك وتلك الآيات والمعجائب العظيمة .

« ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا واعيناً لتبصروا واذاناً لتسمعوا الى هذا اليوم .

« فقد سرت بكم اربعين سنة في البرية لم تبذل ثيابكم عليكم ونعلك لم تبذل على رجلك .

« لم تأكلوا خبزاً ولم تشربوا خيراً ولا مسكراً لكي تعلموا اني انا الرب الهكم » ..

« فاحفظوا كلمات هذا العهد واعملوا بها لكي تفاجحوا في كل ما تفعلون .

« انتم واقفون اليوم جميعكم امام الرب الهكم رؤساؤكم اسباطكم شيوخكم وعرفاؤكم وكل رجال اسرائيل .

« واطفالكم ونساؤكم وغريبكم الذي في وسط محلتكم بمن يحتطب حطبكم الى من يستقي ماءكم .

« لكي تدخل في عهد الرب الهك وقسمه الذي يقطعه الرب الهك معك اليوم » ..

« فذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع اسرائيل .

« وقال لهم :

« انا اليوم ابن مئة وعشرين سنة .

« لا أستطيع الخروج والدخول بعد والرب قد قال لي لا تعبر هذا الأردن » ..

« فدعا موسى يشوع وقال له أمام أعين جميع اسرائيل :

« تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقدم الرب لأبائهم ان يعطيهم اياها وانت تقسمها لهم » ..

« وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ اسرائيل .

« وأمرهم موسى قائلاً في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة الابرء في عيد المظال حينما يجيء جميع اسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل اسرائيل في مسامعهم .

« اجمع الشعب الرجال والنساء والاطفال والغريب الذي في ابوابك لكي يسمعوأ ويتعلموا ان يتقوا الرب إلهك ويحرصوا ان يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » .

« فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب الى تمامها .

« أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم .

« لأنني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة .

« هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكلم بالحري بعد موتي » ..

« فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب هو
ويشوع بن نون .

« ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع اسرائيل بكل هذه الكلمات قال
لهم وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات التي انا اشهد عليكم بها اليوم لكي
توصوا بها اولادكم ليحرصوا ان يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة .

« لأنها ليست أمراً باطلا عليكم بل هي حياتكم » .

هذه مقتطفات سريعة .. مما عند أهل الكتاب .. عن كيفية إذاعة موسى
التوراة على بني اسرائيل .. وكيف أوصاهم بالعمل بما فيها لأنها حياتهم ..

أما التوراة نفسها .. وما جاء بها .. فيمكن لمن شاء التفصيل أن يرجع الى
مراجع أهل الكتاب ..

موت ... هارون ... ثم موسى!؟ ...

قال أهل الكتاب :

« فصعد هارون الكاهن الى جبل هورٍ حسب كلام الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الاول من الشهر .

« وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور .
هذا عن موت هارون .. عليه السلام ..

فماذا عندهم .. عن موت موسى .. عليه السلام ؟
« وكلم الرب موسى .. قائلا :

« اصعد الى جبل عباريم هذا جبل نبؤ الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان ..

« ومئت في الجبل الذي تصعد اليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه .

« فانك تنظر الارض من قبالتها ولكنك لا تدخل الى هناك ..

« وصعد موسى من عربات موآت الى جبل نبؤ الى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الارض ..

« وقال له الرب هذه هي الارض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها .

- « قد أريتكم اياما بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر .
- « فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب .
- « ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم .
- « وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته .
- « ويشوع بن نون كان قد امتلأ بروح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو اسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى .
- « ولم يتم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والمعجائب التي أرسله الرب ليعلمها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه .
- « وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى ..
- « ومات موسى .. صلى الله عليه وسلم ..
- « على رميئة حجر من الأرض المقدسة ..
- « واختلف أهل السير في موضع قبره .
- « والأصح انه بالتية .. قدر رميئة حجر .. في الأرض المقدسة .. ! ..

موسى ... في ... السماء السادسة! ...

لئن كانت حياة موسى

سلسلة متواصلة من المعجزات الخوارق .. من مولده .. حتى مماته ..
فإن المرء ليدعش .. ان يجد معجزة واحدة .. من الله بها .. على رسوله ..
محمد .. صلى الله عليه وسلم .. تفوق جميع المعجزات التي أوتيتها موسى .. صلى
الله عليه وسلم ..

وأعني بتلك المعجزة .. معجزة الإسراء .. والمعراج ..
تلك التي طوي الكون كله .. بزمانه ومكانه .. لمحمد فيها .. فرآه من
أوله الى آخره .. ثم كان قاب قوسين أو أدنى .. من ربه تبارك وتعالى ..
« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .
وبعدها مباشرة يقول :

« وآتيننا موسى الكتاب » ..

إشارة عجيبة .. كأنه يراد أن يقال .. بهر كم موسى .. بمعجزاته المتتابعة ..
فانظروا الى تلك المعجزة الكبرى .. معجزة الإسراء والمعراج .. كيف طوّت
جميع معجزات موسى طيا .. كما التقمت عصا موسى كل ما ألقاه السحرة ..

كيف كانت تلك المعجزة .. وماذا حدث فيها ؟ ..

أخرج البخاري في صحيحه :

- « قال النبي صلى الله عليه وسلم :
- « بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان .
- « وذكر يعني رجلاً بين الرجلين .
- « فأُتيتُ بطستٍ من ذهبٍ مملوءةٍ حكمةً وإيماناً .
- « فشق من النحر إلى مرق البطن .
- « ثم غسل البطن بماء زمزم .
- « ثم ملىء حكمةً وإيماناً .
- « وأُتيتُ بدابةٍ أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق .
- « فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا .
- « قيل : من هذا ؟
- « قال : جبريل .
- « قيل : ومن معك ؟
- « قيل : محمدٌ .
- « قيل : وقد أرسل اليه ؟
- « قال : نعم .
- « قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .
- « فأتيت على آدم فسلمت عليه .
- « فقال : مرحباً بك من ابن ونبى .
- « فأتينا السماء الثانية .
- « قيل : من هذا ؟

« قال : جبريل .

« قيل : من معك ؟

قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

« قيل : أرسل اليه ؟

« قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فأتيت على عيسى ويحيى .

« فقالا : مرحباً بك من أخ ونبى .

« فأتينا السماء الثالثة .

« قيل : من هذا ؟

« قيل : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قال : محمد .

« قيل : وقد أرسل اليه ؟

« قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فأتيت يوسف فصلت عليه .

« قال : مرحباً بك من أخ ونبى .

« فأتينا السماء الرابعة .

« قيل : من هذا ؟

- « قيل : جبريل .
- « قيل : من معك ؟
- « قيل : محمد صلى الله عليه وسلم .
- « قيل : وقد أرسل اليه ؟
- « قال : نعم .
- « قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .
- « فأتينا على ادريس فسلمت عليه .
- « فقال : مرحباً بك من أخ ونبي .
- « فأتينا الماء الخامسة .
- « قيل : من هذا ؟
- « قيل : جبريل .
- « قيل : ومن معك ؟
- « قيل : محمد صلى الله عليه وسلم .
- « قيل : وقد أرسل اليه ؟
- « قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .
- « قال : نعم .
- « فأتينا على هارون فسلمت عليه .
- « فقال : مرحباً بك من أخ ونبي .
- « فأتينا على الماء السادسة .
- « قيل : من هذا ؟

د قيل : جبريل .

د قيل : من معك ؟

د قيل : محمد صلى الله عليه وسلم .

د قيل : وقد أرسل اليه ؟

د مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

د فاتيت على موسى فسلمت عليه .

د فقال : مرحبا بك من أخ ونبي .

د فلما جاوزت بكى .

د فقيل : ما أبكاك ؟

د قال : يارب هذا القلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل بما يدخل من أمتي ؟

د فاتينا الماء السابعة .

د قيل : من هذا ؟

د قال : جبريل .

د قيل : من معك ؟

د قيل : محمد .

د قيل : وقد أرسل اليه ؟

د مرحبا به ونعم المجيء جاء .

د فاتيت على ابراهيم فسلمت عليه .

- فقال : مرحبا بك من ابن ونبي .
- فرُفِعَ لي البيت الممور .
- فسالت جبريل .

• فقال : هذا البيت الممور يصلّي فيه كل يوم سبعون ألف مَلَك إذا خرجوا لم يهودوا اليه آخرَ ما عليهم .

• ورُفِعَت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها كأنه قعدل هجر وورقها كأنه آذان الفيُول في أصلها أربعة أنهار نهران باطنا ونهران ظاهرا .

• فقال : أما الباطنان ففي الجنة .

• وأما الظاهران النيل والفرات .

• ثم فرضت عليّ خمسون صلاة .

• فاقبلت حتى جنت موسى .

• فقال : ما صنعت ؟

• قلت : فرضت عليّ خمسون صلاة .

• قال : أنا أعلم بالناس منك ، عاجلت بني اسرائيل أشد المعالجة ، وإن

• امتك لا تطيق ، فارجع الى ربك فسله .

• فرجعت ، فسألته .

• فجعلها أربعين .

• ثم مثله .

• ثم ثلاثين .

• ثم مثله .

• فجعل عشرين .

• ثم مثله .

• فجعل عشراً .

• فأتيت موسى .

• فقال : مثله .

• فجعل خمساً .

• فأتيت موسى .

• فقال : ما صنعت ؟

• قلت : جعلها خمساً .

• فقال : مثله .

• قلت : سلت بخير .

• فنوديَ : اني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي

الحسنة عشراً .

قالوا :

• الصحيح انه أسري بالجسد والروح في القصة كلها .. وعليه يدل قوله تعالى (سبحانه الذي أسرى بعبده) إذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل إلا عند الاستحالة ..

• ما ذكر من شق الصدر .. واستخراج القاب .. وما يجري مجراه .. فإن السبيل في ذلك التسليم .. دون التعرض بصرفه الى وجهه يتقوله متكلف .. ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول ..

« البراق : اسم للدابة التي ركبها صلى الله عليه وسلم تلك الليلة .. وقالوا اشتقاقه من البرق .. لسرعته .. وقيل سمي به لشدة صفائه وتلاؤ لونه .. وقالوا البراق دابة أبيض وفي فخذه جناحان يحفز بها رجله .. يضع حافره في منتهى طرفه ..

« ذكر أهل السير والمفسرون انه لما ركب البراق أتى الى بيت المقدس ومعه جبريل عليه الصلاة والسلام .. ولما فرغ أمره فيه .. نُصب له المعراج وهو السلم .. وصعد فيه الى السماء .. ولم يكن الصعود على البراق كما يتوهمه بعض الناس .. بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس حتى يرجع عليه الى مكة ..

« (وقد أرسل اليه ؟) أي أُطِيبَ وأُرْسِلَ اليه .. وفي رواية أخرى .. وقد بُعث اليه للإسراء وصعود السموات .. وقيل كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه .. أو للاستبشار بعروجه .. إذ كان من البين عندهم ان أحداً من البشر لا يترقى الى أسباب السموات من غير أن يأذن الله له .. ويأمر ملائكته بإصعاده .. وان جبريل عليه الصلاة والسلام لا يصعد بمن لم يرسل اليه .. ولا يفتح له أبواب السماء ..

« (مرحباً به) أي بمحمد .. ومعناه لقي رحباً وسعة .. وقيل معناه .. رحب الله به مرحباً .. فجعل مرحباً موضع الترحيب ..

« (ولنعم المجيء جاء) أي جاء فلنعم المجيء مجيئه ..

« (فأتيت على آدم فسلمت عليه) .. وأمر بالتسليم عليهم .. أي على الأنبياء الذين لقيهم في السموات .. وعلى خزان السموات وحراسها .. لأنه كان عابراً عليهم ..

« (فلما جاوزتُ بكى) قالوا : كان بكأوه صلى الله عليه وسلم .. لأجل

الرفقة لقومه .. والشفقة عليهم .. حيث لم ينتفعوا بمتابعتهم انتفاع هذه الأمة
بمتابعة نبيهم .. ولم يبلغ سوادهم مبلغ سوادهم ..

« (يارب هذا الغلام) لم يرد موسى عليه السلام بذلك استقصار شأنه ..
فإن الغلام قد يُطلق ويُراد به القويّ الطريّ الشاب .. والمراد منه استقصار
مدته .. مع استكثار فضائله .. وأتمته أتم سواد من أتمته ..

« وقال الخطابي : قوله (الغلام) ليس على معنى الأثرء والاستصغار
لشأنه .. إنما هو على تعظيم منته الله عليه .. مما أناله من النعمة .. وأتحفه من
الكرائم .. من غير طول عمر أفناه مجتهداً في طاعته ..

« (فرُفِع لي البيت المعمور) أي كُشِف لي .. وقُرِب مني .. كأنه
أراد أن البيت المعمور ظهر له كل الظهور .. وكذلك سدره المنتهى .. استبينت
له كل الاستبانة .. حتى اطلع عليها كل الاطلاع ..

« (آخر ما عليهم) ذلك آخر ما عليهم من دخوله ..

« (ورُفِعَت لي سدره المنتهى) سميت بها .. لأن علم الملائكة ينتهي اليها ..
ولم يجاوزها أحد .. إلا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« (نهران باطنان) قيل : هما السلسبيل والكوثر ..

« (نهران ظاهران) النيل والفرات .. قيل : يخرجان من أصلها .. ثم
يسيران حيث أراد الله تعالى .. ثم يخرجان من الأرض ويمجريان فيها ..

« (عانجتُ بني اسرايل) أي مارستهم .. ولقيت منهم الشدة .. فيما
أردت منهم من الطاعة ..

« (فارجم الى ربك) أي الى الموضع الذي ناجيت ربك فيه ..

« (فرجمتُ) أي الى موضع مناجاتي .

« (فسألته) أي فسألت الله التخفيف ..

- « فجعلها) أي فجعل الفريضة التي قدرها أربعين صلاة ..
« (ثم مثله) أي ثم قال موسى صلى الله عليه وسلم .. مثله ..
« (ثم ثلاثين) أي ثم جعلها ثلاثين صلاة ..
« (ثم مثله) أي ثم قال موسى صلى الله عليه وسلم مثله ..
« (فجعل عشرين) أي عشرين صلاة ..
« (ثم مثله) أي ثم قال موسى صلى الله عليه وسلم مثله ..
« (فجعل عشرا) أي عشر صلوات ..
« (فأثبت موسى) أي في الموضع الذي لقيته فيه .. فقال موسى
أيضا مثله ..
« (فجعله خمسا) أي خمس صلوات ..
« (فقال : ما صنعت ؟) أي فقال موسى صلى الله عليه وسلم : ماذا
صنعت فيما رجعت ؟ .. وهذه هي المراجعة الأخيرة ..
« (قلت : جعلها خمسا) أي خمس صلوات .
« (فقال : سلمت بخير) أي فقال النبي صلى الله عليه وسلم .. لموسى صلى
الله عليه وسلم .. سلمت .. سلمت له .. ما جعله من خمس صلوات .. فلم
ينق لي مراجعة .. لأنني استحييت من ربي .. كما مضى في حديث أبي ذر في أول
كتاب الصلاة .. من قوله (ارجع الى ربك ، قلت : استحييت من ربي) ..
يعني من تعدد المراجعة ..
« (فنودي) أي فجاء النداء من قبل الله تعالى .. اني قد أمضيت
فريضتي .. أي أنفذت فريضتي .. بخمس صلوات .. وخففت عن عبادي ..
من خمسين الى خمس .. وأجزيت الحسنة عشرا .. فيحصل ثواب خمسين صلاة ..
لكل صلاة ثواب عشر صلوات .

« فإن قلتَ : كيف جازت هذه المراجعة في باب الصلاة .. من رسولنا محمد .. وموسى .. عليهما الصلاة والسلام ؟ »
« قلتُ : لأنهما عرفا ان الأمر الأول غير واجب قطعاً .. ولو كانت واجباً قطعاً .. لا يقبل التخفيف » .

* * *

والتقى الرسولان .. العظيمان .. الكريمان .. صلى الله عليهما وسلم .. لقاء سماوياً .. عالياً جميلاً ! ..
أما رسولنا .. صلى الله عليه وسلم .. فكان ما زال في الحياة الدنيا حياً .. وعُرج به الى السموات العُلى ..
وأما موسى .. صلى الله عليه وسلم .. فكان قد مات .. وغادر الحياة الدنيا .. منذ مئات السنين ..
ولكنها التقياً ۱۱؟
كيف كان ذلك ۱؟ .
الجواب الفذ .. لأن الله شاء ذلك ! ..
والجميل والجليل .. ان موسى .. عليه السلام .. بعد أن رحب برسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. أحسن ترحيب ..

جاوزه .. صلى الله عليه وسلم ..

« فلما .. جاورت .. بكى .. »

فجعل موسى .. يبكي ..

وما هنا تبرز صفة عليا .. من صفات الكليم .. صلى الله عليه وسلم ..
ان ظاهره كباطنه .. وباطنه كظاهره ..

وهي الصفة التي كانت بارزة في عمر بن الخطاب .. رضي الله عنه ..
« ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » - أو كما قال -
لم يستطع موسى أن يخفي ما ثار في باطنه ..
وكان هذا شأنه .. في الحياة الدنيا ..
« فقييل : ما أبكاك » ؟

« قال : يا رب .. هذا الغلام .. الذي بُعث بعدي .. يدخل الجنة من
أمته .. أفضل منا يدخل من أمتي » ؟!
جميلة جداً .. من موسى ا..
هذا الغلام ؟!

هذا الشاب .. رغم قصر عمره .. فإن الخير العظيم .. الذي أعطيته
وأعطيت أمته .. يفوق أضعاف أضعاف ما أعطيتني ؟ ..
ملايين من أمته يدخلون الجنة ..
وأتباعي لا يبلغون هذا العدد الوفير ؟!
جمال عجيب .. حقائق عليا .. منكشفة لهم .. في ذلك العالم .. عالم
البرزخ .. عالم السماوات ا..

إلا أن ما هو أهم وأعم وأشمل .. هو موقف موسى ..
حين عاد .. صلى الله عليه وسلم ..
فقال له موسى : ما صنعت ؟
« فرضت عليّ خمسون صلاة » !
وما هنا تظهر صفات موسى العليا .. مرة أخرى ..

« أنا أعلم بالناس منك » ..!

تماماً .. كما سارع الى مَنْ سألَه : أي الناس أعلم ؟ .. فقال : أنا .. فكانت قصته مع الحِضْر .. عليها السلام !..

ومعلوم .. أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. أعلم منه .. وهو يعلم هذا .. ولكنه يتكلم عن جزئية من المسلم .. وهي خبرته الطويلة مع تمرد بني إسرائيل !..

« عالجت بني إسرائيل .. أشد المعالجة ..

« وإن أمتك لا تطيق ..

« فارجع الى ربك ..

« فسله » ! ..

ثم كان .. ما كان .. من تردده .. صلى الله عليه وسلم .. بين ربه .. وبين موسى .. صلى الله عليه وسلم .. حتى « فنودي ..

« اني قد أمضيت فريضتي .

« وخلفضت عن عبادي .

« وأجزيت الحسننة عشريناً » !..

ماذا في هذا من إشارات عظيمة ؟ ..

فيه .. أن الأنبياء درجات .. كل ينزل منزلته عند ربه ..

وأن هارون .. عليه السلام .. في السماء الخامسة ..

وأن موسى .. عليه السلام .. في السماء السادسة ..

ليس بعده 'علو'اً .. إلا إبراهيم .. عليه السلام .. في السابعة ..

وأن معجزة الإمراء .. ثم المعراج .. هي معجزة المعجزات ..

أو كبرى المعجزات ..
وأن ما أكرم به .. صلى الله عليه وسلم .. فيها .. وراء العقول ..
ووراء الإدراك ..
فقد أطلعه الله تعالى .. فيها على كل شيء .. عياناً .. في أقل من
لمح بالبصر ..
أي طويَ له كل شيء طياً ..
فإن كان موسى .. صلى الله عليه وسلم .. قيل له « انك بالوادِ المقدس
طوى » ..
فإن محمداً .. صلى الله عليه وسلم .. طويَ .. له .. كل ما كان .. وما
كائن .. وما سوف يكون ..
سبحان .. الذي أسرى .. بهيبه ..

احتج ... آدم ... وهوسى؟! ...

وأخرى ...

أجل .. وأبهج .. في عالم السماء .. بين آدم .. وموسى ..

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« احتج آدم وموسى .

« فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟

« فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني

على أمر قدّر عليّ قبل أن أُخلق؟! »

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى .

« مرتين ، »

[أخرجه البخاري]

« احتج موسى و آدم : أي تحاجا .. اما أن تكون أرواحها تحاجت ..

أو يكون ذلك يوم القيامة .. والأول أظهر ..

« خطيئتك : أي الأكل من الشجرة المنهى عنها بقوله (لا تقربا هذه

الشجرة) ..

« الذي اصطفاك الله : أي جعلك صافياً خالصاً عن شائبة ما لا يليق بك ..

« ثم تلومني : وفي رواية : بهم تلومني ..

- « فحج آدم : أي غلبه بالحجة وظهر عليه ..
« أي غلب عليه بالحجة بأن ألزمه ان جملة ما صدر عنه لم يكن مستقلا بها .
متمكناً من تركها .. بل كان أمراً مقضياً ..
- « وقيل : انما حجّة آدم .. في رفع اللوم .. إذ ليس لأحد من الآدميين أن
يلوم أحداً به .. وأما الحكم الذي تنازعاها فإنما هما في ذلك سواء .. إذ لا يقدر
أحد أن يسقط الأصل الذي هو القدر .. ولا أن يبطل الذي هو السبب ..
ومن فعل واحداً منهما خرج عن القصد الى أحسد الطرفين مذهب القدر
أو الجبر ..
- « وفي قول آدم استقصار لعلم موسى .. أي إذ جعلك الله بالصفة التي أنت
عليها من الاصطفاة بالرسالة والكلام .. فكيف يسعك أن تلومني على القدر ..
الذي لا مدفع له ؟!
- « وقال النووي : معناه انك تعلم أنه مقدر فلا تلمني .
- « وأيضاً .. اللوم شرعي لا عقلي .. وإذا تاب الله عليه .. وغفر له زال
عنه اللوم .. فمن لومه كان محجوجاً بالشرع ..
- « فإن قيل : فالعاصي منا ، لو قال : هذه المعصية كانت بتقدير الله تعالى ..
لم تسقط عنه الملامة ؟
- « قلنا : هو باق في دار التكليف .. جار عليه احكام المكلفين .. وفي لومه
زجر له ولغيره ..
- « وأما آدم .. فبیت .. خارج عن هذه الدار .. وعن الحاجة إلى الزجر ..
فلم يكن في هذا القول فائدة .. سوى التخجيل ونحوه ..
- « وقيل : ليس معنى قول آدم عليه الصلاة والسلام (كتب الله عليّ)
ألزمه إياه وأوجبه عليّ .. فلم يكن لي في تناول الشجرة كسب واختيار ..

ولئلا المعنى أثبتته في أم الكتاب .. قبل كوني .. وحكم بأن ذلك كائن لا محالة ..
لعله السابق .. فهل يمكن أن يصدر عني خلاف علم الله ؟ .. فكيف تغفل عن
العلم السابق وتذكر الكسب الذي هو السبب .. وتنسى الأصل الذي هو
القدر .. وأنت ممن اصطفاك الله من المصطفين الأخيار .. الذين يشاهدون سر
الله من وراء الأستار ؟!

وكان لقاء رائقاً جميلاً ..

بين آدم .. وموسى ..

أر بين الأب .. والابن ..

وغلب آدم .. موسى ..

وسلم موسى تسليماً ..

صورة ... موسى؟! ...

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليلة أُسريَ بي .

« رأيت موسى .

« وإذا هو رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة ، ..

« رأيتُ ، لعل صورهم كانت كذلك .. أو صور أبدانهم .. كوشفت له .

« ضُربٌ ، أي نحيف .. خفيف اللحم ..

« شَنُوءَة ، هو حيّ من اليمن ..

« شبّه موسى في حديث الباب .. كأنه من رجال شنوءة .. يعني

في الطول ..

« وفي حديث ابن عمر بقوله (كأنه من رجال الزطّ) يعني في الطول

أيضاً لأن الزط جنس من السودان والهنود الطوال » .

« وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أُسريَ به :

« فقال : موسى آدمٌ طوال .

« كأنه من رجال شنوءة ، »

[أخرجها البخاري]

والآن .. كيف كانت صورة موسى .. صلى الله عليه وسلم !؟ .

ضُربٌ .. نحيف .. خفيف اللحم ..

طوال .. طويل .. فارغ القامة .

آدم .. جسيم أي أسمر .. ضخيم الجسم ..
سبسط .. مسترسل الشعر ..
وفي لغة عصرية ..
كانت صورة موسى ..
فارع الطول والقامة ..
جسيم الصدر .. عريض الصدر ..
نحيف .. ضامر البطن ..
أسمر اللون ..
وفي اختصار .. كانت صورته .. صورة بطل خارق البطولة .
فيه جمال النبوة .. وجلال الرسالة ..

شخصية ... موسى ...!

حين يقع الاختيار الالهي ..

على أحد .. ليدمر به نظاماً عتيداً فاسداً ..
ويقود به شعباً متمرداً عنيداً ..
يتحتم أن يكون ذلك الأحد .. بطلاً .. قوياً .. اذا غضب لا يقوم
لغضبه شيء ..
وهكذا كان موسى .. صلى الله عليه وسلم ..
كان إذا غضب .. لا يقوم لغضبه شيء ..
وبديهي أن الأنبياء لا يفتضبون إلا الله ..
ومن هنا كان موسى .. سريع الغضب .. إذا مُسَّت حقوق الله ..
حين عبد قومه العجل .. ألقى بالألواح وكسرها ..
وأسرع الى أخيه .. يأخذ برأسه ولحيته .. يجره اليه ..
وأسرع الى السامري .. فعاقبه .. لا مساس ..
وأسرع الى العجل .. فحرقه .. ونسفه في اليم نسفاً ..
انظر .. بطل .. في حالة غضب شديد ..
يعالج الأمور كلها .. في سرعة .. وحزم وعزم وشدة ..
وحين تلوَّى عليه قارون .. دعا الله أن يفرق بينه وبينه .. فحسفنا به
وبداره الأرض ..

وصفة سرعة الغضب في الله .. صفة لازمة لمن اختاره الله .. ليضرب به
النظام المصري الفاسد آنذاك .. ويدمره تدميراً ..

« ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » !..

لا بد أن يكون رجل صراع ونضال من الطراز الأعظم ..

وكان هكذا موسى !..

وقيادة شعب كان مستذلاً مستعبداً مسخراً .. الى آفاق العزة والحرية ..
تستأزم رجلاً حازماً شديداً .. سريع البطش .. حتى يستأصل تماوتهم وتمردهم
والفهم الخنوع والذل ..

وكان هكذا موسى ..

فهو رجل مؤهل .. ليضرب مرتين ..

مرة يضرب النظام المصري كله ويدمره تدميراً ..

ومرة ليقود شرذمة ممزقة مهلهلة من الاستعباد .. الى أوسع آفاق
الحرية والعزة !..

فلا بد وأن يكون ذا عزم من حديد .. ذا عزم أكيد لا يلين ..

ولعل إرساله بالعصا .. فيه إشارة الى أنه سوف يضرب فرعون ويدمره ..

وسوف يضرب ذل بني اسرائيل ويبدهه !..

ولا بد كذلك أن يكون ذلك الرجل قوياً ..

وقد كان موسى .. « القوي الأمين » ..

ليكون مثلاً .. لأتباعه .. يتجمع من حوله الأبطال ..

وأعجب من هذا .. أنه كان محبوباً من الشعب .. يحبونه حباً شديداً ..

ولا يبنغضه إلا المنافق ..

وهذه الصفة .. كانت فيه من آثار « والتقيت عليك حجة مقي ، ! ..
وقد ثبت عن النبي .. صلى الله عليه وسلم .. أن موسى كان حياً ..
ستيراً ..

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان موسى كان رجلاً حياً ستيراً » ..

[من حديث البخاري]

شديداً ، الحياء .. شديد التستر والمبالغة في التستر ..

وذلك من آثار أنوار النبوة ! ..

وفي نفس الحديث :

« لا يرى من جملده شيء » ..

وما ظنك برجل .. نبي .. رسول .. من أولي العزم ..

أنعم الله عليه بنعمة « وكلم الله موسى تكليماً » ..

رجل يكلمه الله .. رأساً .. بلا واسطة مملك ..

كيف كانت آثار .. تكلم الله .. في شخصيته ؟ ! ..

شيء لا تدركه العقول ! ..

ولا تبلغه الأفكار ! ..

أم كيف كانت شخصيته .. من أجرى الله على يديه عشرات
المعجزات الباهرات ؟ !

ان خير وصف لشخصية موسى .. صلى الله عليه وسلم .. هو ما وصفه
الله سبحانه :

قال تعالى :

« واذكر في الكتاب موسى انه كان غلصاً وكان رسولا نبياً .

« ونادينا من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيا .

« ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا » .

اذكر في الكتاب ؟! .

ضع في سجل الخلود .. في كتابنا الخالد .. اسم موسى !..

وقال تعالى :

« وألقيت عليك محبة مني .

« ولتُصنع على عيني » ؟! .

فكيف تكون شخصية من هذا شأنه ؟! .

رجل .. صنع على عين الله !..

وقال تعالى :

« وكلم الله موسى تكليما ، ؟! .

فكيف كانت شخصية .. من كلمه الله تكليما ؟! .

وما هي الأنوار والأسرار .. التي سرت في تكوين الشخصية من آثار

مدارمة التكليم ؟! .

أم كيف كانت شخصية .. رجل .. قهر فرعون وجنوده ؟! .

« أنتما ومن اتبعكما الغالبون » ، !..

أم كيف كانت شخصية .. من أنزل الله عليه التوراة ؟! .

« ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس

وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون » ، .

أم كيف كانت شخصية .. من ناداه ربه :

« فلما أتاهم نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن
يا موسى إني أنا الله رب العالمين » .!؟

كيف تبدلت الشخصية آنذاك .. وكيف تخلقت خلقاً جديداً .. بعد
سماعها للنداء .!؟

أم كيف كان ذلك العقل من تلك الشخصية .. حين قال ذلك القول
الشامل الجامع :

« ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .!؟

أي مرتبة من العقول كان ذلك العقل العظيم .!؟

أم كيف كانت شخصية .. من قال له ربه :

« لا تخف .. اذك أنت الأعلى » .!؟

ألا إن مسك الختام .. من تلك الشخصية العليا .. هو قوله تعالى :

« ولقد مننا على موسى وهارون .

« ونجيناها وقومها من الكرب العظيم .

« ونصرناهم فكانوا هم الغالبين .

« وآتيناهما الكتاب المستبين .

« وهديناها الصراط المستقيم .

« وتركنا عليهما في الآخرين .

« سلام على موسى وهارون .

« إنا كذلك نجزي المحسنين .

« إنها من عبادنا المؤمنين » .

هارون ... كما يراه ... ابن العربي ١٤ ...

من الافق الاعلى ...

من « فصوص الحكم » .. للامام الأكبر .. ابن العربي ..
« نشيت ما قاله العارف الجليل .. في « هارون » .. عليه السلام ..
« ثم ما قاله .. في موسى .. عليه السلام ..
لتكتمل امام أعيننا .. حقيقة هذين النبيين العظيمين ..
وما أدراك ما ابن العربي .. اذا تحدث .. من أفقه الرفيع .. ومستواه
المنيع ؟ ! ..
ومرة اخري نثبه .. ان ما ذهب اليه .. ابن العربي .. ليس ملزماً لأحد.
« وإنما هو افق اعلى .. يضيف الى فهمنا فيها جديداً ..
ويرفع مستوانا الفكري رفعا عظيماً ..
وهذا وحده .. خير عظيم ..

* * *

فص حكمة إمامية في كلمة هارونية

قال العاشاني :

« انما خصت الكلمة الهارونية بالحكمة الإمامية ، لأن هارون عليه السلام
كان إمام أئمة الأحرار .

- « وقد استخلفه موسى على قومه بقوله - اخلفني في قومي وأصلح -
« والإمام لقب من ألقاب الخلافة .
« وقد صرح هارون بذلك في قوله - اتبعوني وأطيعوا أمري -
« وقد بقيت الإمامة في نسله الى الآن .
« وهي الخلافة المقيّدة ، أي الإمامة بالوساطة .
« كما كانت لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« وله الإمامة المطلقة لكونه نبياً مبعوثاً بالسيف ، كإمامة المهدي عليه السلام .
« والمراد بالمطلقة التي لا واسطة بين صاحبها وبين الله .
« وله رتبة التقدم والتحكم في الوجود .
« ولولم يكن كذلك لما صرح بوجود اتباعه وطاعته في قوله - اتبعوني وأطيعوا أمري -
« وهي التي قال فيها الخليله - إني جاعلك للناس إماماً - فله الإمامة المطلقة والمقيّدة .
يقول الشيخ الأكبر . . في فاتحة هذا الفص . . من كتابه الفريد :
« اعلم أن وجود هارون عليه السلام كان من حضرة الرحموت بقوله -
« - وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً -
« فكانت نبوته من حضرة الرحموت .
« فانه أكبر من موسى سناً وكان موسى أكبر منه نبوة .
« ولما كانت نبوة هارون من حضرة الرحمة لذلك قال لأخيه موسى عليه السلام -
« - يابن أم -

« فننادام بأمه لا بأبيه ، إذ كانت الرحمة للأُم دون الأب أوفر في الحكم .
« ولولا تلك الرحمة ما صبرت أي الام على مباشرة التربية .
« ثم قال – لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي – ولا تشمت بي الاعداء –
« فهذا كله نفس من أنفاس الرحمة .

« وسبب ذلك عدم التثبيت في النظر فيما كان في يده من الألواح التي ألقاها
من يديه .

« فلو نظر فيها نظر تثبيت لوجد فيها الهدى والرحمة .
« فالهدى » . .

أي فوجد الهدى .

« بيان ما وقع من الامر الذي أغضبه بما هو هارون بريء منه ، .
« وكان الله قد أعلمه قبل ذلك بالامر بقوله – إنا فتنا قومك من بعدك
وأضلهم السامريّ – » .

« والرحمة بأخيه » .

« ووجد الرحمة بأخيه » .

« فكان لا يأخذ بلحيتته بما رأى من قومه مع كبره وأنه أسن منه فكان
ذلك من هارون شفقة على موسى .

« لأن نبوة هارون من رحمة الله فلا يصدر عنه إلا مثل هذا .

« ثم قال هارون لموسى عليه السلام – اني خشيت أن تقول فرقت بين بني
اسرائيل – فتجعلني سببا في تفريقهم .

« فان عبادة العجل فرقت بينهم ، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري
وتقليداً له .

« ومنهم من توقف عن عبادته حتي يرجع موسى اليهم فيسالونه في ذلك -

« فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم اليه .

« وكان موسى أعلم بالامر من هارون ، لأنه علم ما عبده أصحاب المعجل لعلمه بأن الله قضى أن لا يعبدوا إلا إياه .

« وما حكم الله بشيء إلا وقع ، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الامر في انكاره وعدم اتساعه .

« فان العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء .

« فكان موسى يربي هارون تربية علم .

« وإن كان أصغر عنه في السن ،

قال القاشاني :

« أي يربيه تربية ربانية متمينة لهارون في مادة موسى .

« لأن التربية لا تكون حقيقة إلا من الرب .

« فكما كانت يربي موسى في مادة هارون ، بأن جعله من رحمته له نبياً ،

يكمل نبوته وشد به أزره ، كان يربي هارون في مادة موسى .

« فإنه عتب عليه وأخذ بلحيته ورأسه ليتنبه على أسرار ما وقع من عبادة

المعجل فيطلع على ما يقرر موسى بعلمه في سر ذلك .

« وكان الله في تربية موسى وهارون من حيث لا يشعر بذلك إلا من

شاء الله .

« فإن جميع الأفعال التي يجري الله على أيدي عباده صور أحكام حقائقهم ،

وحكمة لا يعلمها إلا الله ، ومن أطلعها عليها .

« فوقوع العتب وعدم التثبيت وإلقاء الأرواح من يد موسى وأخذه بلحية هارون أمر قوي غير متوقع من مثله في مثل أخيه ، الذي هو أكبر منه سناً .

« إنما كان لتثنيته على ما ذكر من السر .

« وتربيته من حيث لا يشعران بذلك الأمر .

« فإنها من المعصومين الذين لا يحري الله على أيديهم إلا ما هو الحكمة والطاعة ، ويزيد به العلم والمعرفة .

« وهذا بالنسبة إلى أخيه .

« وأما بالنسبة إلى قومه فهو أن موسى عليه السلام كان في مبالغته في عتب أخيه يري قومه أن عبادة ما يسمى غيرا وسوى عند أهل الحجاب ، وتعييننا جزئياً في شهود أهل الكشف ، جهل وكفر .

« أما كونه جهلاً فلأن المعبود ليس محصوراً في صورة .

« بل هو ما في الصور كلها من الحق .

« لأن العبادة لا يستحقها إلا الله ، الذي هو عين الكل ، وله هوية

جميع الصور .

« أما كونه كفراً ، فلكونه سراً يتعين على الحق المتعين .

« ففعل ذلك رب موسى في مادته ، ليتنبهوا على ما قد كانت حذرهم من قبل حين قالوا له - يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون -

« يعني أن حقيقته يقتضى أن العبادة لا تكون إلا للرب المطلق ، كما قال

تعالى - ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه - وقال - وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم -

« والإله المعجول ليس إلا الخلق ، فلا يستحق عبادة الخلق إياه .

« ولا علم له بما يسرون وما يعلنون .

« وبعلمه عليه السلام يحهلهم أقبل والتفت بالعتب على هارون .
« فإنه كان في تربيته قولاً وفعلًا ، ليعلم من حيث ولايته ونبوته بما هو
الأمر عليه ، علماً بذلك في تلك الحالة ، إذ لم يعلم إلا بعد وقوع ما وقع .
« فلما نبه هارون بالحقيقة المذكورة ، وتحقق هو بما وقع منه ظاهراً وباطناً ،
أعرض عن قومه بعد ما أراهم وأعلمهم بخطئهم إلى السامري ، فلم يعاتبهم
ليتمظوا ، وذلك أبلغ في الغرض ، .

« ثم يتشعشع الشيخ الأكبر ويقول :

« ولذلك لما قال هارون ما قال ، رجع الى السامري فقال له - فما خطبك
يا سامري -

« يعني : فما صنعت من عدوك الى صورة العجل على الاختصاص .
« وصنعك هذا الشبح من حلي القوم حتى أخذت بقلوبهم من أجل .
أمواهم .

« فان عيسى يقول لبني اسرائيل : يا بني اسرائيل قلب كل انسان حيث
ماله ، فاجعلوا امواكم في السماء ، تكن قلوبكم في السماء .

« وما سمي المال مالا إلا لكونه بالذات يميل القلوب بالعبادة .
« فهو المقصود الأعظم المعظم في القلوب ، لما فيها من الافتقار اليه .
« وليس للصور بقاء فلا بد من ذهاب صورة العجل ، لو لم يستمجد
موسى بحرقه .

« فغلبت عليه الغيرة فحرقه ، ثم نسف رماد تلك الصورة في اليم نسفا .
« وقال له : انظر الى إلهك - فمما إلهها بطريق التنبيه للتعليم ، لما علم انه
بعض المجالي الالهية - لأحرقنه - فان حيوانية الانسان لها التصرف في
حيوانية الحيوان .

- « لكون الله سخرها للدمسان .
- « ولا سياً وأصله ليس من حيوان .
- « فكان أعظم في التسخير .
- « لأن غير الحيوان ما له ارادة ، بل هو بحكم من يتصرف فيه من غير إباءة ، .

قال الشارح :

- « اعلم أن الأنبياء كلهم صور الحقائق الإلهية النورانية الروحانية .
- « والفراعنة صور الحقائق النفسانية الظلمانية .
- « ولهذا كانت المداوة والمخالفة بين الرسل والفراعنة لازمة .
- « كما بين العقل والهوى .
- « وبين الروح والشيطان^(١) .
- « لكنهم مختلفون في التعيينات الإنسانية لاختلاف الأسماء الإلهية فيهم .
- « وذلك لاختلاف القوابل بحسب الأمزجة والاعتدالات الإنسانية .
- « ولهذا اختلفت صورهم في الأشكال والهيئات والتعيينات الشخصية .
- « ونفوسهم في الأخلاق والموائد والأذواق .
- « وأرواحهم في العلوم والمشاهدات والمشارب والتجليات .
- « مع اتحادهم في الوجهة والمعارف الحقانية والتوحيد. وأصول الدين القيم .

(١) أسرار .. وألوار .. وأغوار .. وبحار .. عميقة عميقة ..

هم القوم لا يشقى جليسهم ! ..
ان القاشاني يعلم ويعلم .. ويكشف لنا : لماذا المداوة الأبدية .. بين الرسل والفراعنة ؟ ! ..
فما من نبي .. إلا له فرعونته ! ..

- « فإنهم في ذلك كنفس واحدة على آل واحد لرب واحد هو رب الأرباب .
- « فالحق الواحد يتجلى لكل منهم على صورة الاسم الغالب عليهم .
- « ولهذا كان الغالب على موسى أحكام القهر وشهود التجلي النوري له في صورة النار ، وكانت علومه فرقانية .
- « والغالب على نبينا صلى الله عليه وسلم أحكام المحبة وشهود التجلي في صورة النور ، وكانت علومه قرآنية .
- « ولما كان التجلي الإلهي في حق موسى في صورة القهر والسلطنة والجلال ساطع النار على صورة العجل الذي جعله السامري إلهاً لمن عبدها حتى أحرقته وفرقها وبرد أجزائها .
- « كما أن التجلي الإلهي يحرق كل من تجلى له .
- « فإن الحدث لا يبقى عند ظهور القديم بل يضمحل ويتلاشى .
- « فأرام في نسف رماد العجل وحرقته صورة فناء الحدث عند تجلي الرب القديم .
- « وفي احرقه صورة احراق سبحات وجهه تعالى حتى ما انتهى إليه بصره من خلقه ، .
- « وأما الحيوان فذو ارادة وغرض .
- « فقد يقع منه الالباءة في بعض التصريف .
- « فان كان فيه قوة اظهار ذلك ظهر منه المموج لما يريد منه الانسان .
- « وإن لم يكن له هذه القوة أو صادف غرض الحيوان ، .
- « أي وجد عند المسخر الذي يريد تسخيره في أمر حيواني غرضاً من أغراض الحيوان كما كول أو مشروب أو ما يتوسل به اليه من أجرة ، .
- « انقاد مدلالاً لما يريد منه كما ينقاد مثله لأمر فيا رفعه الله به من اجل

- المال الذي يرجوه منه المعبر عنه في بعض الاحوال بالآخرة .
- « في قوله - ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا -
- « فما يسخر له من هو مثله إلا من حيوانيته لا من انسانيته .
- « فان المثلين ضدان ، .
- « من حيث أنها لا يجتمعان ، .
- « فيسخره الرفع في المنزلة بالمال .
- « أو بالجاء بانسانيته .
- « ويتسخر له ذلك الآخر اما خوفا أو طمعا من حيوانيته لا من انسانيته .
- « فما تسخر له من هو مثله .
- « الا ترى ما بين البهائم من التحريش لأنها أمثال .
- « فالملثان ضدان .
- « فلذلك قال - ورفع بعضكم فوق بعض درجات .
- « فما هو معه في درجته ، فوقع التسخير من أجل الدرجات .
- « والتسخير على قسمين :
- « تسخير مراد للمتسخر ، اسم فاعل ، قاهر في تسخيرها لهذا الشخص كتسخير السيد لعبيده ، وإن كان مثله في الانسانية ، كتسخير السلطان لرعاياه ، وإن كانوا أمثالا له في الانسانية ، فسخرهم بالدرجة .
- « والقسم الآخر تسخير بالحال . كتسخير الرعايا للملك القائم بأمرهم في اللب عنهم وحمايتهم وقتال من عاداهم وحفظ أموالهم وأنفسهم عليهم .
- « وهذا كله تسخير بالحال من الرعايا .

- « يستخرون في ذلك مملكتهم ، ويسمى على الخليفة تسخير المرتبة .
- « فالمرتبة حكمت عليه بذلك .
- « فمن الملوك من سعى لنفسه .
- « وسنهم من عرف الامر فعلم انه بالمرتبة في تسخير رعاياه ، فعلم قدرهم وحقهم ، فأجره الله على ذلك أجر العلماء بالأمر على ما هو عليه .
- « وأجر مثل هذا يكون على الله في كون الله في شئون عباده .
- « فالعالم كله يستخر بالحال من يمكن أن يطلق عليه أنه مسخر .
- « قال تعالى - كل يوم هو في شأن -
- « والظاهر أن تسخير موسى لقومه كان بمرتبة النبوة .
- « ولهذا كان يعلم حقهم ويراعيهم رعاية الراعي لغنمه .
- « فكلمها عاث فيهم ذئب كالسامري قاتله وقابله ورمناه بالإمساس وتحريق العجل .
- « وشدد على خليفته خافة المخالفة .
- « فكما سخرهم في مراد الله بما عنده من الله من النبوة والسلطنة .
- « سخره بالحال على أن يسمى عند الله في مصالحهم الدينية الدنيوية .
- « عرفوا ذلك أو لم يعرفوا ، وما يعرفه إلا العارفون .
- « فكان عدم قوة ادراع هارون بالفعل ان ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما ساط موسى عليه ، حكمة من الله ظاهرة في الوجود ، ليعبد في كل صورة .
- « وإن ذهب تلك الصورة بعد ذلك ، فما ذهب إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية .
- « ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعبد .

- « إما عبادة تاله ، وإما عبادة تسخير ، فلا بد ذلك لمن عقل » .
- « يعني أن الحق المعبود المطلق الذي أمر أن لا يعبد إلا إياه لما ظهر بنور الوجود في كل نوع من الأنواع بل في كل شخص .
- « لزم أن يعبد في تلك الصورة ، إما عبادة عبد لإلهه ، وإما عبادة تسخير .
- « كما عبت عبدة الأصنام الحجر والشجر والشمس والقمر .
- « لكون الإلهية ذاتية للوجود الحق .
- « وعبادة التسخير ليس لها اسم العبادة عرفاً لأنها مخصوصة بمن تاله ، لكن المبودية متحققة في القسمين .
- « فإنك عبد لمن ظهر عليك سلطانه » .
- ثم يقول ابن العربي :
- « وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد .
- « والظهور بالدرجة في قلبه .
- « ولذلك يسمى الحق لنا برفيع الدرجات .
- « ولم يقل رفيع الدرجة ، فكشـر الدرجات في عين واحدة .
- « فانه قضى ألا نعبد إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهياً عبد فيها .
- « وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى .
- « كما قال - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه -
- « فهو أعظم معبود فانه لا يعبد شيء إلا به .
- « ولا يعبد هو إلا بداته .
- « وفيه أقول :

« وحق الهوى ان الهوى سبب الهوى
ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى »

قال القاشاني :

« يعني أن كلمتي العبوديتين : عبودية التآله وعبودية التسخير لا تكون من العابد لأي معبود كان إلا لهواه .

« فما عبد إلا الهوى .

« فهو الصنم والجبت والطاغوت الحقيقي لمن يرى غير الحق في الوجود .

« وأما عند العارف فهو أعظم مجلى عبد فيه .

« وهو باطن أبداً لا يظهر بالعين إلا في الأصنام .

« وكليات مراتبه بعدد الأنواع المعبودة كما ذكر بعضها في الفص النوحى .

« وأما البيت فمعناه : أنه أقسم بحق العشق الأحدي الذي هو حب الحق

ذاته أنه سبب الهوى الجزئي الظاهري في كل متمين بتنزلاته في صور التعينات .

« ولولا الهوى الحب الباطن المعين في القلب ما عبد الهوى الظاهر في النفس .

« لأنه عينه تنزل عن التمعين القلبي إلى التعين النفسي مع أحدية عينه

في الكل » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ألا ترى علم الله بالأشياء ما أكمله .

« كيف تم في حق من عبد هواه واتخذها لها فعال – وأضله الله على علم –

« والضلالة الحيرة .

« وذلك انه لما رأى هذا العابد ما عبد إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمره

به من عبادة من عبده من الاشخاص .

« حتى ان عبادته لله تعالى كانت عن هوى أيضاً .
« لأنه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى وهو الارادة بمحبة ما عبد
الله ولا أثره على غيره » .

قال الشارح :

« أي كيف تم العلم في حق من عبد هواه حيث نكره تنكير تعظيم أي على
علم كامل لا يبلغ كنهه .

« وذلك أن أصل الهوى هو الحب اللازم لشهوده تعالى ذاته بذاته .

« فإنه تعالى أقوى الأشياء إدراكاً وأتم الأشياء كلاً .

« ولا يدرك .. واقف المدرك من ذاته بذاته .

« فذاته أحب الأشياء إليه .

« بل الحب عين الحب .

« وحقيقته ليس إلا حبه لذاته .

« وهو العشق الحقيقي ، وما عداه رشحة من ذلك البحر ، ولمعة من

ذلك النور .

« فلا ميل في شيء إلى شيء إلا وهو جزئي من جزئيات ذلك الحب .

« فلا محب إلا وهو يحب نفسه في محبوبه ، أي محبوب كان .

« لأن المحبة لازمة للوحدة الحقيقية .

« فبسرمان الوحدة في الوجود ، تسري المحبة فيه .

« لكنها تختلف بحسب كثرة التعينات المتوسطة بينها وبين الأول وقتها .

« فكلما كانت الوسائط أكثر كان أحكام الوجوب فيها أخفى وأحكام

الإمكان أظهر وبالعكس .

- « وينبغي على ذلك المذمة والمحمدة بحسب تنوع أنواعها .
- « فالحاصل أن كل هوى كان أقرب إلى الحب الكلي ، والأقرب بقسلة الوسائط والتمينات ، كان أحمد وأشرف وأقوى في نفسه وأظهر ، وصاحبه أعلى مقاماً وأرفع رتبة ، وأكثر تجرداً ، وأشرف ذاتاً ، وأقرب إلى الحق تعالى .
- « وكلما كان الحب أبعد من الحب الكلي المطلق بكثرة الوسائط والتمينات كان أخس وأذم وأضعف في نفسه وأخفى ، وصاحبه أدنى رتبة ، وأكثر تقيداً واحتجاجاً ، وأخس وجوداً ، وأبعد من الله تعالى .
- « والحقيقة من حيث هي هي واحدة .
- « فمن علم حقيقة الهوى كان على علم عظيم .
- « وقد حيره الله ، حيث وجدته في الحقيقة محموداً غاية الحمد .
- « ومع التغمي بغواشي التمينات مذموماً غاية الذم .
- « فتحرير بين كونه حقاً وبين كونه باطلاً .
- « والحق مطلع على أنه لا يعبد في الجهة العليا والسفلى بهواه إلا إياه .
- « إذ ليس في الوجود شيء إلا وهو عين الحق .
- « ألا ترى إلى قوله - وهو الله في السماوات وفي الأرض - وقوله - وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله - وقوله عليه الصلاة والسلام - « لو دلى أحدكم بجبل لهبط على الله » ؟
- « فكل ما عبده عابد في أحد الجهتين لا يعبده إلا بهواه ، إذ هو الذي يأمره بعبادة ما يعبده .
- « فلا يطيع في الحقيقة إلا هواء .
- « حتى إن الحق المطلق لم يعبد إلا بالهوى .

- « إلا أنه يسمى باسم أشرف كالإرادة .
- « وهي محبة ما إما محبة النجاة والدرجات .
- « أو كمال النفس .
- « أو محبة صفات الله تعالى .
- « أو محبة ذاته تعالى وتقدس .
- « ولذلك نكر المحبة فقال وهو الإرادة بمحبة ، إذ لو لم يكن له نوع من أنواع المحبة ما عبد الله تعالى ، ولا أثره على غيره . »

ثم يقول شيخ العارفين :

« وكذلك كل من عبد صورة ما من صور العالم واتخذها الهماً ما اتخذها إلا بهوى .

« فالعبد لا يزال تحت سلطان هواه .

« ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدين .

« وكل عابد أمراً ما يكفر من يعبد سواء .

« والذي عنده أدنى تنبه يجار لاتحاد الهوى .

« بل لأحدية الهوى كما ذكر .

« فأنها عين واحدة في كل عابد .

« فأضله الله : أي حيره على علم بأن كل عابد ما عبد إلا هواه ، ولا

استعبده إلا هواه .

« سواء صادف الأمر المشروع أو لم يصادف .

« والمعنى أنه لما رأى هذا العابد وذلك العابد وكل عابد ، حقيق عابد

الحق تعالى .

- « وكذا كل من عبد صورة ما من صور العالم ، لا يعبد كل منهم إلا هواه .
« ثم رأى تنوع المعبودات وتناكر العباد .
« بحيث يكفر كل عابد من يعبد سوى معبوده مع أجدية الهوى في الحقيقة
عند من له أدنى تذبذبة ، حيره الله لضيق ذرعه ، وصعوبة فرقه بين الحق
والباطل ، والمشروع وغير المشروع .
« والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ، .
« لأن الوجود الحق هو الذي ظهر في الكل وفي كل واحد .
« ولذلك سموه كلهم إلهام مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو
إنسان أو كوكب أو ملك ، هذا اسم الشخصية فيه .
« والألوهة مرتبة تخيل العابد له انها مرتبة معبودة .
« وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد الخاص المعتكف على هذا
المعبود في هذا المجلى المختص .
« ولهذا قال بعض من لم يعرف مقاله جهالة - ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى -
« مع تسميتهم إياهم آلهة .
« كما قالوا - اجعل الآلهة إلهما واحداً ان هذا شيء عجاب -
« فما أنكروه ، بل تصجبوا من ذلك .
« فأنهم وقفوا مع كثرة الصور الامكانية ونسبة الألوهية لها .
« فجاء الرسول ودعاهم إلى إله واحد ، يُعرف ولا يُشهد .
« بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قلوبهم - ما نعبدهم إلا
ليقربونا إلى الله زلفى -

- « لعلمهم بأن تلك الصور حجارة .
« ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله - قل سموهم -
« فما يسمونهم إلا بما يعلمون ان تلك الأسماء لهم حقيقة ، .
« كحجر وخبث وكوكب وأمثالها ، .
« مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانا .
« وإنما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ، .
« أي من عباد الصور وإن لم يشعروا بذلك وجهلوه ، .
« وجهله المنكر الذي لا علم له بما تجلى الله .
« وستره العارف ، المكمل من نبي ورسول ووارث عنهم .
« فأمرهم بالانتزاح عن تلك الصورة .
« لما انتزح عنها رسول الوقت .
« اتباعا للرسول .
« طمعا في محبة الله إياهم بقوله - ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله -
« فدعا الى إله يصمد إليه ، .
« وهو الوجود الحق المطلق الذي يستند إليه كل وجود خاص ، .
ثم يقول الشيخ الأكبر :
« ويُعلم من حيث الجملة .
« ولا يُشهد .
« ولا تدركه الأبصار ، .
قال الشارح :

- « أي يُعلم من حيث الإطلاق والإجمال .
- « ولا يُشهد من حيث التقييد والتفصيل .
- « إذ لا بد في الشهود من تجلي ومجلى ومتجل ، وكذا الأبصار ، .
- ثم يقول ابن العربي :
- « بل هو يُدرك الأبصار .
- « للطفه وسريانه في أعيان الاشياء .
- « ولا تدركه الأبصار ، كما أنها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها
وصورها الظاهرة ، .
- « وإنما لا تدركه الأبصار لأن إدراكها مخصوص ببعض الظواهر .
- « فلا تدرك الحقائق وكل ما تحت الإسم الباطن .
- « وإنما لا تدركه الأرواح ، لأن إدراكها مخصوص بالباطن ، فلا تدرك
ما تحت الإسم الظاهر من أسمائه وصفاته .
- « ولا يجمع بين الظاهر والباطن .
- « والتقييد والإطلاق .
- « واللاتقييد واللا إطلاق ، إلا التجلي الشهودي ، .
- « فهو اللطيف ، .
- « أي عن ادراك الأبصار والبصائر ، .
- « الخبير ، .
- « بالباطن والظواهر ، .
- « والخبرة فوق .
- « والدوق تجليّ .

« والتجلي في الصور فلا بد منها ولا بد منه .

« فلا بد أن يعبد من رآه بهواه .

« ان فهمتَ .

« - وعلى الله قصد السبيل - ، » .

قال الشارح :

« الذوق إنما يكون بقوى وجدانية وذلك إنما يكون بالتجلي في الصور .

« فمن رآه متجلياً في أي صورة كانت مال اليه .

« والهوى في العرف ليس إلا ميلاً نفسياً .

« فلا شهود إلا بالتجلي .

« ولا تجلي إلا في صورة .

« فلا عبادة له شهودية إلا بميل تام نفسي .

« لأن الصورة لا بد لها من ميل الى ما يوافقها وهو الهوى ، » .

موسى ... كما يراه ... ابن العربي ؟ ...

﴿ فص حكمة علوية في كلمة موسوية ﴾

قال العاشاني :

« انما خصت الكلمة الموسوية بالحكمة العلوية ، لعلوه على من ادعى الأعلوية ، فقال - أبا ربكم الأعلى -

« فكذبه الله تعالى بقوله لموسى - انك أنت الأعلى -

« على القصر ، يعني : لا هو ، مع أنه تعالى وصفه بالعلوية في قوله - من فرعون انه كان عالياً من المسرفين -

« ولعلو درجته في النبوة بأن كلمه الله بلا واسطة مَلَك .

« وكتب له التوراة بيده تعالى ، كما ورد في الحديث .

« ويقرب مقامه من مقام الجمعية التي اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم المشار اليه بقوله - وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء -

« وبكثرة أمته كما أخبر عليه الصلاة والسلام في حديث القيامة حال عرض الأمم عليه أنه لم ير أمة نبي من الأنبياء أكثر من أمة موسى عليه السلام .

« وبكثرة معجزاته ، .

يقول الشيخ الأكبر :

« حكمة قتل الابناء من أجل موسى .

- « ليهود عليه بالامداد حياة كل من قتل من أجله .
- « لأنه قتل على أنه موسى وما ثمة جهل .
- « فلا بد أن تعود حياته على موسى .
- « أعني حياة المقتول من أجله .
- « وهي حياة طاهرة على الفطرة لم تدنسها الاغراض النفسية ، بل هي على فطرة « بلى » .
- « فكان موسى مجموع حياة من قتل على أنه هو .
- « فكل ما كان مهياً لذلك المقتول بما كان استعداد روحه له ، كان في موسى عليه السلام .
- « وهذا اختصاص الهي بموسى .
- « لم يكن لأحد قبله .
- « فان حكم موسى كثيرة .
- « وإنا ان شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الامر الالهي في خاطري .
- « فكان هذا أول ما شوفت به من هذا الباب .
- « فما ولد موسى إلا وهو مجموع أرواح كثيرة ،
- قال القاشاني :
- « باتصال تلك الأرواح به ، متوجهة اليه ، مقبلة نحوه .
- « بهواها ومحبتها ونوريتها خادمة له .
- « ولذلك كانت محبوباً إلى كل من يراه لنوريته ، بتشفيح أنوار تلك الأرواح ، .

ثم يقول ابن العربي :

« جمع قوى فعالة .

« لأن الصغير يفعل في الكبير .

« ألا ترى الطفل يفعل في الكبير بالخاصية .

« فينزل الكبير من رياسته إليه ، فيلاعبه ويزقزق له ، ويظهر له بعقله ؟!

« أي ينزل إلى مبلغ عقله .

« فهو تحت تسخيريه وهو لا يشعر .

« ثم شغله بتربيته وحماسيته وتفقد مصالحه ، وتأنيمه حتى لا

يضيق صدره .

« هذا كله من فعل الصغير بالكبير .

« وذلك لقوة المقام .

« فان الصغير حديث عهد بربه لأنه حديث التكوين والكبير أبعد .

« فمن كان من الله أقرب سخر من كان الله أبعد .

« كخوادم الملك المقرب منه ، يسخرون الأبعدين » .

قال القاشاني :

« القرب والبعد نسبتان معتبرتان باعتبارات كثيرة ، لقلة التعينات

والوسائط بين الشيء وبين الحق وكثرتها .

« فالأقل الوسائط أقرب .

« ولهذا سخر الأرواح الأحساد ، والعقول النفوس .

« كتسخير العقل الأول من دونه من العقول والنفوس .

« وكاستجماع الفضائل والكمالات في الاتصاف بها والتخلي عنها .

- « فالأكثر بالكمالات والأوفر بالفضائل أقرب الى الله ممن يخلو عنها .
- « فيسخر بقرب مقامه من الله من دونه في ذلك .
- « كتسخير الأنبياء والأولياء أهمهم وأتباعهم .
- « وكل من له أحدية الجمعية الكمالية الإلهية أقرب الى الله ممن غلب عليه أحكام الكثرة فيسخر له .
- « وأما القرب والبعد في هذا الموضوع فهو باعتبار حدوث تجلي الحق وطرأته ، وبحسب الزمان وتماذي مدته وبعد عهده .
- « فإن طراوة ظهور الحق في مجلي واحدة بتصرفاته وأعماله وصفاته ، كما في الصغار ، قرب لهم بربهم وصفاء .
- « لكونهم على فطرتهم الأصلية والعهد الأول والاتصال الحقيقي .
- « وتقدم الزمان بالكبر ، وغلبة أحكام النشأة والهينات النفسانية ، كالمادة الحيوانية والطبيعية ، بُعد لهم من ربهم .
- « وتكرر وسقوط عن الفطرة .
- « فلذلك يسخر الصغير الكبير فيخدمه .
- « وأما تنزل الكبير المعارف الكامل إلى مرتبته للتربية ، مع كونه في غاية القرب بالنسبة الى الطفل ، فذلك للرحمة والعناية الإلهية .
- « وهو أمر آخر باعتبار آخر ، فلا يتنافى ما ذكرناه ، لأنه رجع الى الله بعد البُعد ، بالمعنى المذكور ، حتى صار أقرب مما كان أولاً ، .

ثم يقول ابن العربي :

- « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبرز نفسه للطير إذا نزل .
- « ويكشف رأسه له حتى يصيب منه .
- « ويقول (انه حديث عهد بربه) .

- فأنظر الى هذه المعرفة بالله من هذا النبي .
- ما أجلبها وما أعلاها وأوضحها .
- فقد سخر المطر أفضل البشر .
- لقربه من ربه .
- فكان مثل الرسول الذي ينزل بالوحي عليه ،
- « أي فكان المطر مثل الملك الذي ينزل اليه بالوحي ، يعني جبريل .
- لأنه كان يشاهد فيه صورة العلم الإلهي النازل اليه بواسطة الملك فيتلقاه .
- وخصوصاً رأسه الذي هو منه بمثابة الكتاب الأكبر الذي رتبته في التعمين الأول والبرزخية الأولى ومظهر العلم الإلهي الأول .
- ويعرف قربه من الحق بالتجلي الجديد فلذلك سخره ،
- فدعاه بالحال لذاته ،
- « أي فدعا المطر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان الحال بذاته النازلة اليه من عند ربه في صورة العلم والحياة كالمسلك فأجابته ،
- فبرز اليه ليصيب منه ما أتاه به من ربه ،
- من المعنى الذي به يحيى كل شيء ،
- فلولا ما حصلت له منه الفائدة الالهية بما أصاب منه ما برز بنفسه اليه .
- فهذه رسالة ماء جعل الله تعالى منه كل شيء حي .
- فافهم ،

قال القاشاني :

« فإذا كان المطر سخر أفضل البشر لقربه من ربه .
« فما ظنك بالأرواح الطاهرة الباقية على الفطرة النورية إذا اتصلت بروح
موسى من عند ربها مقبلة اليه مع مبادئها التي انبعث منها من الأسماء الإلهية
والأرواح السماوية ، فإنها لا تنفك عنها متوجهة نحوه .

« فلذلك فعلت ما فعلت بأعدائه من القهر والتدمير .

« وأظهرت ما أظهرت من آيات الله العظمى . » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« وأما حكمة القائه في التابوت ورميه في اليم .

« فالتابوت ناسوته ، واليم ما حصل له من العلم بواسطة هذا الجسم .

« بما أعطته القوة النظرية الفكرية والقوى الحسية الخيالية التي لا يكون
شيء منها ولا من أمثالها لهذه النفس الانسانية إلا بوجود هذا الجسم
المنصري .

« فلما حصلت النفس في هذا الجسم وأمرت بالتصرف فيه وتدبيره جعل
الله لها هذه القوى آلات تتوصل بها الى ما أراه الله منها في تدبير هذا التابوت
الذي فيه سكينه الرب ، .

« لأن اليقين والعلم الذي تزداد به الايمان والسكينه النفس الى ربها وتطمئن ،
لا يحصل إلا فيه ، .

« فرمى به في اليم ليحصل بهذه القوى على فنون العلم .

« فأعلمه بذلك أنه وإن كان الروح المدبر له هو المَلَك .

« فإنه لا يدبره إلا به .

« فأصبحه هذه القوى الكائنة في هذا الناسوت الذي عبر عنه بالتابوت ،
في باب الاشارات والحكم .

« كذلك تدبير الحق العالم .

« وما دبره إلا به » .

« أي بالعالم » .

« أو بصور » .

« فما دبره ، - به » .

« كتبه قف الولد على إيجاد الوالد » .

« فإن التدبير الذي دبره الحق العالم فيه بنفس العالم .

« أي بعضه ببعض » .

« وهو مثل توقف الولد على إيجاد الحق الوالد الحقيقي » .

ثم يلقي الشيخ الأكبر بحكمته تترى فيقول :

« والمسببات على أسبابها » .

« والمشرطات على شروطها » .

« والمعلولات على عللها » .

« والمدلولات على أدلتها » .

« والمحققات على حقائقها » .

« أي الأشخاص المتحققة على حقائقها النوعية » .

« وكل ذلك من العالم وهو تدبير الحق فيه » .

- « فما دبره إلا به .
 - « وأما قولنا : أو بصورته أعني صورة العالم .
 - « فاعني به الأسماء الحسنى والصفات العلى ، التي تسمى الحق بها .
 - « فما وصل اليها من اسم يسمى به .
 - « إلا وجدنا معني ذلك الاسم وروحه في العالم .
 - « فما دبر العالم أيضا ، إلا بصورة العالم ،
- قال القاشاني :
- « ليس المراد بصورة العالم صورته الشخصية الحسية ..
 - « بل الصورة النوعية العقلية .
 - « وهي الأسماء الحسنى وحقائقها التي هي الصفات العلى .
 - « فإن صور العالم مظاهر الأسماء والصفات .
 - « فهي صوره الحقيقية الباطنة .
 - « والمحسوسات صوره الشخصية الظاهرة ، فهذه نقوش وأشكال تتبدل .
 - « وتلك بأعيانها باقية ثابتة لا تتبدل .
 - « فهذه هياكل وأشباح ، وتلك معانيها وأرواحها .
 - « فكل ما تسمى به الحق من الأسماء كالحق والعالم والمريد والقادر .
 - « واتصف به من الصفات كالحياة والعلم والإرادة والقدرة موجود في العالم .
 - « فما دبر الله ظواهر العالم إلا ببواطنه .

- « فالقسم الأول : هو تدبير بعض الصور الظاهرة من أجزاء العالم ببعضها .
 - « والقسم الثاني : تدبير الصور الشخصية الظاهرة بالصور النوعية الباطنة .
 - « وكلاهما تدبير العالمم بالعالمم .
 - « ومعنى الاسم وروحه حقيقته التي هو به .
 - « فإن الإسم ليس إلا الذات مع الصفة .
 - « فالأسماء كلها بالذات حقيقة واحدة هو الحق تعالى .
 - « فلا امتياز من هذا الوجه .
 - « فالإسم والمعاني والحقائق التي تحصل بها الأسماء هي الصفات .
 - « فالمراد بمعنى الاسم وروحه الصفة التي يتميز بها الإسم عن غيره .
 - « ومعنى قوله : فما دبر العالم أيضاً إلا بصورة العالم ، فما دبر العالم إلا بصورته ، التي هي الهيئة الاجتماعية من الأسماء الإلهية ،
- ثم يقول الشيخ الأكبر :
- « ولذلك قال في خلق آدم النبي هو البرنامج الجامع لنموت الحضرة الالهية التي هي الذات والصفات والافعال (ان الله خلق آدم على صورته) .
 - « وليست صورته سوى الحضرة الالهية .
 - « فأوجد في هذا المختصر الشريف الذي هو الانسان الكامل .
 - « جميع الأسماء الالهية .
 - « وحقائق ما خرج عنه .
 - « في العالم الكبير المنفصل عنه ، »

قال القاشاني :

« أي وأوجد فيه حقائق الأشياء الخارجة عن الإنسان في العالم الكبير المنفصل .

« فإن أجزاء العالم كالسماوات والعناصر والمعادن والنبات وأصناف الحيوانات ليست بموجودة في الإنسان صورها وأشخاصها .

« لكن حقائقها التي بها هي ، كالأرواح والنفوس الناطقة والمطبقة والطبائع العنصرية والصور الجسمية المادية والقوى المعدنية والنباتية والحيوانية بأسرها .
« وفي الجملة الجواهر والأعراض كلها موجودة فيه .

« فصحّ أنه تعالى أوجد جميع ما في الحضرة الإلهية ، وجميع الحقائق بأعيانها وأجزائها في الإنسان الكامل ، .

ثم يقول ابن العربي :

« وجعله روحا للعالم .

« فسخر له العلو والسفل لكمال الصورة .

« فكما أنه ليس شيء من العالم إلا وهو يسبح بحمده .

« كذلك ليس شيء من العالم إلا وهو مسخر لهذا الانسان ، لما تعطيه حقيقة صورته .

« فقال - وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعاً منه -

« فكل ما في العالم تحت تسخير الانسان .

« علم ذلك من علمه ، وهو الانسان الكامل .

« وجهل ذلك من جهله ، وهو الانسان الحيواني .

« فكانت سورة القاء موسى في التابوت ، وإلقاء التابوت في اليم ، سورة
مدك في الظاهر .

« وفي الباطن ، كانت نجاة له من التمل .

« فحيى كما تحيي النفوس بالعلم من موت الجهل .

« كما قال - أو من كان ميتاً - يعني بالجهل .

« فأحييناه - يعني بالعلم .

« - وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس - وهو الهدى .

« - كمن مثله في الظلمات - وهي الضلال .

« - ليس بخارج منها - أي لا يهتدي أبداً .

« فان الأمر في نفسه لا غاية له يوقف عندها .

« فالهدى هو أن يهتدي الانسان الى الحيرة .

« فيعلم ان الأمر حيرة .

« والحيرة قلق وحركة .

« والحركة حياة ، فلا سكون ولا موت .

« ووجود ، فلا عدم .

« وكذلك في الماء الذي به حياة الأرض وحركتها .

« قوله - فامتزت - حملها .

« قوله - وربّت - ولادتها .

« قوله - وأنبئت من كل زوج ببيع - أي أنها ما ولدت إلا من يشبهها :
أي طبيعيا مثلها .

« فكانت الزوجية التي هي الشفعية لها بما تولد منها وظهر عنها .
« كذلك وجود الحق ، كانت الكثرة له ، وتعداد الأسماء ، أنه كذا وكذا .
« بما ظهر عنه من العالم .

« الذي يطلب بنشأته حقائق الأسماء الالهية ، فثنيت به ، .
« أي بالعالم .

« والمعنى أنه كما شفعت المواليد من المواليد من الثمرات والنتائج أصولها .
« فكذلك كثرة الأسماء ، شفعت أحدية الوجود الحق .
« فإن الأسماء تثبت للوجود الحق بالعالم .

« إذ هو المألوه المربوب ، المقتضى لوجود الإلهية والربوبية وهما لا يكونان
إلا بالأسماء ، .

« ويخالفه أحدية الكثرة ، .

« أي ويخالف ما ظهر عنه من العالم أحدية الكثرة التي له لذاته ، .

« ثم يقول ابن العربي :

« ولما عصمه الله من فرعون أصبح قواد أم موسى فارغا .

« من الهم الذي كان قد أصابها .

« ثم ان الله حرم عليه المراضع حتى أقبل على ثدي أمه فأرضعته .

« ليكمل الله لها سرورها به .

« كذلك علم الشرائع .

قال القاشاني :

- « أي مثل تحريم المراضع عليه إلا لبن أمه علم الشرائع .
- « فإن لكل نبي شريعة مخصوصة دون شرائع سائر الأنبياء .
- « فحرم عليه جميع شرائع الأنبياء إلا شريعته .
- « فتحريم المراضع عليه صورة ذلك المعنى .
- « وآية أنه النبي الموعود » .

قال ابن العربي :

- « كما قال - لكل جعلنا منكم شرعة - أي طريقاً .
- « - ومنهاجا - أي من تلك الطريقة جاء .
- « فكان هذا القول إشارة إلى الأصل الذي منه جاء ، فهو غذاؤه ،
- « هذا القول ، إشارة إلى الآية المذكورة .
- « والأصل الذي منه جاء هو الإسم الإلهي الذي رباه الله به موسى .
- « وذلك تجليه تعالى بذاته في صورة عينه الثابتة ، وغذاؤه علم ذلك العين ونقشه .
- « وذلك خزانة الإسم العلم الإلهي المختص بموسى .
- « وعينه من التعينات الكلية الشاملة لتعينات جزئية كثيرة مندرجة تحتها كما مرّ .
- « فهو يتفدى من ذلك الأصل ، .

قال ابن العربي :

- « كما ان فرع الشجرة لا يتغذى الا من أصله .
- « فما كان حراما في شرع يكون حلالا في شرع آخر .
- « يعني في الصورة .
- « أعني قولي يكون حلالا .
- « وفي نفس الأمر ما هو عين ما مضى .
- « لأن الأمر خلق جديد .
- « ولا تكرار .
- « فهذا نبهناك ، »

قال الشارح :

- « يعني أن الأمر الذي كان حراماً في شرع يكون حلالاً في شرع آخر .
- « وإن كان عيناً واحدة في الصور النوعية والحقيقة .
- « لكن الذي هو حلال في شرع ليس بعينه ذلك الحرام الذي مضى في الشرع السابق .
- « بناء على أن كل شيء في كل آن خلق جديد .
- « ولا تكرار في التجلي كما ذكر غير مرة ، »
- « ولكنني عن هذا في حق موسى بتحريم المراضع ، »
- « فإن اللبن صورة العلم النافع .
- « أعني علم الشريعة .

« الذي هو غذاء الروح الأخص حتى يكمل » .
ثم يتشعشع الشيخ الأكبر ويقول :
« فانه على الحقيقة .

« من أرضعته لا من ولده .

« فان أم الولادة حملته على وجه الامانة فتكوّن فيها .

« وتغذى بدم طمّشها من غير ارادة لها في ذلك .

« حتى لا يكون لها عليه امتنان .

« فانه ما تغذى إلا بما أنه لو لم يتغذى به ، ولم يخرج عنها ذلك الدم لأهلكها
وأمرضها .

« فللجنين المنّة على أمه .

« بكونه تغذى بذلك الدم .

« فوفاها بنفسه من الضرر الذي كانت تجده لو امتسك ذلك الدم عندها ،
ولا يخرج ولا يتغذى به جنينها .

« والمرضعة ليست كذلك فانها قصدت برضاعته حياته وإبقاءه .

« فجعل الله ذلك لموسى في أم ولادته .

« فلم يكن لامرأة عليه فضل إلا لأم ولادته .

« لتقر عينها أيضاً بتربيته .

« وتشاهد انتشاءه في حجرها ولا تحزن .

« ونجاء الله من غم التابوت .

« فخرق ظلمة الطبيعة بما أعطاه الله من العلم الالهي .

« وإن لم يخرج عنها » .

قال القاشاني :

« أي عن الطبيعة بالمفارقة الكلية .

« بل خرق حجابها بالتجرد عنها ، عن غواشيها الى عالم القدس .

« كما قال تعالى – اخلع نعليك انك بالواد المقدس – » .

قال ابن العربي :

« وفتنناك فتونا : أي اختبره في مواطن كثيرة .

« ليتحقق في نفسه صبره على ما ابتلاه الله به » .

« فإن أكثر الكلمات المودعة في الإنسان لا تظهر عليه ، ولا تخرج الى

الفعل ، إلا بالابتلاء » .

قال ابن العربي :

« فأول ما ابتلاه الله به قتله القبطي^(١) بها ألهمه الله ووقفه له في سره وإن

لم يعلم بذلك .

« ولكن لم يجد في نفسه أكثرًا بقتله مع كونه ما توقف حتى يأتيه أمر

ربه بذلك .

« لأن النبي معصوم الباطن من حيث لا يشعر حتى ينبا أي يخبر .

« ولهذا أراه الخضر قتل القلام فأنكر عليه قتله .

« ولم يتذكر قتله القبطي .

« فقال له الخضر – ما فعلته عن أمري –

(١) أي المصري .

- « ينبغي على مرتبته قبل أن ينبأ انه كان معصوم الحركة في نفس الأمر .
- « وإن لم يشعر بذلك » .

قال القاشاني :

« فلذلك نسبه الى الشيطان و - قال هذا من عمل الشيطان - واستغفر ربه - قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي - لأنه لم يشعر بمد أنه نبي يعصمه الله عن الكبيرة .

« ولا يجري على يده إلا ما هو خير كله » .

قال ابن العربي :

« وأراه أيضا خرق السفينة التي ظاهرها هلاك وباطنها نجاة من يد الغاصب .

« جعل له ذلك في مقابلة التابوت له الذي كان في اليم مطبقا عليه .

« فظاهره هلاك وباطنه نجاة .

« وإنما فعلت به أمه ذلك خوفا من يد الغاصب فرعون أن يذبحه صبوا .

« وهي تنظر اليه مع الوحي الذي أهمها الله به من حيث لا تشعر .

« فوجدت في نفسها أنها ترضعه فاذا خافت عليه ألقته في اليم .

« لأن في المثل « عين لا ترى قلب لا يفجع » .

« فلم تخف عليه خوف مشاهدة عين .

« ولا حزننت عليه حزن رؤية بصر .

« وغلب على ظننها ان الله ربها رده اليها لحسن ظننها به .

« فعاشت بهذا الظن في نفسها -

« والرجاء يقابل الخوف والياس .

- « قالت حين أهدت لذلك : أهل هذا هو الرسول الذي يهلك فرعون
والقبط على يديه .
- « فعاشت وسُرت بهذا التوهم والظن بالنظر اليها ،
 - « إنما هو توهم وظن بالنسبة اليها ،
 - « وهو علم في نفس الأمر ،
 - « متحقق عند الله ،
 - « ثم انه ،
 - « أي موسى ،
 - « لما وقع عليه الطلب خرج فاراً خوفاً في الظاهر .
 - « وكان في المعنى حياً في النجاة .
 - « فإن الحركة أبداً إنما هي حبيبة ويحجب الناظر فيها بأسباب آخر ،
 - « كالغضب والخوف والحزن والميل .
 - « وقد يتحقق ذلك بما ذكر في الهوى .
 - « والمحجوب عن الأصل يستندما الى الأسباب القريبة .
 - « ولهذا علما لفرعون المحجوب في قوله - ففررت منكم لما خفتكم - بالخوف
لاحتجابه عن الأصل .
 - « فإنه لولا حب الحياة لما خاف .
 - « وكيف لا ، والخوف يقتضي الجمود والسكون لا الحركة ،
- قال ابن العربي :
- « وليست تلك وذلك لأن الاصل حركة العالم من العدم الذي كان ساكناً
فيه الى الوجود .

« ولذلك يقال :

« ان الامر حركة عن سكون .

« فكانت الحركة التي هي وجود العالم حركة حب .

« وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله (كنت كنزاً

لم أعرف فأحببت ان أعرف) .

« فلولا هذه المحبة ما ظهر العالم في عينه .

« فحركته من العدم الى الوجود حركة حب الموجد لذلك ،

قال القاشاني :

« أي لأن يعرف ويشهد ذاته من ذاته ومن غيره .

« على تقدير وجود الغير بالاعتبار .

قال ابن العربي :

« ولأن العالم أيضاً يحب شهود نفسه وجوداً ، كما شهدا ثبوتاً .

« فكانت بكل وجه حركة من العدم الثبوتي ، الى الوجود العيني ،

وحركة حب ، من جانب الحق وجانبه .

« فان الكمال محبوب لذاته .

« وعلمه تعالى بنفسه من حيث هو غني عن العالمين هو له ،

« دون اعتبار غيره .

« فإنه تعالى من تلك الحيثية ليس إلا الذات وحدها .

« فلم يكن معه شيء .

قال ابن العربي :

« وما بقي الا تمام مرتبة العلم .

- « بالعلم الحادث الذي يكون من هذه الأعيان ، أعيان العالم إذا وجدت .
 - « فيظهر صورة الكمال بالعلم المحدث والتقديم .
 - « فيكمل مرتبة العلم بالوجهين ، »
- قال القاشاني :

- « فإن العلم القديم غيب ، لم يكن له ظهور وانتشار .
 - « وبالظهور في المظاهر المسمى حدوثاً ، يكمل كمال العلم القيمي ، »
- قال ابن العربي :

- « وكذلك تكمل مراتب الوجود .
- « فإن الوجود منه أزلي ، وغير أزلي وهو الحادث .
- « فالأزلي وجود الحق نفسه ، »
- « يعني حقيقة الوجود ، من حيث هو وجود .
- « لأن الحق له حقيقة ، غير الوجود ، فيضاف الوجود إليها ، كسائر الماهيات ، »

قال ابن العربي :

- « وغير الأزلي ، وجود الحق بصور العالم الثابت ، »
- « أي الوجود الذي هو الحق ، أي الوجود الظاهر بصور العالم ، الثابت عينه في العالم الأزلي .
- « ويسمى الوجود الإضافي ، »

قال ابن العربي :

- « فيسمى حدوثاً .
- « لأنه ظهر بعضه لبعضه »

« كظهور سائر الأكوان للإنسان » .

قال ابن العربي :

« وظهر لنفسه بصور العالم .

« فأكمل الوجود .

« فكانت حركة العالم حبيبة للكمال ..

« فافهم .

« الا تراه كيف نفّس عن الأسماء الالهية ما كانت تجده من عدم ظهور

آثارها في عين مسمي العالم ، فكانت الراحة محبوبة له ، .

« لأن الراحة انما هي بالوصول الى الكمال المحبوب ، الذي يصفو به الحب ،

عن ألم الشوق عند الفراق ، فهي الابتهاج الحاصل بصفاء الحب عن شوب الألم .

« ولأنها كمال لذة الحب بالوصل قال ، .

« ولم يوصل اليها إلا بالوجود الصوري ، .

« أي الظاهر ، .

قال ابن العربي :

« الاعلى والاسفل .

« فثبتت أن الحركة كانت للمحب .

« فبما تم حركة في الكون إلا وهي حبيبة .

« فمن العلماء من يعلم ذلك .

« ومنهم من يحجبه السبب الأقرب لحكمه في الحال ، واستيلاؤه

على النفس .

« وكانت الخوف لموسى مشهودا له ، بما وقع من قتله القبطي .

« وتضمن الخوف حب النجاة من القتل ففر لما خاف .

« وفي المعنى ففر لما أحب النجاة من فرعون وعمله به .

« فذكر السبب الأقرب المشهود له في الوقت ، الذي هو كصورة

الجسم للبشر .

- « وحب النجاة متضمن فيه تضمن الحمد للروح المدبر له .
- « والأنبياء لهم لسان الظاهر به .
- « يتكلمون لعموم الخطاب ، واعتمادهم على فهم العالم السامع .
- « فلا تعتبر الرسل إلا العامة .
- « لعلمهم بمرتبة أهل الفهم .
- « كما نبه عليه الصلاة والسلام ، وعلى هذه الرتبة في العطايا ، فقال (لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه مخافة أن يكتبه الله في النار) .
- « فاعتبر ضعيف العقل والنظر ، الذي غلب عليه الطمع والطبع .
- « فكذا ما جاءوا به من العلوم ، جاءوا به وعليه خلة أدنى الفهم .
- « ليقف من لا غوص له عند الخلة فيقول : ما أحسن هذه الخلة ، ويراها غاية الدرجة .
- « ويقول صاحب الفهم الدقيق ، الغائص على درر الحكم بما استوجب هذا : هذه الخلة من الملك ، فينظر في قدر الخلة وصدقها من الشيا .
- « فيعلم منها قدر من خلعت عليه .
- « فيعثر على علم لم يحصل غيره من لا علم له بمثل هذا ، .
- قال القاشاني :
- « وهو أن ظاهر الكلام بقدر أدنى الفهم .
- « وباطنه وحقائقه ولطائفه بقدر أعلاها .
- « كما قال عليه الصلاة والسلام (ما من آية ، إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع) .

قال ابن العربي :

« ولما علمت الأنبياء والرسل والورثة أن في العالم من أمتهم من هو بهذه المثابة .

« عمدوا في العبارة الى اللسان الظاهر .

« الذي يقع فيه اشتراك الخاص والعام .

« فيفهم منه الخاص ما فهم الامامة منه وزيادة ، بما صح له به اسم أنه خاص .

« فيتميز عن العامي .

« فاكتفى المبلغون العلوم بهذا .

« فهذا حكمة قوله - ففررت منكم لما خفتكم -

« ولم يقل - ففررت منكم حباً لسلامة والعافية » .

قال القاشاني :

« يعني أن قوله لما خفتكم لفهم العامة .

« فإنهم لا ينظرون إلا في السبب القريب ، لا في الحقيقة كما ذكر » .

قال ابن العربي :

« فجاء إلى مدين .

« فوجد الجاريتين .

« فسقي لهما من غير أجر .

« ثم تولى الى الظل الالهي فقال :

« - رب اني لما أنزلت إليّ من خير فقير -

« فجعل عين عمله السقي عين الخير ، الذي أنزل الله اليه .

« ووصف نفسه بالفقر إلى الله في الخير الذي عنده^(١) » .

قال القاشاني :

« لأنه عليه السلام تحقق أن له عند الله خيراً نزل إليه .

« وقد أنزل الله هذا الخير : أي عمل السقي إليه ، فإنه خير في نفسه ،
فعرض حاجته إلى الله في الخير الذي عنده مطلقاً أو من الدنيا :

« أي إني لأجل الذي أنزلت إلي من خير الدين فقير اليك فيه أو من الدنيا .

« قال ذلك شكراً لله ، وإظهاراً للرضا بالخير الديني ، من الخير الدنيوي
أي بدله » .

قال ابن العربي :

« فأراه الخضر إقامة الجدار من غير أجر .

« فعتبه على ذلك ، فذكره بسقايته من غير أجر .

« إلى غير ذلك بما لم يذكر .

« حتى تمنى صلى الله عليه وسلم أن يسكت موسى عليه السلام ولا يعرض .

« حتى يقص الله عليه من أمرهما » .

قال القاشاني :

« روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : (لبت أخي موسى سكت حتى يقص

الله علينا من أنبائها) .

(١) شعمانية عالية علواً عجبياً .. من ابن العربي ..

أعني قوله « ثم تولى إلى الظل الإلهي » ..

أفق أعل .. مما ذهب إليه المفسرون أنه تولى إلى ظل شجرة ! ..

فنقلها ابن العربي .. إلى أفق « الظل الإلهي » .. فانظر مدى البعد بين الأفقين !

وهذا فضل الله يؤتبه من يشاء ..

« وروى عن الشيخ قدس سره : أنه اجتمع بأبي العيساس الخضر عليه السلام ، فقال :

« كنت أعددت لموسى بن عمران ألف مسألة مما جرى عليه من أول ما وُلد إلى زمان اجتماعه فلم يصبر على ثلاث مسائل منها » .

قال ابن العربي :

« تنبئها لموسى من الخضر .

« أن جميع ما جرى عليه ويجري إنما هو بأمر الله وإرادته الذي لا يمكن وقوع خلافه .

« فان العلم بها من خصوص الولاية .

« وأما الرسول فقد لا يطلع عليه فانه سر القدر .

« ولو اطلع عليه لربما كان سبب لفتوره عن تبليغ ما هو مأمور بتبليغه .

« فطوى الله علم ذلك عن بعض الرسل رحمة منه بهم .

« ولم يطوه عن نبينا صلى الله عليه وسلم لقوة حاله .

« ولهذا قال - أدعو الى الله على بصيرة -

« فيعلم بذلك ما وفق اليه موسى عليه السلام من غير علم منه .

« إذ لو كان عن علم ما انكرو مثل ذلك على الخضر .

« الذي قد شهد الله له عند موسى وزكاه وعدله .

« ومع هذا غفل موسى عن تركية الله له ، وعما شرط عليه في اتباعه .

« رحمة بنا اذا نسينا أمر الله .

« ولو كان موسى عالما بذلك لما قال له الخضر - ما لم تُحط به خبرا -

« أي اني على علم ولم يحصل لك ذوق كما أنت علي علم لا أعلمه أنا، فانصف .

« وأما حكمة فراقه فلأن الرسول يقول الله فيه - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا -

« فوقف العلماء بالله الذين يعرفون قدر الرسالة والرسول عند هذا القول ،

« أي لزموه وامتثلوه ولم يتجاوزوا عنه » .

قال ابن العربي :

« وقد علم الخضر أن موسى رسول الله .

« فأخذ يرقب ما يكون منه ليوفي الأدب حقه مع الرسل .

« فقال له - ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني -

« فنهاه عن صحبته .

« فلما وقمت منه الثالثة قال - هذا فراق بيني وبينك -

« ولم يقل له موسى : لا تفعل .

« ولا طلب صحبته .

« لعلمه بقدر الرتبة التي هو فيها ، التي أنطقته بالنهي عن أن يصحبه .

« فسكت موسى .

« ووقع الفراق .

« فانظر إلى كمال هذين الرجلين في العلم وتوفية الأدب الإلهي حقه .

« وإنصاف الخضر عليه السلام فيما اعترف به عند موسى حيث قال :

« أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت .

« وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا .

« فكان هذا الاعلان من الخضر لموسى دواء لما جرحه به في قوله

- وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا -

- مع علمه بعلمه مرتبته بالرسالة ، وليست تلك الرتبة للخضر .
- فظهر ذلك في الأمة المحمدية في حديث آبار النخل .
- فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .
- ولا شك أن العلم بالشيء خير الجهل به .
- ولهذا مدح الله نفسه بأنه بكل شيء عليم .
- فقد اعترف صلى الله عليه وسلم لأصحابه بأنهم أعلم بمصالح الدنيا منه .
- لكونه لا خبرة له بذلك .
- فإنه علم ذوق وتجربة .
- ولم يتفرغ عليه الصلاة والسلام لعلم ذلك .
- بل كان شغله بالأهم فالأهم .
- فقد نبهتكم على أدب عظيم تفتتح به ان استعملت نفسك فيه ،

قال القاشاني :

- واعلم أن الخضر عليه السلام صورة اسم الله الباطن .
- ومقامه مقام الروح .
- وله الولاية ، والغيب ، وأسرار القدر ، وعلوم الهوية ، والإنية ، والعلوم الدنية .
- ولهذا كان محمداً ، ذوقه الوهب والإيتاء .
- قال تعالى - فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً -
- ولكماله في علم الباطن لما بين موسى عليه السلام تأويل ما لم يستطع عليه صبراً من الوقائع الثلاث .

« قال في الأولى - فأردتُ أن أعيبها - بالتقيد والإخبار عن تخصيص إرادته بعض ما في باطنه من معلوماته .

« وفي الثانية - فأردنا أن يُبدلها ربهما خيراً منه زكاة - لجمع الضمير في الإرادة .

« وفي الثالثة - فأراد ربك - بتوحيد الضمير والإخبار عن الإرادة الربانية الباطنة .

« كل ذلك إشارة منه الى سر التوحيد وأحدية الإرادة والتصرف والعلم في الظاهر والباطن ، عن ذوق وخبرة .

« وأن الذي ظهر من الصفات الثلاث هي عين الصفات القديمة الباطنة من غير تعدد بحسب الحقيقة :

« وهو من أسرار علوم الولاية .

« وأما موسى عليه السلام فهو صورة اسم الله الظاهر .

« ومقامه مقام القلب .

« وله علوم الرسالة والنبوة والتشريع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالظاهر .

« ولذلك كانت معجزاته في غاية الوضوح والظهور .

« فلما أراد الله تكميل موسى بالجمع بين التجليات الظاهرة والباطنة ، وعلوم نبوة وما في استعداده من علوم الولاية .

« فكان موسى قد ظهر بين قومه بدعوى أنه أعلم أهل الأرض ، وذلك في ملأ من بني اسرائيل .

« فأوحى الله اليه : بل عبد لنا بجمع البحرين .

« أي بين مجري الوجود والامكان .

- « أو بحري الظاهر والباطن .
- « أو بحري النبوة والولاية .
- « فاستحى موسى من دعواه .
- « فسأل الله أن يقدر الصعبة بينهما .
- « واستأذن في طلب الاجتماع حتى يعلمه مما علمه الله .
- « فلو آثر صعبة الله ، وأخذ علم الولاية منه لأغناه الله عن اتباع الخضر .
- « فلما وقع الاجتماع ظهر النزاع .
- « لسابن الظهور من حيث الظهور ، والباطون من حيث الباطن ، من المغايرة والباينة .
- « فلذلك وقع بينهما الفراق بعد حصول ما قدر الله إيصاله إليه بصعبة الخضر من العلم .
- « ولا بد للمحمدي من الجمع بين الظاهر والباطن اتباعاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم » .

قال ابن العربي :

- « وقوله - فوهب لي ربي حكماً - يريد الخلافة .
- « - وجعلني من المرسلين - يريد الرسالة .
- « فما كل رسول خليفة .
- « فالخليفة صاحب السيف والعزل والولاية .
- « والرسول ليس كذلك .
- « إنما عليه البلاغ لما أرسل به .
- « فان قاتل عليه وحماه بالسيف فذلك الخليفة الرسول » .

« فكما أنه ما كل نبي رسول ، كذلك ما كل رسول خليفة .

« أي ما أعطى الملك ولا التحكم فيه . »

قال ابن العربي :

« وأما حكمة سؤال فرعون عن الماهية الالهية بقوله - وما رب العالمين -؟

« فلم يكن عن جهل ، وإنما كان عن اختبار حتى يرى جوابه مع دعواه

الرسالة عن ربه .

« وقد علم فرعون مرتبة المرسلين في العلم بالله ، فيستدل بجوابه على

صدق دعواه .

« وسأل سؤال ايهام من أجل الحاضرين .

« حتى يعرفهم من حيث لا يشعرون بما شعر هو في نفسه في سؤاله .

« فأجابه جواب العلماء بالامر .

« أظهر فرعون ابقاء لمنصبه أن موسى ما أجاب على سؤاله .

« فيتبين عند الحاضرين لتصور فهمهم ان فرعون أعلم من موسى .

« ولهذا لما قال له في الجواب ما ينبغي .

« وهو في الظاهر غير جواب على ما سئل عنه .

« وقد علم فرعون انه لا يجيبه إلا بذلك .

« فقال لأصحابه - ان رسولكم الذي ارسل اليكم لجنون -

« أي مستور عنه علم ما سأله عنه .

« إذ لا يتصور ان يعلم أصلاً .

« فالسؤال صحيح ، فان السؤال عن الماهية سؤال عن حقيقة المطلوب .

« ولا بد أن يكون على حقيقة في نفسه .

« وأما الذين جعلوا الحدود مركبة من جنس وفصل ، فذلك في كل ما يجمع فيه الأشتراك .

« ومن لا جنس له لا يلزم ان لا يكون على حقيقة في نفسه لا تكون لغيره .

« فالسؤال صحيح على مذهب أهل الحق والعلم الصحيح والعمل السليم .

« فالجواب عنه لا يكون إلا بما أجاب موسى .

« وههنا سر كبير .

« فانه اجاب بالفعل لمن سأل عن الحد الذاتي .

« فجعل الحد الذاتي عين اضافته الى ما ظهر به من صور العالم .

« أو ما ظهر فيه من صور العالم .

« فكأنه قال له في جواب قوله - وما رب العالمين - ؟

« قال الذي يظهر فيه صور العالمين .

« من علو وهو السماء .

« وسفل وهو الأرض .

« - ان كنتم موقنين - أو يظهر هو بها .

« فلما قال فرعون لأصحابه - انه لجنون - كما قلنا في معنى كونه مجنوناً .

« زاد موسى في البيان ليعلم فرعون رتبته في العلم الالهي .

« لعلمه بأن فرعون يعلم ذلك فقال - رب المشرق والمغرب -

« فجاء بما يظهر ويستتر .

« وهو الظاهر والباطن وما بينهما .

« وهو قوله - وهو بكل شيء عليم - ،

قال القاشاني :

- « أي بما ظهر من عالم الأجسام والخلق .
- « وما بطن من عالم الأرواح والأمر .
- « وما بين الظاهر والباطن من التعينات والشؤون الجامعة بين الأرواح والأجسام .
- « فإن المشرق للظهور ، والمغرب للبطون .
- « وهو الحق الظاهر المتعين بجميع ما ظهر بإشراق نوره وإطلاق ظهوره .
- « وهو الباطن المتعين بجميع ما بطن في غيب عينه وعين حضوره ، يعلمه بما بينها من النسب والتعينات التي ليست إلا في حيز العلم » .

قال ابن العربي :

- « - ان كنتم تعقلون -
- « أي ان كنتم أصحاب تقييد .
- « فان للعقل التقييد .
- « فالجواب الأول جواب الموقنين .
- « وهم اهل الكشف والوجود فقال له - ان كنتم موقنين -
- « أي اهل كشف ووجود ، فقد أعلمتكم بما تيقنتموه في شهودكم ووجودكم .
- « فان لم تكونوا من هذا الصنف فقد أجبتكم في الجواب الثاني ، ان كنتم اهل عقل وتقييد .
- « وحصرتم الحق فيما تعطيه أدلة عقولكم .
- « فظهر موسى بالوجهين .
- « ليعلم فرعون سؤاله وصدقه .
- « وعلم موسى ان فرعون علم ذلك ، او يعلم ذلك ، لكونه سأل عن الماهية .

- « فعلم ان سؤاله ليس على اصطلاح القدماء في السؤال بما .
« فلذلك اجاب .
« فلو علم منه غير ذلك لخطاه في السؤال .
« فلما جعل موسى المسئول عنه عين العالم ، خاطبه فرعون بهذا اللسان .
« والقوم لا يشعرون .
« فقال له - لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين - والمسين في
السجن من حروف الزوائد : أي لأسترنك .
« فانك اجبت بما أيدتني به ان اقول لك مثل هذا القول ، .
« المراد بهذا اللسان لسان الإشارة .
« فإن فرعون كان غالياً من غلاة الموحدة ، عالياً من المسرفين في دعواه .
« من جملة ما قال عليه الصلاة والسلام عنه (شر الناس من قامت القيامة
عليه وهو حي) .
« أي وقف على سر التوحيد ، والقيامة الكبرى ، قبل فناء أبنيته ،
وموته الحقيقي في الله .
« وهو يدعي الإلهية بتعيينه .
« ويدعو الخلق إلى نفسه .
« لتوحيده العملي ، لا الشهودي الذوقي ، .
قال ابن العربي :
« فان قلت لي .
« فقد جهلت يا فرعون ، بوعيدك اياي ، والعين واحدة ، فكيف فرقت .

« فيقول فرعون : انما فرقت المراتب ، ما تفرقت العين ، ولا انقسمت في ذاتها .

« ومرتبتي الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل .

« وأنا انت بالعين .

« وغيرك بالرتبة .

« فلما فهم ذلك موسى منه ، أعطاه حقه في كونه يقول له لا تقدر على ذلك .

« والرتبة تشهد له بالقدرة عليه ، وإظهار الأثر فيه .

« لأن الحق في رتبة فرعون من الصورة الظاهر لها التحكم على الرتبة التي كانت فيها ظهور موسى في ذلك المجلس .

« فقال له ، يظهر له المانع من تعديه عليه - أو لو جئتك بشيء مبين - ؟

« فلم يسع فرعون إلا أن يقول له - فأت به ان كنت من الصادقين -

« حتى لا يظهر فرعون عند الضعفاء الرأي من قومه بعدم الانصاف ، فكانوا يرتابون فيه .

« وهي الطائفة التي استخفها فرعون فأطاعوه - انهم كانوا قوما فاسقين -

« أي خارجين عما تعطيه العقول الصحيحة من انكار ما ادعاه فرعون باللسان الظاهر في العقل .

« فان له حدًا يقف عنده إذا جاوزه صاحب الكشف واليقين .

« ولهذا جاء موسى في الجواب بما يقبله الموقن والماعقل خاصة -

« - فلقى عصاه - وهو صورة ما عصي به فرعون موسى ، في إبانته عن

اجابة دعوته .

« - فإذا هي ثعبان مبین -

« أي حية ظاهرة .

« فانقلبت المعصية التي هي السيئة طاعة أي حسنة » .

قال القاشاني :

« اشارة الى أن النفس في سنخها وطبعها العصيان للقلب والروح .

« لكن لما راضها عليه السلام بقمع هواها حتى صارت بإمارة قواها وقهر هواها الذي هو روحها كالنفس النباتية في الطاعة ، تشبهت بالعصا بمد كونها مركباً حروناً ، فإذا اطمانت صارت معصيتها طاعة ، وسيئاتها حسنة ، فكل ما أمرها به موسى امتثلت ، وآلت الى هيئة ما أراد منها » .

قال ابن العربي :

« كما قال الله تعالى - يبدل الله سيئاتهم حسنات - يعني في الحكم » .

« أي سيئاتهم في حكم حسناتهم .

« لأنها إن غضبت وقهرت ، أو حلت وتلطفت كانت بأمر الحق .

« فكل حركاتها وأفعالها وإن كانت في صورة الفساد ، كانت عين الصلاح .

« ألا ترى الى قوله تعالى - ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها

فبإذن الله - » .

« فظهر الحكم هنا عينا متميزة في جوهر واحد » .

« أي تأصل حكم الله فيها وترسخ حتى صار الحكم لكمال طاعتها بالطبع

فيها عينا .

« فكما أمرت تمثلت وتجسدت بصورة الحكم .

« فكل حكم عليها عين متميزة عن نظيرتها الى صورة حكم آخر ، في جوهر واحد . »

« فهي العصا ، . »

« في صورة الحكم ، . »

« وهي الحية ، . »

« في صورة حكم آخر ، . »

« والثعبان الظاهر ، . »

« كذلك ، . »

« فالتقم أمثاله من الحيات . »

« من كونها حية . »

« والعصا من كونها عصا ، . »

« لأنها متأيدة بتأييد الحق ، متنورة بنور القدس . »

« فبأي شبهة تمسك فرعون وقومه ، أبطلها ببرهان نير من جنسها . »

قال ابن العربي :

« فظهرت حجة موسى على حجج فرعون . »

« في صورة عصا وحيات وحيبال . »

« فكانت للسحرة حبالا ، ولم يكن لموسى حبل . »

« والحبل التل الصغير . »

« أي مقاديرهم بالنسبة الى قدر موسى بمنزلة الحبال من الجبال الشاخنة . »

« فلما رأات السحرة ذلك ، علموا رتبة موسى في العلم . »

« وان الذي رأوه ليس من مقدور البشر . »

« وإن كان من مقدور البشر فلا يكون إلا من له تمييز في العلم المحقق عن
التخيل والايهام .

« فأمنوا – برب العالمين رب موسى وهارون –

« أي الرب الذي يدعو إليه موسى وهارون .

« لعلمهم بأن القوم يعلمون أنه ما دعا لفرعون .

« ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت .

« وأنه الخليفة بالسيف .

« وإن جار في العرف الناموسي .

« لذلك قال – أنا ربكم الأعلى –

« أي وإن كان الكل أربابا .

« فإنا الأعلى منهم .

« بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم .

« ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لم ينكروه .

« وأقروا له بذلك .

« فقالوا – فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا –

« فالدولة لك ، فصح قوله – أنا ربكم الأعلى –

« وإن كان عين الحق ، فالصورة لفرعون ، .

« أي وإن كان الرب الأعلى مطلقاً هو عين الحق ، فإنه تعالى بأحدثه

الذاتية والأسمائية ، ظاهر في كل صورة ، بقدر قابليتها .

« فله أحدية جميع الروبوية الأسمائية في الكل بالحقيقة .

« لكن الصورة القابلة لما قبلها من المعاني صورة فرعون ، .

قال ابن العربي :

« قطع الايدي والارجل .

« فصلب بعين حق ، في صورة باطل .

« انيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل » .

« مثل المهابة والسلطنة وإلقاء الرعب في قلوب الناس ليسخروا
وينقادوا لحكمه » .

قال ابن العربي :

« فان الأسباب لا سبيل الى تعطيلها .

« لأن الاعيان الثابتة اقتضتها .

« فلا تظهر في الوجود إلا بصورة ما عليه في الشبوت .

« إذ - لا تبديل لكلمات الله -

« وليست كلمات الله سوى أعيان الموجودات ، فينسب اليه القدم من
حيث ثبوتها ، وينسب اليها الحدوث من وجودها وظهورها .

« كما تقول : حدث عندنا اليوم انسان أو ضيف .

« ولا يلزم من حدوثه أنه ما كان له وجود قبل هذا الحدوث .

« ولذلك قال الله تعالى في كلامه العزيز في إتيانه مع قدم كلامه - ما يأتيهم
من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون - و - ما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث إلا كانوا عنه معرضين -

« والرحمن لا يأتي إلا بالرحمة .

« ومن أعرض عن الرحمن استقبل العذاب الذي هو عدم الرحمة » .

ثم يقول الشيخ الأكبر . . في ختام كلامه :

- « وأما حكمة التجلي والكلام في سورة النار .
- « فلأنها كانت بغية موسى .
- « فتجلى له في مطلوبه .
- « ليقبل عليه ولا يعرض عنه .
- « فإنه لو تجلى له في غير سورة مطلوبه أعرض لاجتماع همه على مطلوب خاص .
- « ولو أعرض لعاد عمله عليه .
- « فأعرض عنه الحق .
- « وهو مصطفى مقرب .
- « فمن قربه أنه تجلى له في مطلوبه وهو لا يعلم .

* * *

هذا ما أثبتناه .. من كلام ابن العربي .. وشرح القاشاني عليه ..
وقد حذفنا من كلامها .. شيئاً قليلاً .. قد يُفهم على غير وجهه .. من
بعض القراء الذين لا صبر لهم .. على ابن العربي .. ومن ذهب مذهبه ..
وكما قلنا .. انها مجرد آفاق عليا .. تضيف الى الكتاب .. نوعاً جديداً من
التفكير .. يختلف عن الأسلوب المكرر الذي يُورث النفوس السامة ..
أما ما ذهب اليه ابن العربي .. فإنه ليس ملزماً لأحد ..
فإن شئت أقررته ..
وإن شئت خالفته ..
فلا تريب عليك !..

﴿ تم ﴾

« سبحانك اللهم وبحمدك ..
أشهد أن لا إله إلا أنت ..
أستغفرك وأتوب إليك » ..

فهرس

صفحة	الموضوع
٧	مقدمة
٩	يُذبح أبناءهم .. ويستحيى نساءهم
١٣	وإنا .. فوقهم .. قاهرون
١٩	تبدأ القصة .. من هناك .. من يوسف
٢٩	ولقد آمننا .. على موسى .. وهارون
٣٧	أرضيه .. فإذا خفت عليه .. فألقيه
٤٣	أقذيه .. في .. التابوت
٥١	وأصبح .. فؤاد أم موسى .. فارغاً
٥٧	وحرّمتنا .. عليه .. المراضع
٦٥	ألم نُزبِك .. فينا .. وليداً؟
٧٣	مؤامرة .. لقتل .. موسى
٨٧	فجاءته .. إحداهما .. تمشي على استحياء
١٠١	أريد .. أن أنكحك .. إحدى ابنتي
١١١	يا موسى .. إني أنا الله .. رب العالمين
١٢٣	وما تلك .. بيمينك .. يا موسى؟
١٣١	اسلك .. يدك .. في جيبك .. تخرج بيضاء
١٣٧	لا تخافي .. لا تخف .. لا تخافا

الموضوع	صفحة
١٤٧	اضرب .. بعصاك
١٥١	اذهبيا .. الى فرعون .. انه طغى
١٥٩	يا فرعون .. اني رسول .. من رب العالمين
١٦٩	أو لو جئتك .. بشيء .. مبین ؟
١٧٥	وألقي .. ما في يمينك .. تلقف ما صنعوا
١٨٧	لأصلبنيكم .. أجمعين
١٩٥	قتل .. (١٢٠٠٠) عالم .. صلباً
٢٠١	ذروني .. أقتل .. موسى
٢٠٩	أقتلون رجلاً .. أن يقول .. ربي الله ؟
٢٢٣	في .. تسع .. آيات
٢٣١	آية .. الدم
٢٣٧	آسية .. امرأة .. فرعون
٢٤٧	مصرع .. ماشطة .. ابنة فرعون
٢٥٣	آية .. الضفادع
٢٥٩	آية .. القمائل
٢٦٧	آية .. الطوفان
٢٧٧	آية .. الجراد
٢٨٣	آية .. الظلام
٢٨٩	صراخ عظيم .. في كل أرض .. مصر
٢٩٧	اضرب .. بعصاك .. البحر
٣٠٥	الآن .. وقد عصيت قبل .. وكنت من المفسدين ؟!
٣١١	واتبعوا .. في هذه لعنة .. ويوم القيامة
٣١٧	يا موسى .. اجعل لنا إلهاً .. كما لهم آلهة
٣٢٥	اضرب .. بعصاك .. الحجر

صفحة	الموضوع
٣٢٩	وأنزلنا عليكم .. المن .. والسلوى
٣٣٥	وظللنا .. عليكم .. الغمام
٣٣٩	رب .. أرني .. أنظر اليك
٣٥١	عجلاً .. جسداً .. له خوار
٣٦٩	فاقتلوا .. أنفسكم
٣٧٥	واختار موسى .. قومه سبعين رجلاً .. ليقاتلنا
٣٨٥	فإنها محرمة عليهم .. أربعين سنة .. يتيهون في الأرض
٣٩٩	قارون .. المجرم .. البليونيذ
٤١٩	لقاء .. موسى .. والخضر
٤٣٣	الموصايا .. العصر
٤٣٩	إنا .. أنزلنا .. التوراة
٤٤٧	موت .. هارون .. ثم موسى
٤٥٢	موسى .. في السماء .. السادسة
٤٦٧	احتج .. آدم .. وموسى
٤٧٣	صورة .. موسى
٤٧٧	شخصية .. موسى
٤٨٥	هارون .. كما يراه .. ابن العربي
٥٠٧	موسى .. كما يراه .. ابن العربي
٥٤٨	فهرس

ماذا في هذا الكتاب؟!

فيه... حياة الكليم... ومعجزات الكليم...
وشخصية الكليم...

فيه... بدائع... وعجائب... وغرائب... موسى...
صلى الله عليه وسلم...

فيه... مقامات «يا موسى... اني انا الله... رب
العالمين»!!!

فيه... بدائع... «رب... ارني... انظر اليك»!!!

«سلام... على موسى... وهارون...»

«انا كذلك... نجزي المحسنين...»!!!